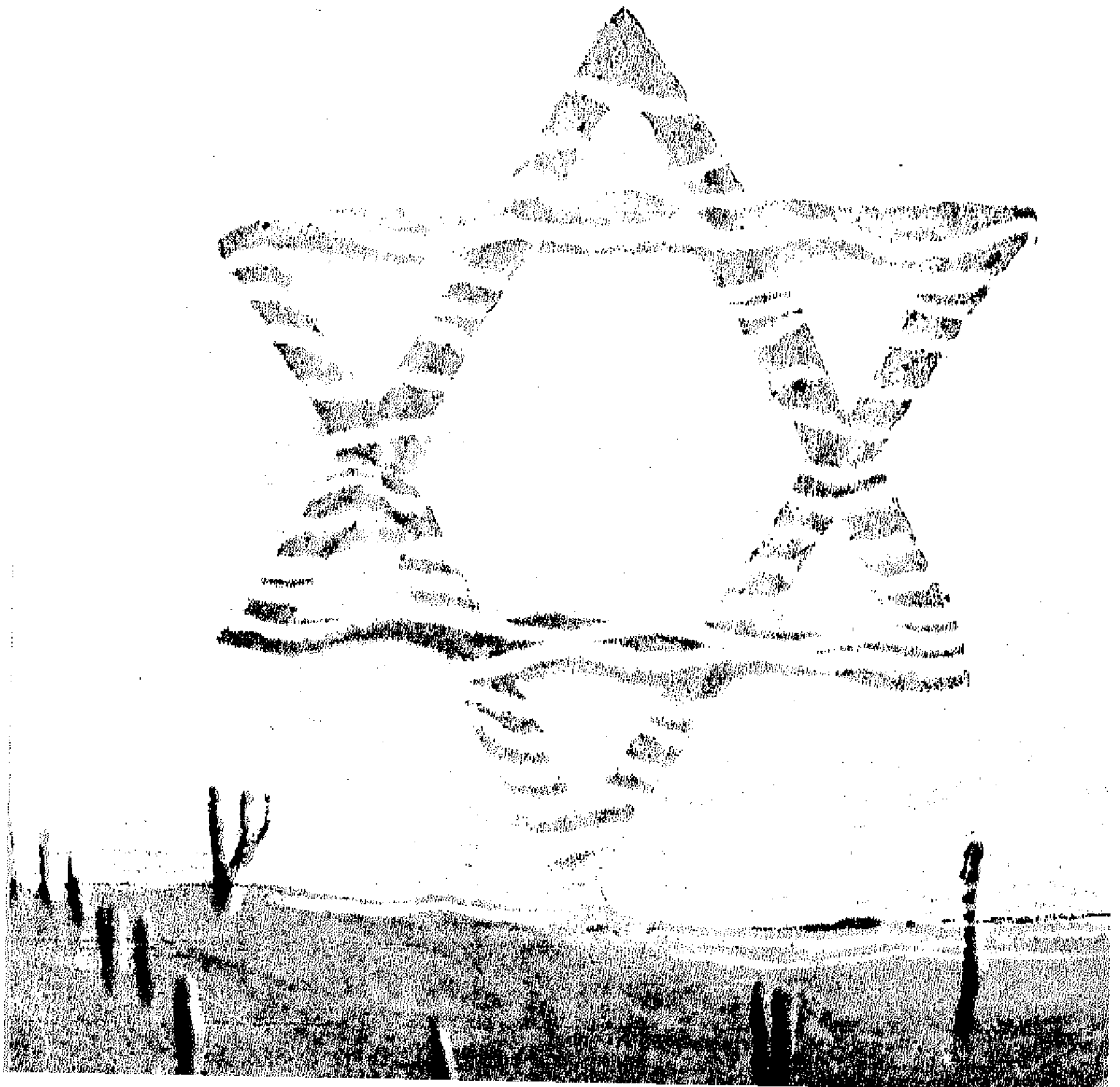




# إسرائيليات

أحمد بهاء الدين



# كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

العدد ١٦٨ - ذوالقعدة ١٣٨٤ - مارس ١٩٦٥

No. 168 - Mars 1965

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب  
التليفون : ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي : ( ١٢ عددا ) في الجمهورية  
العربية المتحدة جنيه مصري - في السودان جنيه  
سوداني في سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشاً سوريا  
لبنانيا - في بلاد اتحاد البريد العربي جنيه و ٣٠٠  
مليم - في الأمريكتين ٥ دولارات ونصف - في سائر  
انحاء العالم ٣٥ شلناً

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آنية ،  
ليبيا ( بنغازي وطرابلس ) ١٥٠ مليم ، الجزائر ١٧٥  
فرنكا ، المغرب ١٥٠ فرنكا



# كتاب الهدى



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع





# إسرائيليات

---

بقلم

أحمد بهاء الدين

---

دار الحسنة



## مقدمة

مع أن اسرائيل موضوع تطرقه الصحافة والاذاعات  
في شتى أنحاء البلاد العربية كل يوم بل وكل ساعة ..  
فإن ما نعرفه عنها قليل !

يخيل لى أن أكثر حديثنا يتجه الى « اسرائيل بمعناها  
المباشر ، المائل للعين المجردة » ، أى اسرائيل الدولة  
التي قامت بالغزو ، والتي تحتل من الأرض العربية  
مساحة محددة . اسرائيل التي قامت بفعل قوى أجنبية ،  
وما زالت تستمر بفعل هذه القوى . اسرائيل التي  
لا تقنع بما حققت : بل انها لا تكف عن طلب المزيد من  
المهاجرين ، وعينها دائما على المزيد من التوسع

اسرائيل ، بهذا المعنى المباشر المائل للعين المجردة ،  
تحدث عنه كل يوم وكل ساعة .. ولكن الذي لا نتحدث

عنه كثيرا ، ولا تتوقف عنده الا نادرا هو : اسرائيل  
بمعنى التحدى الحضارى الذى تنطوى عليه .. التحدى  
الحضارى لهذه الأمة العربية . فقد كان قيام اسرائيل  
فى حد ذاته علامة من علامات ضعف المنطقة العربية  
وتخلفها الحضارى



مهما كانت القوى التى ساهمت فى اقامة اسرائيل ،  
فلا مفر من الاعتراف بأن الحركة الصهيونية النشيطة  
هى التى لعبت الدور الأساسى ، وهى التى جعلت تدخل  
هذه القوى الدولية لحسابها أمرا ممكنا

ومهما كانت — أيضا — هذه القوى التى وضعت  
بمصالح العرب : فلا مفر من الاعتراف بأن الحركة  
العربية كانت على درجة من الضعف والتفكك وعدم  
الرؤية بحقائق العصر ، جعلت انتصار هذه القوى عليها  
سهلا وممكنا

تلك هى الحقائق التى يجب أن نواجهها .. واذا لم  
نعترف بهذه الحقائق ونواجهها ، فكأننا لم نتعلم من  
كارثة فلسطين شيئا !

واذا كنا لا نعترف بهذه الحقائق ، فكأننا لا نعرف

— بعد — أبعاد الصدام مع إسرائيل ..  
ان هذا الصدام ليس معركة عسكرية وليس معركة  
سياسية . انه شيء أوسع من هذا وأعمق . انه معركة  
حضارية . والحرب والسياسة ليسا سوى عنصرين  
عابرين من عناصر واحتمالات المعركة الكبرى الطويلة  
الأمدة ، هي هذه المعركة الحضارية ..



والكيان العربى الذى يستطيع أن يواجه تحدى  
اسرائيل ، ويتخطاه .. ليس مجرد حشد عسكري قوى  
أو عمل سياسى بارع . ان هذه أيضا عناصر هامة :  
ولكن الأهم منها أن يكون هذا الكيان نفسه مستكملا  
سائر أسباب القوة الحضارية : من تقدم مادي ومعنوي  
وثقافي وعلمي ..

ولكى نفهم التحدى الذى تفرضه اسرائيل علينا ،  
يجب أن نفهمها من الداخل .. يجب أن نفهم العوامل  
القديمة والجديدة التى تدخل فى تكوين هذا التحدى ..  
سواء كانت هذه العوامل موجودة فى التاريخ القديم أو  
فى التاريخ المعاصر .. سواء كانت هذه العوامل موجودة  
داخل اسرائيل أو خارج حدودها .. سواء كانت هذه

العوامل موجودة في مجال السياسة ، أو الاقتصاد ، أو  
الفكر ، أو الفن ، أو التراث ..

اتنى أطالب بأن تكون الجبهة التي نواجه عليها  
اسرائيل أوسع من الكيامترات التي تتكون منها  
حدودها الجغرافية .. لأن هذه الجبهة بالفعل ، شئنا أم  
أبيننا ، أطول من هذه الحدود .. وأعمق من المسافة  
التي تفصل بين خطوط الهدنة .. والبحر ا

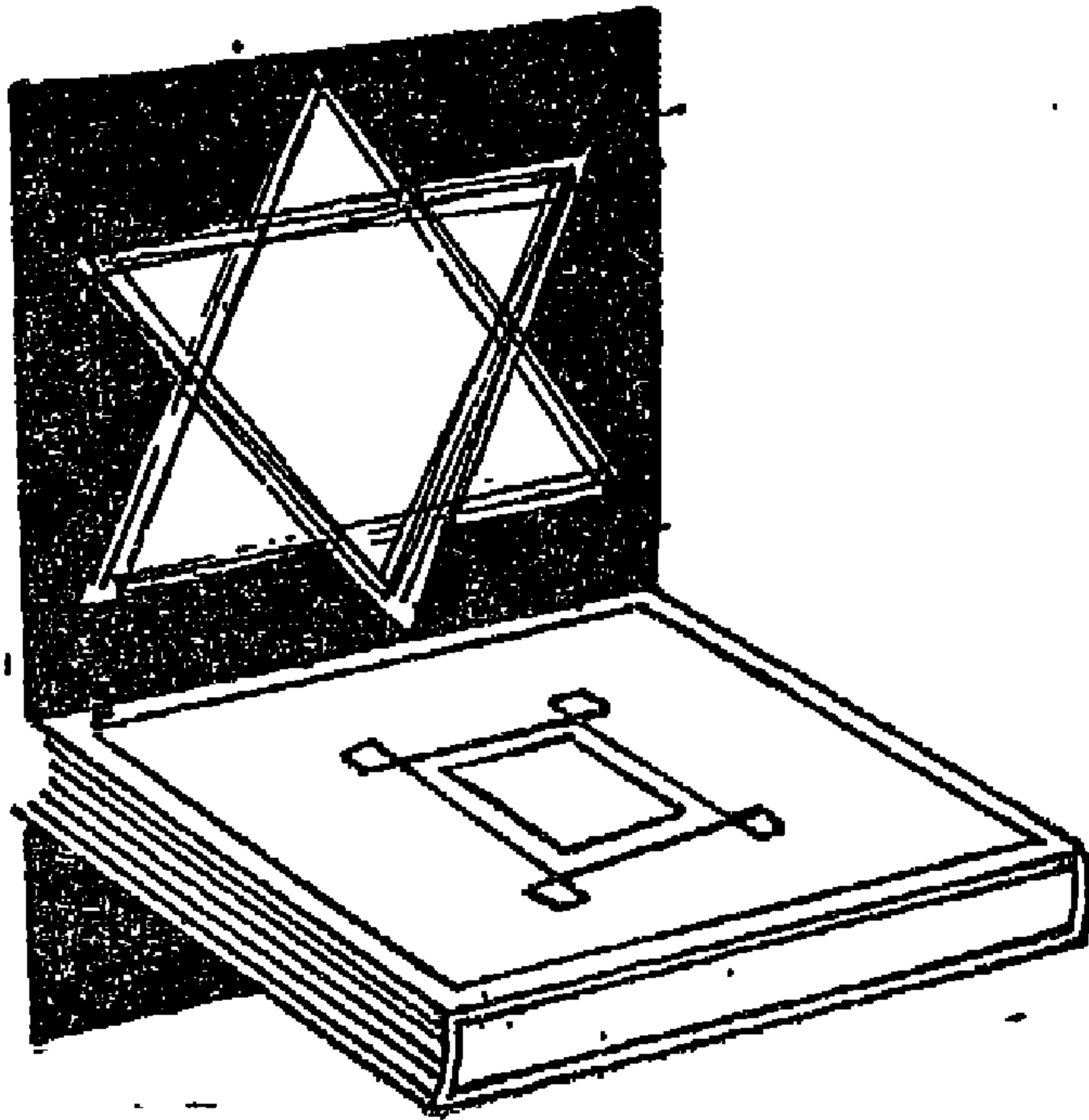
والكتاب الذي بين يديك محاولة في هذا الاتجاه

احمد بهاء الدين

## الفصل الأول

### مدخل إلى السرائيل !

- أسرار العمل الدبلوماسي الصهيوني خلال نصف قرن
- الفروق بين اليهودية والصهيونية
- قيصر روسيا .. والخليفة التركي .. ثم إلى الله
- متى اشتعلت قيادة الحركة إلى أمريكا ؟
- وايزمان .. من ردت إلى ترومان
- رد فعل العرب



هذا الكتاب بالغ الاهمية ..

انه لا يستعرض تاريخ الحركة الصهيونية او تاريخ اسرائيل .. ولكنه يركز على نقطة واحدة هي : العمل الدبلوماسي الصهيوني ، الذي كان يتم دائما على كل مستويات السلطة والنفوذ في أوروبا وأمريكا ..

انه يروي قصة الحركة الصهيونية وهي تضغط على أبواب الخليفة التركي ، ثم القيصر الالماني ، ثم رئاسة الوزارة الانجليزية .. وأخيرا : البيت الابيض والكونجرس في الولايات المتحدة ...

ومؤلف الكتاب شاب اسمه « الن تايلور » والعنوان الاصلى للكتاب هو : Prelude to Israel أى « مدخل الى اسرائيل » . والكتاب نفسه مطبوع في الولايات المتحدة الامريكية ، فهو لا يمكن أن يتهم بأنه متحيز ضد الصهيونية ، لاي سبب من الاسباب ..

وليست قيمة الكتاب في أنه وثيقة خطيرة ضد الحركة الصهيونية وضد اسرائيل وضد الدول التي ساعدتها على أن تقوم .. ولكن قيمته أيضا في أنه درس خطير للعرب ، يفتح عيونهم على مايدور في هذا العالم من تيارات تحتية ومن أساليب في العمل السياسي ...

يقول المؤلف ان هدفه من هذا الكتاب هو الكشف عن جذور الصهيونية كحركة سياسية ، وكيف تبلورت أهدافها



ثم كيف انطلقت تعمل في سبيل تحقيق هذه الاهداف

ومن البدء ، ينبه المؤلف الى أن القول الشائع بأن الصهيونية حركة دينية ، قول غير صحيح . . فهي في الواقع حركة سياسية ، قامت تحمل الرد السياسي على نزعة معاداة السامية ، ذلك الرد الذي تلخص في : خلق دولة صهيونية ، واعطاء « اليهودية » صفة القومية

انها حركة سياسية ، غير دينية ، قامت في شرق أوروبا من جراء اضطهاد اليهود في روسيا وبولندا وألمانيا . . ولكنها ، طمعا في تأييد يهود العالم ، عمدت الى استخدام تلك الفكرة الرومانتيكية ، « فكرة العودة » . . ومن هنا خلط الناس بين « الصهيونية » وبين « اليهودية » ، رغم ان الصهيونية في أساسها حركة غير دينية

الخطأ الثاني الشائع ، الذي يقول المؤلف انه يريد أن ينفيه ، هو : الوهم الذي يظن أن قيام دولة اسرائيل جاء مصادفة ، نتيجة للامل اليهودي القديم في العودة الى فلسطين . وهذا غير صحيح . فالحقيقة التي يريد أن يثبتها الكتاب هي أن اسرائيل قامت نتيجة للجهـد المخطط المنظم الذي بذلته الحركة الصهيونية . ان الصهيونية تبدو لمن يتأملها تأملا عابرا ، حركة مليئة بالفرق والشيخ والاحزاب ، ولكن من يحلل سياستها وتصرفاتها ، يجدها تتم في ترتيب وتنسيق عجيبين ، يوحى بوجود قيادة واحدة على الدوام . ويقول المؤلف هنا : انه قد يكون من المتعذر أن تثبت وجود قيادات عليا تقوم بهذا التخطيط . ولكن النظر الى انسجام تصرفاتها يجزم بوجود هذا التصميم المدروس

ملاحظة ثالثة وأخيرة يسجلها المؤلف في تقديمه للكتاب ، هي : ان كلمة الصهيونية في كتابه انما تنصرف

الى الصهيونية السياسية . ففي بدء الحركة الصهيونية كانت هناك صهيونيتان على الاقل : صهيونية ثقافية ، تهتم ببعث اللغة اليهودية والثقافة اليهودية ، وصهيونية سياسية لا تستهدف سوى اقامة الدولة اليهودية وهذه الصهيونية السياسية ، كانت في البدء مستعدة لاقامة الدولة في أى مكان آخر ممكن ، غير فلسطين ، مما يؤكد أنها كانت منصرفة في الدرجة الاولى الى اسباغ صفة القومية السياسية على العنصر اليهودي ، وأن فكرة «العودة» الدينية الى فلسطين لم تظهر الا فيما بعد ، كورقة رابحة لا غير ..



فكرة الصهيونية في حد ذاتها ، عاشت خلال قرون طويلة كناحية من نواحي اليهودية والمسيحية على السواء . في اليهودية كانت تعيش نتيجة ربط اليهودية بالملكة العبرية القديمة في فلسطين . وفي المسيحية ، بدأت توجد منذ عصر كرومويل حين كان هناك اعتقاد بأن مرور ألف سنة على رسالة المسيح سيضمن انادة اليهود الى فلسطين ولكن الصهيونية كحركة صهيونية ، ليست سوى من هواليد القرن التاسع عشر . فقد بدا لبعض الوقت أن حركة التحرر والمساواة التي بدأت تغزو أوروبا مسرعة تحل مشكلة اليهود . ولكن اعترض ذلك عقبتان : العقبة الاولى جاءت من اليهود انفسهم ، الذين كرهوا ما يحمله هذا التحرر من احتمال اندماجهم في الآخرين . . حتى أن ناحوم جولدمان ، الرئيس الحالي للحركة الصهيونية العالمية ، يقول « ان اقامة دولة يهودية هدفه حفظ الشعب اليهودي من خطر التحرر والاندماج » . أما العقبة الثانية فكانت من أوروبا نفسها : فحين بدأ التسامح الديني يسود ، أخذ التعصب القومي الذي كان بارزا في القرن

التاسع عشر يتخذ مظهرا عنيفا ، جعل عملية تقبل اندماج اليهود في القوميات البازغة يصبح صعبا من جديد

نم جاء حادث هام : هو حادث اغتيال القيصر اسكندر الثاني في روسيا سنة ١٨٨١ ، فقد أرادت السلطات الروسية وقتها ان تجعل من اليهود كبش الفداء في هذا الحادث ، فاندلعت عاصفة من ذبح اليهود واضطهادهم . . أدت الى موجة من الهجرة الى غرب أوروبا وأمريكا . ولكن ثلاثة الاف من المهاجرين اليهود ذهبوا في تلك السنة الى فلسطين . وفي سنة ١٨٨٢ أقاموا « مستعمرة ريشون ليزيون » بالقرب من يافا

وفي نفس تلك السنة ، ظهرت في روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم Chibbath Zion أى «حب صهيون» ، وكان أنصارها يتجمعون في حلقات اسمها « أحباء صهيون »

كانت أهداف هذه التجمعات هي الهجرة الى فلسطين وإحياء اللغة العبرية . وهكذا ظهرت لأول مرة بذور الصهيونية السياسية

وقد تم الاعتراف بهذه الجمعيات في سنة ١٨٩٠ تحت اسم « جمعية مساعدة الصناع والمزارعين اليهود في سوريا وفلسطين »

كان رئيس هذه الحركة يحمل اسم « ليون بنسكر Leon Pinsker » . وكان قبل ذلك رئيسا لاحدى جماعات أحباء صهيون . وهر في الواقع أول من دعا الى إقامة وطن قومي لليهود ، دون التمسك بأى مكان معين لهذا الوطن . .

ولكن هذه الحركة لم تلبث أن تصدت لها معارضان : الأولى من اليهود أنفسهم ، الذين عارضوا فكرة الوطن

اليهودى ايا كان ، والمعارضة الثانية من الامبراطورية العثمانية  
اذ اصدر الباب العالي سنة ١٨٨٨ فرمانا يقضى بمنع اية  
هجرة جماعية يهودية الى اراضى الدولة العثمانية ، ولا  
يسمح للحجاج اليهود بقضاء أكثر من ثلاثة اشهر فى  
فلسطين ..

وتجمدت الحركة تماما ..

اما الرجل الذى دفع بهذه الحركة الى الوجود مرة اخرى  
فهو يهودى مجرى ، تعلم فى فيينا ، اسمه تيودور هرزل

كان هرزل قانونيا بدراسته ، ولكنه كان يعمل صحفيا  
يراسل احدى صحف فينسا من باريس ، حين اثيرت  
« قضية دريفويس » الشهيرة فى فرنسا ، سنة ١٨٩٤

وأدرك هرزل ما تنطوى عليه ظروف هذه القضية من  
نزعة عداوية للسامية . ووصل هرزل الى نتيجة هى انه اذا  
كانت فرنسا بلد الحريات يمكن أن تهب عليها عاصفة من  
هذا النوع ، فمعنى ذلك أنه من الممكن أن تتخلى  
معاداة السامية أشكالا أشد عنفا وقسوة فى سائر بلاد  
أوروبا التى ليس لها أى حظ من التحرر الفرنسى ..

وفى صيف نفس السنة ، ١٨٩٤ ، اصدر هرزل كتابا  
صغيرا بعنوان « الدولة اليهودية » : يدعو فيه الى اقامة  
مستعمرة يهودية تحت وصاية انجلترا ، تكون فى فلسطين  
أو فى الارجنتين ، على أن تتطور بعد ذلك الى دولة يهودية  
قومية مستقلة ذات سيادة

ولا شك أن حديث هرزل عن امكان اقامة وطن قومى  
 لليهود فى الارجنتين ، يستوقف النظر . فهو يدل على أن  
الحركة الصهيونية ظهرت الى الوجود لاسباب سياسية فقط  
هى الرد على حركة معاداة السامية ، وليس لتحقيق نبوءات  
اليهودية القديمة فى العودة الى فلسطين . وقد بقى جوهر

الصهيونية هكذا دائما سياسيا تماما ، وغير ديني . صحيح  
أن فكرة «العودة» الرومانتيكية قد أدخلت عليها بعد ذلك ،  
ولكن لا لسبب سوى الاستفادة من جلابيتها في كسب  
الانصار . اما الحركة الصهيونية فقد بقيت على الدوام كما  
ولدت : حركة عملية واقعية لا مذهبية . . حركة سياسية  
للرد على مشكلة سياسية معينة ، لا لتحقيق نبوءة دينية

كان لنشر كتاب هرزل ردود فعل مختلفة ، ولكنه جمع  
حوله عددا لا بأس به من الانصار ، شجعه على الدعوة الى  
عقد أول مؤتمر صهيوني عالمي ، وهي الفكرة التي سبق ان  
اقترحها نفس الرجل الذي نجت كلمة « صهيونية » وهو  
ناثان برنباوم Nathan Birnbaum .

وفي أغسطس ١٨٩٧ ، انعقد أول مؤتمر صهيوني  
عالمي ، في مدينة « بال » السويسرية . وفي خطاب  
الافتتاح ، قال هرزل « اننا هنا لنضع حجر الاساس في  
بناء البيت الذي سوف يأوى الامة اليهودية » . ثم اقترح  
برنامجا من ثلاث نقاط :

أولا - تشجيع القيام بحركة هجرة منظمة واسعة  
النطاق الى فلسطين

ثانيا - الحصول على اعتراف دولي بشرعية هذا التوطن  
في فلسطين

ثالثا - انشاء منظمة دائمة لضم صفوف يهود العالم  
أجمع وراء القضية الصهيونية

ويقول المؤلف : ان هذه الاهداف الثلاثة ظلت وما تزال  
هي المهمات الاساسية للحركة الصهيونية : جمع اليهود في  
فلسطين . الحصول على تأييد الدول الاجنبية . وكسب  
اليهود الى صف الفكرة الصهيونية

واذا كان هرزل قد استخدم كلمة « دولة » في التعبير عن هدف الصهيونية ، الا أن المؤتمر في قراراته النهائية فضل استخدام كلمة Heimstatt أى Hamestead حتى لا يحدث رد فعل عنيف

ويرى المؤلف أن هرزل أثناء مناقشة الصياغة وهل يقال دولة أو وطن قومي ، قال : « لا تهتم بالصياغة ! سيقراها اليهود على أى حال على أنها « دولة يهودية » وقبل أن يتم المؤتمر أعماله ، كان قد فرغ من وضع أول نظام للمنظمة الصهيونية العالمية ، بما فيها من أجهزة قيادية وأجهزة تقوم مقام وزارة الخارجية في أى بلد . فمنذ سنة ١٨٩٧ كان قد تم وضع الخطة ، ورسم الاهداف واقامة « جهاز حكومة » يتولى التخطيط والتنفيذ وانطلق هرزل ، بوصفه أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية ، الى العمل

كان هرزل يعلم جيدا ، أن حجر الاساس في اقامة هذا الحلم ، هو : موافقة الدول الاجنبية ذات الشأن ، نفس الخط الذي لم تتركه الصهيونية لحظة واحدة ، قبل قيام دولة اسرائيل وبعد قيامها . . .

ولجأ هرزل أول الامر الى أحد الحكام الاقوياء في اوربا ، هو الامبراطور غليوم الثانى : بداية المرحلة وراء الاقوياء من المانيا الى انجلترا ثم الى امريكا . . .

لجأ هرزل الى القيصر غليوم الثانى الذى كانت تراوده أحلام قدسية في الشرق ، اذ قسب إليه في القسطنطينية ، سنة ١٨٩٨ ، خلال رحلة القيصر في أرجاء الامبراطورية العثمانية . واقترح هرزل على القيصر اقتراحا خبيثا : اقترح عليه انشاء شركة لاستثمار الاراضى ، يباشرها الصهبيون تحت حماية ألمانيا واشرائها . وقال القيصر انه سيفكر في الامر . وطارد هرزل القيصر حتى

قابله مرة ثانية خلال نفس الرحلة ، في فلسطين ، يوم ٢  
نوفمبر سنة ١٨٩٨

ولكن القيصر كان قد عقد عزمه على الرفض . وقال ان  
مثل هذا العمل سوف تعتبره الامبراطورية التركية تدخلا  
غير مباشر في شئونها . وقد يثير الدول الاخرى المتربصة  
بنهاية الامبراطورية التركية المريضة : انجلترا وفرنسا  
وروسيا . .

وقرر هرزل أن يقصد الباب العالي مباشرة . وفي مايو  
سنة ١٩٠١ توصل الى مقابلة السلطان العثماني في  
القسطنطينية . وطرح عليه نفس الموضوع بشكل آخر  
ملائم له ، هو : أن يقوم اليهود بمساعدة السلطان على اعادة  
تنظيم المالية التركية المرتبكة ، واستثمار الاراضي المهملة  
في الامبراطورية مقابل السماح بالهجرة الى فلسطين .  
ولكن السلطان قال انه لا يستطيع أن يسمح بهجرة يهودية  
جماعية الى فلسطين

وازاء هذا الفشل ، نقل هرزل نشاطه الى الدولة التي  
اقترحها من قبل ، كراعية للحركة الصهيونية ، وهي  
انجلترا . .

وفي سنة ١٩٠٢ ، دخلت المنظمة الصهيونية في  
مباحثات جدية مع الحكومة الانجليزية بقصد اقناع انجلترا  
بمنح الحركة جزءا من شبه جزيرة سيناء ، يقيمون فيها  
وطنهم القومي ، كجزء من الامبراطورية البريطانية  
كانت انجلترا في ذلك الوقت تحتل مصر ، التي تتبعها  
شبه جزيرة سيناء ، وكانت سيناء بذلك اقرب مكان ،  
تحت النفوذ الانجليزي ، الى فلسطين . ولا شك أن  
الحركة الصهيونية اختارتها ، رغم جفاف الطبيعة فيها ،  
كنقطة ملائمة للوثوب على فلسطين عندما يحين الوقت .

فضلا عن أن سيناء أيضا مكان جرت فيه ذكريات دينية  
يهودية . ولنتذكر هنا ، أن بن جوريون ، بعد هذه  
المباحثات بنصف قرن ، انتهز فرصة حوب السويس التي  
شنها على مصر بالاشتراك مع انجلترا نفسها ، ليوقف في  
برلمان دولة اسرائيل ويعلن ضم سيناء الى اسرائيل !

المهم ، ان المباحثات توقفت . لان انجلترا ، كما يقول  
المؤلف ، وجدت معارضة مصرية . . . لسنا نعرف  
قصتها بالضبط ، ولكنها في رأى المؤلف : كانت أول  
اشارة الى معارضة العرب في اقامة وطن قومي يهودى على  
أرضهم . .

وبعد سنة ، توصل هرزل الى عقد مشروع اتفاق آخر مع  
الحكومة البريطانية يقضى بمنح أوغندا للمنظمة الصهيونية  
بقصد تعميرها والتوطن فيها . وقدم هرزل هذا المشروع  
الى المؤتمر الصهيونى السادس . ولكن يبدو أن المؤتمر لم  
يتحمس للفكرة كثيرا ، أو وجدها محتاجة الى دراسة ،  
فقرر فقط ارسال بعثة الى أوغندا لدراسة امكانياتها

ومات هرزل سنة ١٩٠٥ ، قبل اتخاذ أى قرار نهائى  
فى الموضوع ، فكانت النتيجة ان الحركة الصهيونية  
انقسمت بعد موته الى فريقين : فريق يرى أن المخرج  
الوحيد لليهود هو الاسراع بقبول أى عرض لاقامة دولتهم ،  
فى فلسطين أو فى غيرها . وفريق يرى انه اما فلسطين  
والا فلا لأن فلسطين هي المكان الوحيد الذى يمكن أن  
ينجذب يهود العالم اليه

فلما جاء المؤتمر الصهيونى السابع سنة ١٩٠٥ ، انتصر  
الفريق الثانى ، واتخذ المؤتمر قرارا يعلن أن الحركة  
الصهيونية يجب أن تستهدف اقامة وطن اليهود القومى  
فى فلسطين بالذات



ومن سنة ١٩٠٥ ، الى سنة ١٩١٤ ، يوم نشبت الحرب العالمية الاولى ، كان التوطن اليهودى فى فلسطين يتزايد فى صمت والحاح ، حتى وصل عدد المستوطنين الجدد الى ١٢ ألفا ، يعيشون فى تسع وخمسين مستعمرة ..

وكان النفوذ الصهيونى ، قد هاجر بنفس الكثافة الى لندن حيث تركز هناك : فانجلترا كانت القوة العالمية الكبرى ، التى يمكنها أن تمنح اليهود ما يشاءون ..

كانت الحرب العالمية الاولى نقطة تحول تاريخية ، بل وفرصة ذهبية للحركة الصهيونية

فها هى الامبراطورية التركية ، واضعة اليد على فلسطين ، تدخل فى صدام مسلح حاسم مع انجلترا ، التى بدأت تتقبل الحركة الصهيونية وتبحث عن طريقة مناسبة لاستخدامها . والرهان على انهيار الامبراطورية التركية المريضة وانتصار انجلترا والحلفاء ليس صعبا . لهذا كان طبيعيا أن تجد الحركة الصهيونية فى هذه الحرب فرصتها الذهبية ، بشرط : أن تضع كل ثقلها الى جانب انجلترا وأن تتأكد من حصولها على الثمن المناسب

وبرز فى هذه المرحلة اسم « حايم وايزمان » . وكانت ترشحه لقيادة الحركة الصهيونية ظروف كثيرة

فهو من جهة ، كان أحد الداعين الى تآلف واندماج كل التيارات فى الحركة الصهيونية ، والى ضرورة الجمع فى آن واحد بين الجوهر السياسى للحركة والورقة العاطفية الراححة ورقة « العودة »

وهو من جهة أخرى ، كان قد توطن فى انجلترا وبدأ فيها نشاطا سياسيا واسعا بالفعل . وفى سنة ١٩٠٤ هاجر هذا الكيمياى الروسى الى لندن حيث عاش وبدأ يتصل بالكتاب والصحفيين والسياسة من جميع الاحزاب

وكان أول نجاحين له هما : أولا توصله الى عقد صداقة قوية مع لورد بلفور ، الذى لم يكن قد أصبح وزيرا بعد ، والذى قال مرة وهو يقدم وايزمان الى بعض أصدقائه : « هذا هو الرجل الذى جعلنى صهيونيا ! » ..

وثانيا توصله الى كسب « سكوت » رئيس تحرير المانشستر جارديان ، احدى الصحف الكبرى ذات النفوذ

وكان « سكوت » هذا هو الذى عرف وايزمان الى بعض الوزراء الانجليز لأول مرة : عرفه على « هربرت صامويل » ، الوزير اليهودى ، كما عرفه على « لويد جورج » الذى أصبح رئيسا للوزراء فيما بعد : وهكذا بدأ تمهيد الارض لكى تمارس الدبلوماسية الصهيونية عماها وتؤتى ثمارها ..

ويتساءل المؤلف : ترى ما هو السبب الدفين وراء تلك الموجة من تأييد الصهيونية ، التى نمت ، ويا للغرابة ، فى هذا المجتمع الانجليزى المسيحى ؟ ..

ويورد المؤلف رد المؤرخ الانجليزى الكبير ارنولد توينبى على هذا السؤال ..

يقول توينبى : ان المصدر الاول لهذه الموجة هو شعور دفين بالذنب لدى بعض غير اليهود ، الذين هم فى قرارة نفوسهم معادون للسامية ، رغم عدم رضاهم العقلى عن هذا الشعور ، فهم « يكفرون » عنه بتأييد اليهود علنا . والمصدر الثانى فى رأيه هو ان هذا نموذج انجلو سكسونى من نماذج المكيافيلية الممتزجة بالفرنسية !!

أى نموذج من قدرة الانجلوسكسون على مزج أهدافهم السياسية والمصلحية بشعارات تبدو انسانية واظن ان هذا التفسير الثانى هو الاصدق ، مع عدم استبعاد التفسير الاول استبعادا نهائيا

فمصلحة الانجليز في تبني هذه الحركة الصهيونية واضحة : فحيثما حل الاستعمار الانجليزى نجده يعمد الى اقرب مشكلة من مشاكل الاقليات فيخلقها اذا لم تكن موجودة ، وينميها اذا كانت موجودة ، وذلك بتصدد استخدامهما في خلق مشكلة تصرف الشعب عن مشكلته مع الاحتلال . ولكي يوجد دائما « نقطة ضعف » داخلية في المجتمع يبنى عليها وجوده ، واستمرار تدخله . ولكي يكون له في النهاية قطاع من المجتمع مستفيد من وجود الاستعمار ومرتبطة به .

وفي منطقة كبرى بالغة الخطورة كالمنطقة العربية . . . وابان ثورة عربية كانت تتبلور تحت جناح الظلام التركى المنسحب . . . لماذا لا يوجد هذا الجسم الطارىء الغريب ، هذا الجسم الصهيونى ، الذى قدم نفسه لانجلترا بالتاكيد على انه مندوب لها ، وقطعة مرتبطة بها ، ابقى لها في المنطقة من اى جيش مسلح ؟

فاذا غطت انجلترا هذه المصلحة بغطاء انساني شفاف هو : الرغبة في حل المشكلة اليهودية . . . واذا كسبت الى جانب ذلك تأييد كل اليهود لها ، وتحولهم الى شبه عملاء لحسابها ، باموالهم وانتشارهم الاوروبى الكبير . . . فلماذا ترفض انجلترا كل هذا الاغراء . . .

ويضيف المؤلف الى هذا كله : ان كثيرا من الغربيين قد خلطوا بين الصهيونية والليبرالية ، وهى نزعة التحرر الانسانى والمساواة . فظنوا ان الصهيونية تحاول حل مشكلة اليهود ، وحل مشكلة اليهود خطوة منطقية مع موجة التحرر الانسانى والمساواة . وجهلوا بسبب هذا الخلط ان « المتحررين » حقا هم اليهود الداعون الى اندماج اليهود في المجتمعات التى يعيشون فيها ، اما اليهود الصهيونيون ، فهم انما يقدمون حلا عنصريا دينيا

متعصبا ، وليس حلا انساني متحررا متسامحا

المهم ، ان الاداة الصهيونية في انجلترا بدأت تتحرك ،  
بدرجة عالية من التنظيم والدراية ..

ففى نوفمبر ١٩١٤ ، كتب « حايم وايزمان » الى صديقه  
رئيس تحرير المانشستر جارديان شارحا الخط الصهيونى  
فقال بالحرف الواحد :

« من الممكن الان ان نقول انه اذا وقعت فلسطين فى  
دائرة النفوذ البريطانى ، واذا شجعت انجلترا بعد ذلك  
توطن اليهود هناك ، كمستعمرة بريطانية ، فاندانسطيع  
ان نوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالى مليون يهودى  
فى تلك البلاد : فيطورونها ، وينقلون الحضارة اليها ،  
ويكونون بمثابة حرس فعال لقناة السويس »

وقد اسمعهم فى هذا الجزء الاخير أن لورد كتشستر كان  
من رايه ايضا ان فلسطين هى الموقع الاستراتيجى الذى  
يجب الاعتماد عليه للدفاع عن قناة السويس فى المدى  
الطويل .. فأخذوا ينشرون هذا ويذيعونه ..

تلك اذن هى الخطة الصهيونية لمرحلة الحرب العالمية  
الاولى :

- ١ - ان ينتصر الحلفاء ، وعلى رأسهم انجلترا
  - ٢ - ان تكون فلسطين من نصيب انجلترا
  - ٣ - أن تسهل انجلترا استيطان اليهود فى فلسطين
  - ٤ - ان ينتهى الامر بسيطرة اليهود على فلسطين ، فى  
مقابل استمرارهم فى خدمة مصالح انجلترا بحراسة قناة  
السويس لحسابهم
- ويلاحظ المؤلف ان كل هذه النقاط الاربع قد  
تحقت ..

وأضيف : انها تحققت حتى وقوع حرب السويس .  
فاشترك اسرائيل مع انجلترا فى الهجوم على مصر ،  
بمناسبة تأميم قناة السويس ، فى المؤامرة المشهورة ،  
هو حدث غريب ساقته الظروف لتأكيد تنفيذ البند الرابع  
من هذا « التفاهم »

وأظن أن نظرة المصلحة الانجليزية فى موضوع  
الصهيونية كلها ، منذ مطلع القرن العشرين ، أصبحت  
واضحة تماما . . غير محتاجة الى تحليلات توينبى  
النفسية !

وفى ذلك الوقت كان لويد جورج وهربرت صمويل قد  
بدءا فى اقناع سائر الوزراء الانجليز بهذه السياسة .  
حتى تعهد سير ادوارد جراى وزير الخارجية باقامة مثل  
هذه الدولة فى المستقبل ، منضما بذلك الى انصار  
الصهيونية فى مجلس الوزراء البريطانى

ولكن هذه السياسة ، مع ذلك توقفت قليلا مصطدمة  
بعقبتين ؟

العقبة الاولى : هى ان اسكويث رئيس الوزراء كان  
مرتبطا بسياسة احلال العرب محل الاتراك كأصدقاء  
وحلفاء لانجلترا فى الشرق الاوسط

والعقبة الثانية : ان كتلة كبرى من اليهود ، كانوا  
يرون ان حل مشكلة اليهود هو الذوبان فى المجتمع  
الاوروبى ، وأن خلق دولة صهيونية معناه زيادة النزعة  
المعادية للسامية فى أوروبا ، بدلا من اطفائها . .

ويروى المؤلف انه فى تلك الاثناء ، عرف وايزمان من  
لويد جورج ، الذى كان رئيسا للجنة المجهود الحربى ،  
ان انجلترا تبحث عن طريقة علمية لانتاج مادة الاسيتون  
واستخدامها فى انتاج المتفجرات بكميات كبيرة : وعكف

وايزمان سنة كاملة فى أبحاث متصلة لهذا الغرض ، حتى  
نجح أخيرا فى انتاج المادة المطلوبة . وبناء على ذلك ،  
وبتوسط لويد جورج ولورد بلفور الذى كان قد اصبحت  
وزيرا ، تم تعيين حاييم وايزمان فى مركز مرموق فى  
وزارة البحرية البريطانية . ويقول المؤلف ان وايزمان  
انطلق يعمل فى المجهود الحربى البريطانى دون ان يشير  
موضوع فلسطين . ولكن بلفور قال له مرة « اتعلم انك  
بعد الحرب قد تحصل على القدس التى تريدها » فبسبب  
انهمالك وايزمان فى عمله ، والتمن الذى كان يتوقعه ، لم  
يكن خافيا على أحد

. فى تلك المرحلة بالضبط ، اى فى سنة ١٩١٥ ، بدأت  
الحكومة البريطانية تتخذ لاول مرة خطوات جديدة رسمية  
فى اتجاه الصهيونية . وهى خطوات يقول المؤلف انها  
كانت مشوبة بالخطر ، لعلم الوزراء المؤيدين للصهيونية  
بميل رئيس الوزراء «اسكرويث» الى التزام جانب العرب .  
ففى مارس ١٩١٥ ، ارسل سير ادوارد جراى وزير  
خارجية انجلترا الى سير ادوارد بوكاتان سفير انجلترا فى  
سان بطرسبورج ، عاصمة روسيا القيصرية فى ذلك الوقت  
.. ارسل اليه مذكرة يشرح فيها رأى الحكومة البريطانية  
فى العلاقة بين فلسطين والصهيونية العالمية . كانت  
المذكرة تقول ان فلسطين هى الثمن الذى يمكن بواسطته  
كسب تأييد اليهودية العالمية كلها الى جانب الحلفاء .  
وكانت تقول ايضا انه لو اطلقت المنافسة بين العرب  
واليهود فى فلسطين فسوف تقع فلسطين تحت ادارة  
اليهود ..

وكانت تعليمات وزير الخارجية البريطانية الى سفيره  
تقضى بتسليم المذكرة الى « سazanوف » وزير الخارجية  
الروسى . ورد الروس على المذكرة بالموافقة ، بشرط

المحافظة على مصالح الكنيسة الروسية في الاراضي المقدسة  
وفي نفس السنة ، عين « مارك سايكس » مساعدا  
لوزير الحرب البريطاني ، واصبح الشرق الاوسط بالذات  
داخلا في اختصاصه . وبالتالي كان لابد أن تتجه شبكة  
الدبلوماسية الصهيونية الى هذا الوجه الجديد ، بغية  
اصطياده . وبالفعل تولى أمره صهيوني انجليزى اسمه  
« موسى جاستر » ، اعترف سايكس بعد ذلك بأنه كان  
الرجل الذى حوله الى نصير للصهيونية ، بعد توليه  
منصبه الخطير

وبعد وصول مذكرة سير ادوارد جراى الى سســان  
بترسبورج بقليل ، وصل سايكس الى العاصمة الروسية،  
حيث بدأ مباحثاته الشهيرة التى انتهت باتفاقية «سايكس  
- بيكو» المعروفة فى التاريخ العربى

كان المنطق الذى استخدمه سايكس هو : أن اليهود  
الامريكان يمكن ان يفيدوا قضية الحلفاء فائدة عظيمة  
بمساهمتهم فى اقناع امريكا بدخول الحرب فعسلا الى  
جانب الحلفاء . وقال سايكس لجورج بيكو وزير خارجية  
فرنسا : ان اعطاء الصهيونية حق اقامة وطن قومى فى  
فلسطين هو الورقة الوحيدة التى يمكن بها كسب يهود  
العالم بما فيهم يهود امريكا . وعلى الفور ارسلت الحكومة  
الفرنسية استاذا يهوديا فرنسيا ، اسمه فكتور باخ الى  
الولايات المتحدة ليتنصع يهودها بان انجلترا وفرنسا  
تضمنان حماية المستعمرات اليهودية فى فلسطين بعد  
الحرب . ولكن مهمة باخ فشلت فى امريكا . فلم يكن  
اليهود هناك وقتها مهتمين بالامر ، فبدأ سايكس نفسه  
يفقد اهتمامه بالصهيونية بعد ان وجد انها لن تسهم فى  
جر امريكا الى الحرب

ولكن اتفاقية سايكس - بيكو لم تقض على اى حال بتسليم فلسطين الى العرب ، انما قضت بتسليمها للانجليز ، مما ابقى الفرصة مفتوحة على مصراعيها امام الاهدابوماسية الصهيونية لمواصلة العمل . .

وفى اكتوبر سنة ١٩١٦ ، توصل الى سايكس صهيونى آخر ، ارمنى الاصل ، اسمه جيمس مالكولم ، نجح فى اثارة اهتمام سايكس من جديد بفائدة الحركة الصهيونية اذ اقنعه بان هناك قاضيا صهيونيا كبيرا فى امريكا ، هو القاضى برندايس « الذى تحمل اسمه الجامعة الامريكية التى اعطت بن جوريون دكتوراه فخرية منذ سنوات » ، وان هذا القاضى له نفوذ خاص لدى الرئيس الامريكى ويلسون ، وبالتالي يستطيع ان يساهم فى اقناع ويلسون بدخول الحرب الى جانب الحلفاء ضد المانيا . واقتنع سايكس من جديد بهذه الفكرة ، فعاد يستحث مجلس الوزراء البريطانى على قبول فكرة الدخول فى مفاوضات مباشرة مع المنظمة الصهيونية العالمية حول فلسطين . واخيرا وافق مجلس الوزراء البريطانى . واختير مالكولم هذا وسيطا بين الطرفين . وبدأ ممثلو الصهيونية العالمية فى انجلترا يستعدون لانتهاز الفرصة الكبيرة التى انفتحت امامهم . .

كان طلبهم الاول هو ان يسمح لهم باستخدام وسائل الاتصال الانجليزية للاتصال بالصهيونيين فى مختلف انحاء العالم . وببساطة غريبة وافسق مجلس الوزراء البريطانى على هذا الطلب الذى بدا له عاديا . ولم ينتبه ، فى رأى المؤلف الى ان هذه سابقة خطيرة فى التعامل الرسمى مع الصهيونية ، وفى ان وسائل المواصلات والاتصال البريطانية انما بدأت تستخدم فى الايحاء الى يهود العالم كلهم بان بريطانيا تؤيد الحركة الصهيونية



بالمئات من بين سائر ائتبارات اليهودية

وفى تلك المباحثات ، قدم الصهيونيون الى الحكومة الانجليزية مذكرة بعنوان « برنامج لانشاء ادارة جديدة فى فلسطين من وجهة نظر الحركة الصهيونية » . وكانت المذكرة تقترح انشاء شركة يهودية شبه حكومية تحت رعاية حكومتى انجلترا وفرنسا ، مهمتها تشجيع اليهود على التوطن فى فلسطين واستثمارها

وكانت سنة ١٩١٦ سنة سعيدة فى حياة الحركة الصهيونية . فقد ترك اسكويث رئاسة الوزارة ، وحل محله لويد جورج ، الذى كان قد انضم الى معسكر الصهيونية بالفعل ، كما عين لورد بلفور وزيرا للخارجية . وبهذا أصبحت القضية الصهيونية مكسوبة مقدما

\*\*\*

بعد شهرين بالضبط من تشكيل الوزارة البريطانية الجديدة ، قرر مجلس الوزراء تكليف مارك سيبايكس بالدخول فى مفاوضات رسمية مع الحركة الصهيونية . وانعقدت الجلسة الاولى فى بيت « موسى جاستر » ، الرجل الذى جاء - منذ قليل - ان سايكس قال عنه انه هو الذى كسبه الى هذه الصهيونية

حضر من الجانب الصهيونى موسى جاستر وهربرت صمويل ، وحاييم وايزمان وهارى ساشر ، وقد تكلموا جميعا فى ضرورة اعطاء اليهود صفة قومية ووضعها رسميا فى فلسطين ، مع منح نفس القومية لكل يهود العالم فى نفس الوقت ، دون ان يكون لهذا اثر على وضعهم فى بلادهم من الناحية السياسية . كما طالبوا باباحة الهجرة الى فلسطين دون اى قيد

وقال سايكس ان هناك بعض الاعتبارات التي قد تحول دون تحقيق هذه المطالب كلها : فروسيا مترددة ، والعرب سوف يعارضون ، وفرنسا ما زالت تطالب بأن تكون « سوريا الكبرى » كلها من نصيبها بعد الحرب ، بما فيها فلسطين

وكانت نقطة الارتكاز في حديث الجانب الصهيوني : ان الكيان الصهيوني الذي سيولد سيكون جزءا من الامبراطورية البريطانية ، وحارسا مضمونا لها في المنطقة ..

ويقول المؤلف معقبا على هذا الاجتماع : انه بالرغم من ان سكان فلسطين كانوا من العرب ، الا ان الصهيونيين لم يحسبوا حتى تلك اللحظة حسابهم قط . ولم يناقشوا موقفهم في أى مؤتمر من مؤتمراتهم السنوية . لذلك فقد خرج الصهيونيون من هذا الاجتماع وفي ذهنهم ان المشكلة الحقيقية ، بعد كسب انجلترا ، هي اقناع فرنسا ايضا ..

وقد حل الصهيونيون مشكلة روسيا بالموافقة على مبدأ اقامة هيئات دولية تشرف على الاماكن المقدسة . فبقيت فرنسا التى تطالب بسوريا كلها بما فيها فلسطين .. ثم ايطاليا ، التى يوجد فيها نفوذ البابا المسيحي وفى ٨ فبراير ١٩١٧ ، رتب سايكس لقاء بين سوكولوف وزير خارجية روسيا وجورج بيكو وزير خارجية فرنسا فى مقر السفارة الفرنسية بلندن ، وقال سوكولوف ان الصهيونيين يعتقدون انه من المهم جدا لمصالحهم ان تكون انجلترا هى التى تشرف على فلسطين بعد الحرب . ونجح سوكولوف فى كسب جورج بيكو ، ولكن بقى أن يكسب بقية الوزارة الفرنسية ، التى كان معظم افرادها يتمسكون بضرورة استيلاء فرنسا على سوريا

الكبرى كلها ، وكان المتحمسون لهذا الهدف يسسمون  
« بالحزب السوري »

وفى مارس سافر سوكونوف مع سايكس ، والصهيوني  
الارمني مانكولم الى باريس . . . حيث بدءوا الضغط على  
الجهات الفرنسية ذات النفوذ . ومن هناك سافر سايكس  
مع سوكونوف الى روما حيث يقول المؤلف « أن سوكونوف  
استطاع ، بعد جهد شديد ، ان يزيل مخاوف بابا  
المسيحيين بشأن مستقبل الفئات غير اليهودية في فلسطين،  
في حالة اقامة وطن قومي لليهود هناك »

وعندما عاد سايكس وسوكونوف من روما الى باريس ،  
قدم اليه « جول كامبون » سكرتير عام وزارة الخارجية  
الفرنسية مذكرة باسم الحكومة الفرنسية تعبر فيها  
عن تأييدها لمطالب الحركة الصهيونية

ماذا تغير في ذلك الوقت ، فجعل الفريق المؤيد  
للصهيونية في الوزارة الفرنسية ينتصر ؟ . .

انه تدخل مباشر من البارون ادموند روتشيلد ، الذي  
كان وايزمان قد اقنعه منذ زمن بالانضمام الى جانب وجهة  
النظر الصهيونية داخل اليهودية العالمية ، فكان روتشيلد  
يحمل معه كل ثقل تلك الاسرة المالية الشهيرة ، ذات  
الدور الطويل في تاريخ السياسة الاوروبية . .

هكذا اعلن بلفور انه مستعد لاصدار بيان يعلن فيه  
تأييد انجلترا الرسمي لمطالب اليهود في فلسطين :  
فرنسا موافقة ، وروسيا موافقة ، واليابا موافق ،  
والقاضي الصهيوني الامريكى براندايس أكد له من جديد  
ان الرئيس الامريكى ويلسون موافق

وصدر وعد بلفور الشهير . .

صدر محتويا على ثلاث نقاط :

أولا - تأييد انجلترا لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين

ثانيا - تعاون انجلترا مع اليهود لهذا الهدف

ثالثا - ان لا يؤثر هذا على حقوق المجتمعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، ولا على حقوق اليهود المقيمين في مختلف انحاء العالم

وكان هذا اقل مما طلبه اليهود . ولكنه كان نقطة تحول بالنسبة لهم . وسهل الامر لهم نجاحهم في دفع لويد جورج الى الادلاء بتصريح قال فيه « انه اذا اصبح اليهود اغلبية في فلسطين ، فانه من الممكن عندئذ ان تصبح فلسطين ( كومنولث يهودي ) » .

أى : يا أيها اليهود ! عليكم بالهجرة ! ويوم تصبحون اغلبية ، ستكون لكم فلسطين

\*\*\*

بالرغم من أن الحركة الصهيونية كانت تتجه بسرعة الى التركيز على الولايات المتحدة الامريكية ، الا أن بريطانيا بقيت مركزا رئيسيا للنشاط الصهيونى ، طالما أن بريطانيا مازالت هى الدولة المنتدبة في فلسطين . وعلى هذا ظل حاييم وايزمان وكثيرون من قادة الحركة الصهيونية يركزون التأثير الصهيونى على مركز السلطة في بريطانيا

وكان هذا بالطبع يقتضى منهم أيضا الالحاح فى توجيه الراى العام الوجهة التى تجسسل مهمتهم فى التأثير على الجهات العليا أكثر سهولة . مع استمرارهم فى نفس الوقت فى كسب شتى العناصر اليهودية غير الصهيونية الى جانبهم من جهة ، وفى مواصلة الهجرة الى فلسطين رغم كل القيود من جهة أخرى

ولم تكن حكومة جوزيف تشيمبرلين على علاقة حسنة بالحركة الصهيونية ، ولكن وايزمان ورفاقه ظلوا على صلة مستمرة بكل الشخصيات التي يمكن أن تكون في مركز السلطة يوما من الايام . ففي ذلك الوقت بالذات ، مثلا ، عمد وايزمان الى التعرف على ونستون تشرشل والتردد عليه أكثر من مرة والحصول على موافقته على مبدأ اسباغ صفة الدولة على المجتمع اليهودي في فلسطين . . كما ظل حريصا على ابقاء نفس الصلة مع لورد هاليفاكس وزير الخارجية . .

فلما تألفت وزارة تشرشل سنة ١٩٤٠ ، لم يكسب الصهيونيون فقط رئيس الوزراء الجديد ذا الميول الصهيونية ، بل كسبوا أيضا وجود وزراء آخرين كثيرين في هذا الاتجاه .

يظهر هذا واضحا من قصة السفينة « باتريان » التي يرويها وايزمان في مذكراته . فقد ضبطت السلطات البريطانية سفينة تحمل ٢٠٠٠ مهاجر يهودي يحاولون النزول في فلسطين بشكل غير قانوني ، فمنعوا انبعاثها من الاقتراب من الشاطئ . وتصادف ان انفجرت الباخرة وأصيبت بعطب ، وذهب وايزمان الى لورد لويد وزير المستعمرات يطلب منه اصدار أمر الى السلطات في فلسطين بالسماح لهم بالنزول . وقال لورد لويد لوايزمان : لقد أصدرت أمرا بمنعهم من النزول ، لانني أعرف انك سوف تذهب الى تشرشل وتستصدر منه أمرا بالغاء هذا القرار ، لقد سبقك وطلبت منه ألا يتدخل في ذلك ، فلا تتعب نفسك بالذهاب اليه

ثم يعقب وايزمان قائلا : ولكن لورد لويد نسي أن يسبقني الى لورد هاليفاكس ، فذهبت اليه . . واستصدرت منه أمرا بالسماح لهم بالدخول . .

كذلك نجح وايزمان فى اقناع الحكومة البريطانية بتكوين فرقة يهودية تقاتل الى جانب الحلفاء ، والغاءالاتجاه المضاد الى تكرين فرقة فلسطينية عربية ويهودية . وكانت تلك الفرقة اليهودية هى نواة جيش اسرائيل ، الذى حارب خلال الساعات الحرجة التى تلت اعلان قيام دولة اسرائيل وقد كان العمل من أجل ايجاد هذه الفرقة اليهودية عنيفا ومتواصلا فى جمع المجالات ، من الصحافة ، الى اقتراحات يقدمها النواب من حزبى المحافظين والعمال فى البرلمان ، الى ضغط واقناع لدى السياسة والقادة العسكريين . وفى سبتمبر سنة ١٩٤٤ أعلنت وزارة الحرب البريطانية أنها قررت المساعدة فى تكوين مثل هذه الفرقة . . . وبعد أن وجدت الفرقة ، أصبح لها نلمها المستقل . وفى الاستعراضات العسكرية أصبحت تحمل هذا العلم ، مؤكدة فى الازهان أن « اليهودية » أصبحت « قومية » لا مجرد دين : وكان ذلك العلم هو نفس علم دولة اسرائيل اليوم . .



وفى أكتوبر ١٩٤٤ ، بعد شهر واحد من تكوين الفرقة الصهيونية المسلحة ، طلبت الوكالة اليهودية من الحكومة البريطانية تحويل فلسطين الى « كومنولث يهودى » وأن تسمح بهجرة مليون ونصف مليون يهودى الى فلسطين ، بحيث يصبح اليهود فى فلسطين أغلبية تسمح بإعلان الدولة . واستطاع وايزمان أن يحصل على موافقة ونستون تشرشل الشخصية على اقامة الدولة اليهودية ، على الأقل فى جزء من فلسطين . ويعتقد المؤلف أن حكومة العمال التى جاءت بعد تشرشل - وخصوصا وزير خارجيتها ارنست بيفن - كانت أقل تعاونا مع الصهيونيين من حكومة

المحافظين ، وأن حكومة تشرشل لو بقيت بعد الحرب لقامت  
هي بإعلان دولة اسرائيل

\*\*\*

وفي خلال ذلك كله كانت الوكالة اليهودية تخلق أمرا  
واقعا خطيرا في فلسطين : بالهجرة السرية المستمرة ،  
وبالدعاية الهائلة بين يهود أوروبا ، دعاية كانت تجعلهم  
يتدفقون على مكاتب الهجرة السرية بالآلاف . . . وبتحريض  
الأسلحة الى فلسطين على نطاق واسع ، وبتكوين جيش  
الهاجاناه ، وبالسيطرة على الاقتصاد اليهودي كله وبجهاز  
المخابرات الذي كان يشترك فيه كل يهودي يعمل في  
حكومة فلسطين ، حتى أصبحت هناك دولة داخل الدولة ،  
دولة لها كل فروع الدولة وملامحها وأجهزتها . .

ويقول المؤلف : انه حتى الاعمال الارهابية من قتل  
ونسف ، التي كان زعماء الصهيونية يستنكرونها في  
تصريحاتهم ، كانت تتم بالتفاهم معهم . . بدليل أن  
بن جوريون رفض وقتذاك أن يتخذ أى موقف ضدهم ،  
وبدليل أن الوكالة تفاهمت مع هؤلاء الارهابيين بعد  
انتهاء المعركة تفاهما كاملا، دل على وجود تفاهم سابق وقديم  
على أن أخطر قرار اتخذته الحركة الصهيونية العالمية  
خلال الحرب العالمية الاولى كان : الانتقال بمركز الثقل في  
نشاطها الى أمريكا !

ما أشبه الليلة بالبارحة !

في غضون الحرب العالمية الاولى ، قررت الصهيونية  
العالمية أن تلعب بورقة بريطانيا ، مؤمنة بأنها ستكون  
التوة الاولى المسيطرة على السياسة الدولية بعد النصر .  
ويومها نجح تنبؤهم وأمكن أن يضعوا أقدامهم الاولى في  
فلسطين . .

وفي غضون الحرب العالمية الثانية ، أدركت الصهيونية العالمية أنها لابد أن تنقل مركز نشاطها الى أمريكا .. لماذا ؟ ..

لان نجم اتجلترا أخذ في الافسول .. ولأنهم بعد أن كسبوا من وراء بريطانيا حق اقامة وطنهم القومي في فلسطين ، آن الاوان للخطوة الثانية وهي : خطوة الدولة اليهودية المستقلة ، وهذه خطوة قد تعارضها بريطانيا ، التي لم تفكر لحظة في أن يكون مال هذا « الكومنولث اليهودي » الى الاستقلال عنها . وفي هذه الحالة لن تقدر على الضغط على بريطانيا سوى أمريكا ..

ولم تكن أمريكا قد دخلت الحرب بعسـد ، وكانت الصهيونية تعزف مدى حرص بريطانيا على حسن علاقات أمريكا معها ، ومدى رغبتها في ادخالها الحرب الى جانبها : فلو استطاعت الصهيونية أن تقنع أمريكا .. فستكون بريطانيا كلها اذانا مصغية لصوت أمريكا !

وكان عليهم أن يكسبوا في أمريكا ثلاث قوى :

الرأى العام ..

والكونجرس ..

والحكومة ..

أما بالنسبة للرأى العام ، فسرعان ما تكونت الهيئات الداعية للقضية الصهيونية ، مركزة على الرأى العام المسيحى بالذات . وفي نفس الوقت الذى كانوا يركزون فيه على رجال الدين البروتستنت ، مستغلين تفسيرهم « للعهد القديم » ، كانوا يتصلون في نشاط هائل باتحادات نقابات العمال ، وبالمجالس النيابية فى الولايات المختلفة ، وبأعضاء الحزبين الجمهورى والديموقراطى .. فلم تأت سنة ١٩٤٤ حتى كانت برلمانات ٣٣ ولاية قد أصدرت



توصيات تؤيد فيها المطالب الصهيونية ، وحتى كانت انتخابات تلك السنة حافلة بالوعود بتأييد مطلب الصهيونية ..

وأكبر حليف لهم فى رأى المؤلف كان : جهل الرأى العام تماما بقضية فلسطين

وقد حققت الصهيونية نفس النجاح بين اليهود الامريكيين أيضا . فبينما لم يكن الصهيونيون يمثلون أكثر من خمسة فى المائة من يهود أمريكا قبل الحرب العالمية الثانية ، استطاعوا قبيل نهاية الحرب أن يجعلوا أى يهودى يخاف أن يجاهر بأنه مختلف مع الصهيونية .. وبينما كانوا يشرحون - علنا - « حاجة اليهود الاوروبيين الى ملجأ » بعد جرائم النازية ، كانوا يعملون سرا من أجل فكرة اقامة الدولة وفى فلسطين بالذات ، بدليل أنهم حاربوا مشروعا لروزفلت لتوطين اليهود فى دول العالم بوجه عام

أما مع الكونجرس ، فقد بدأ الامر بتقيد اسماء ٦٧ شيخا و ١٤٣ نائبا من مجلسى الكونجرس فى قائمة أعضاء منظمة صهيونية مستترة تحت اسم « اللجنة الامريكية لفلسطين » . وفى ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، وضع ثلث أعضاء الكونجرس توقيعاتهم الى جانب توقيعات ١٥٠٠ شخصية أمريكية أخرى على بيان يطالب بإنشاء جيش يهودى ..

وفى أكتوبر ١٩٤٣ ، نجح الضغط اليهودى المنظم فى جعل الكونجرس يصل الى حد اصدار قرار رسمى بتأييد مطالب الحركة الصهيونية فى اقامة دولة يهودية فى فلسطين لولا أن الجنرال جورج مارشال ، القائد العام للجيش الامريكى ، تدخل مطالبا بإيقاف القرار ، لان هذا قد يؤثر

على المجهود الحربى فى منطقة حســــــــــــاسة هى المنطقة  
العربية ..

ولكن الجهد لم يتوقف .. انما استمر فى اصــــــــداد  
القرارات والبيانات والنداءات ، التى أدت بتراكمها من  
حيث الكم ، الى تغير كىفى فى الموقف .. فقد أصبح  
الكونجرس الامريكى فى سنوات قليلة مؤيدا للصهيونية ..  
بمزيج من الجهل بالموضوع والتأثر بالمصالح المحلية  
والضغط والاغراء والالاحاح

\*\*\*

وبقيت بعد ذلك السلطة التنفيذية العليا فى البلاد .  
وكالعادة : كانت الحركة الصهيونية تترك مهمة الاتصالات  
العليا بالشخصيات الكبرى الى رجلها المحنك فى هذا المجال  
منذ الحرب العالمية الاولى : حايم وايزمان ..

وكان وايزمان يؤمن فى اتصالاته بحقيقة غريبة ثبت  
انها فى محلها : كان لا يضيع وقتها مع الخبراء وكبار  
الموظفين الرسميين لان هؤلاء على خبرة كاملة بمثل هذه  
الموضوعات ، وكثير منهم يعرفون الشرق الاوسط جيدا ،  
فكانت الصهيونية تجد أنه من الصعب دائما أن تضلل  
هؤلاء أو تحملهم على اتخاذ موقف ضد العرب ، أما الاتصال  
بالزعماء الكبار فكان أجدى : فهؤلاء خبرتهم بالمنطقة قليلة  
والتأثير عليهم من خلال المصالح السياسية المحلية ممكن .  
ثم أن من سلطتهم أن يضربوا برأى الخبراء عرض الحائط  
الامر الذى كان يحدث كثيرا كما يقول المؤلف

ويقول المؤلف أيضا : انه فى خلال الحرب الاولى كان  
رأى الاجهزة المحلية البريطانية ضد الصهيونية ، لكن  
وايزمان قهر هذه الاجهزة باستيلائه على عتول رؤسائهم

السياسيين في لندن . وقد كرر نفس الشيء في أمريكا  
خلال الحرب العالمية الثانية

وقد كان روزفلت شخصية صعبة المراس بالنسبة  
لوايزمان ، بينما كان ترومان على العكس تماما . .

يقول المؤلف : ان وايزمان قابل روزفلت لأول مرة سنة  
١٩٤٠ ، ويومها حاول أن يجس نبض روزفلت ازاء مطلب  
اقامة دولة يهودية . ولكنه وجد روزفلت من أولئك الساسة  
الدهاة واسعى الافق . . رفض أن يقع في شركه ، وقال  
انه يعتقد أن أى حل لمشكلة فلسطين يجب أن يكون حلا  
عربيا يهوديا

وفي سنة ١٩٤١ ، ذهب وايزمان الى أمريكا للمرة  
الثانية ، ولكنه لم يتمكن من مقابلة روزفلت ، فقابل وزير  
الخارجية الامريكية سمنر ولز الذى كانت الصهيونية  
قد كسبته الى جانبها بالفعل ، فانضم الى وايزمان فى  
محاولة اللف على روزفلت

وفي سنة ١٩٤٢ ، أرسل روزفلت الى حاييم وايزمان  
يطلب منه القدوم الى أمريكا للمساعدة فى الابحاث العلمية  
التي كانت جارية لانتاج المطاط الصناعى ، فـسـافـر  
وايزمان الى أمريكا فى ابريل ١٩٤٢ ليبقى هناك أكثر من  
سنة متصلة : يعمل فى الكيمياء بعض الوقت ، وفى  
السياسة الصهيونية كل الوقت، نفس قصة الحاقه بوزارة  
البحرية البريطانية فى الحرب الاولى للمساهمة فى أبحاث  
انتاج مادة الاسيتون التي تستخدم فى صنع المتفجرات !

وقبل عودته - بعد هذه المدة الطويلة - الى لندن ،  
تمكن من مقابلة روزفلت مرة أخرى بحضور وزيرالخارجية  
سمنر ويلز ، ومرة أخرى وجد وايزمان أن روزفلت مازال  
مصنما على أن أى حل يجب أن يتم بموافقة العرب واليهود

معا . وقال له وايزمان : لو انتظرنا موافقة العرب فلن نصل الى أى حل أبدا . . . وأكد له أن خير وسيلة هى أن تقف أمريكا وبريطانيا معا وراء انشاء الدولة الصهيونية ، فلا يجد العرب مفرا من الرضوخ ازاء القوة الهائلة التى تواجههم ، وقال له : ان هذا هو ما حدث بالضبط يوم أصدرت بريطانيا وعد بلفور ولم يقدر العرب وقتها على عمل أى شىء

ولكن روزفلت لم يتزحزح . كان روزفلت يرى مصالح أمريكا البترولية البازغة فى الشرق العربى . وكان ذاهبا الى رحلة سوف يجتمع فيها مع الملك عبد العزيز ال سعود فبدأت النقمة الصهيونية تتحول ضده .

وفى ١٨ أغسطس ١٩٤٣ ، وصل الامر الى تهديد روزفلت نفسه : فقد أعلن ايمانويل سيلر ، العضو الصهيونى فى الكونجرس ، أنه سيطالب باجراء تحقيق فى أسباب معارضة الخارجية الامريكية لمطالب الصهيونية المشروعة . وكان هذا ضغطا غير مباشر على روزفلت ، عن طريق التلويح باثارة تهمة معاداة السامية ، التى تثيرها الصهيونية فى وجه كل من يجسر على أن يختلف مع مخططاتها السياسية

ولكن روزفلت مات ، وجاء ترومان ، الذى وضع البيت الابيض فى يد الصهيونية ، بعد أن وضعت الصهيونية يدها على رأى العام ، وعلى الكونجرس . . .

\*\*\*

بعد أيام قليلة فقط من وفاة روزفلت ، وتولى هارى ترومان مكانه . . . كان الكاهن اليهودى الصهيونى « وايز » يزور الرئيس الجديد . وقبل المقابلة ، كان ادوارد ستيتينيوس ، وزير الخارجية ، قد حذر ترومان من هذا

اللقاء ، وحذره من الاستجابة لمطالب الصهيونية في اقامة دولة يهودية في فلسطين وفتح أبواب الهجرة غير مشروطة اليها . وشرح الوزير لرئيسه أيضا سياسة الرئيس الراحل روزفلت حول هذا الموضوع . ورغم هذا كله فقد كانت زيارة الكاهن الصهيوني « وايز » بداية الاندفاع السريع لترومان في اتجاه الصهيونية . أو كما يقول المؤلف « في خدمة الصهيونية »

وعند هذه النقطة ، يحاول المؤلف أن يلتمس لترومان الاعذار على هذا التأييد المتزايد

يقول أن ترومان ، بسبب نزعتة الليبرالية ، كان دائما على استعداد لأن يتحمس لاداء خدمة لليهود أو لاي أقلية أخرى . وقد كانت هذه دائما وسيلة من وسائل الصهيونية في كسب غدير اليهود الى قضيتهم : بأن يوهموهم ان تأييد هجرة اليهود الى فلسطين يتفق مع المبادئ المتحررة ، في حين ان الحل الحقيقي للمشكلة اليهودية هو في استيعاب اليهود وذويانهم في الشعوب التي ينتمون اليها ويعيشون فيها

كذلك فان هذا في رأى المؤلف نجاح للدعاية الصهيونية خلال الحرب ، التي ربطت في الاذهان ربطا مضللا بين مشكلة اليهود في أوروبا وبين هدف الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل ، رغم ان هذا شيء وذاك شيء آخر

وأخيرا يقول المؤلف : ان ترومان أشار في مذكراته بعد ذلك الى أنه يعتقد ان وعد بلفور باقامة وطن قومي لليهود كان يتفق تماما مع مبادئ ويلسون في حق تقرير المصير التي أعلنها بعد الحرب العالمية الاولى ، ولو أن ترومان تمنع قليلا لادرک أن وعد بلفور كان عملا مناقضا على طول الخط لمبادئ ويلسون . فلو طبق حق تقرير المصير حقا

في فلسطين ، بسكانها العرب ، لما أمكن أبدا ان يقوم اى  
وطن قومى لليهود هناك ..

ولسنا نظن أن هذه التفسيرات التى ساقها المؤلف  
لشرح الحوافز التى جعلت ترومان يندفع فى خدمة  
الصهيونية الى هذا الحد .. تفسيرات صحيحة . فاذا  
قبلنا أن الرأى العام العادى يمكن تضليله عن الملامح  
الاساسية لقضية ما ، فمن المتعذر أن نقبل امكانية تضليل  
رئيس دولة كبرى ، بمالها من اجهزة وخبراء ومستشارين  
عن حقيقة يمكن أن يدركها أى تلميذ : وهى أن حق تقرير  
المصير يتعارض مع غزو شعب ما بشعب طارىء غريب ..  
فالمؤلف يغفل الاعتبارات المصلحية والضغط السياسى  
الداخلى ، الذى جعل ترومان يندفع هذا الاندفاع

\*\*\*

ويعود المؤلف الى سرد تطور الحوادث فيقول انه مع  
صيف سنة ١٩٤٥ ، أصبح نفوذ الصهيونية على ترومان  
واضحا .. وفى ٣١ أغسطس اتخذ ترومان أول موقف  
علنى له الى جانب الصهيونية بمطالبة مستر كليمنت اتلى  
رئيس الوزراء البريطانى بأن يقبل مائة ألف مهاجر  
صهيونى جديد فى فلسطين . وقد كان بيرنز ، وزير  
خارجية أمريكا ، قلقا من رد فعل هذا الموقف فى البلاد  
العربية ، فأعلن فى ١٨ أكتوبر « أن الحكومة الامريكية  
لن تساند أى قرار نهائى يغير الموقف الاساسى فى فلسطين  
بدون استشارة اليهود والعرب على السواء » . فكان وزارة  
الخارجية الامريكية كانت ما تزال تحاول أن تثبث بالرأى  
الذى كان روزفلت قد اتخذه من قبل ، والذى كان ترومان  
قد أحيط به علما على أى حال

وقد اعترف ترومان بعد ذلك فى مذكراته بأنه بينما

كان يحاول الضغط على بريطانيا للتساهل في مشكلة الهجرة الى فلسطين ، كان الصهيونيون يجعلون مهمته أكثر صعوبة بمحاولتهم استخدام النفوذ الأمريكى في تأييد اقامة دولة يهودية . ففي ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، تلقى ترومان برقية من القسيسين وايز وسيلفر يطالبان باتخاذ موقف لا في تأييد قبول مائة الف مهاجر جديد فحسب بل وفي تنفيذ « روح » وعد بلفور باقامة دولة يهودية ، رغم أن هذا هو « روح » المبادئ الصهيونية ، ولا يمت الى « روح » وعد بلفور بشيء

ويقول المؤلف ان استغراب ترومان هذا دليل آخر على سذاجته السياسية ، فلو كانت لديه أى فكرة عن العمليات الصهيونية في أمريكا خلال الحرب لادرك ان استخدام الصهيونية لمشكلة اليهود الاوروبيين ولوعده بلفور ولكل شيء لم تكن له غاية سوى استخدام أمريكا في اقامة دولة صهيونية

ومن هنا جاء قوله في مذكراته « كنت اعتقد ان حل مشكلة اليهود الانسانية في أوروبا أولى بالاهتمام من أهداف الصهيونية في اقامة دولة يهودية » . . . فهنا أيضا يتضح عجز ترومان عن فهم الصهيونية . فالصهيونية لم تهتم أبدا بمشكلة اللاجئين اليهود كقضية انسانية لها ألف حل ، انما كانت تستغلها فحسب في اقامة دولة يهودية

ففي خلال الحرب مثلا ، فكر روزفلت في مشروع لاسكان اليهود اللاجئين في بلاد العالم التى ترحب بهم . وعهد روزفلت بهذا المشروع الى « موريس . ل . ايرنست » ولكن ارنست لم يلبث أن اكتشف أن المشروع الذى كان يظن أنه عمل انساني عظيم لانقاذ اليهود الاوروبيين ، انما تنظر اليه الصهيونية على أنه عمل خطير يهدد أهداف الحركة

الصهيونية ، فكتب يقول « لقد دهشت » بل وشعرت  
بالاهانة ، عندما وجدت زعماء اليهود يهاجمون هذا المشروع  
ويصفوننى بأننى خائن . وقد اتهمونى علنا بأننى أعمل فى  
هذا المشروع وأشجع استقبال اليهود فى شتى أنحاء  
العالم لى أهرب أهداف الصهيونية السياسية وهكذا  
وجدت أن كل أصدقائى من الصهيونيين يعارضون مشروع  
روزفلت . لقد وجدوا أن أهدافهم تهددها مشروعات  
روزفلت الكريمة الانسانية »

وقد تكرر هذا الموقف الصهيونى مرتين بعد نهاية  
الحرب ..

فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٦ ، عندما بدأت الأمم المتحدة  
تدرس مشروعا يدعو الدول الأعضاء الى فتح أبوابها  
لللاجئين اليهود ، تقبل الصهيونيون هذا القرار بفتور  
شديد ..

كذلك عندما بدأ مجلس النواب فى الكونجرس الأمريكى  
سنة ١٩٤٧ يدرس مشروعا لتقبل بعض المهاجرين فى  
الولايات المتحدة ، عبر الصهيونيون عن نفس البرود ازاء  
المشروع : فهدف إقامة دولة يهودية سياسية كان يعلو  
عندهم فوق كل اعتبار . وما كانت قضية اللاجئين اليهود  
تهمهم إلا بقدر ما يمكن استغلالها فى هدفهم السياسى

وقد كانت سنة ١٩٤٦ فى الولايات المتحدة سنة  
انتخابات ، وانتهاز الصهيونيون الفرصة طبعاً للحصول  
على أكبر قدر من المكاسب ..

فى ولاية نيويورك ، عرف أن توماس ديوى ، مرشح  
الحزب الجمهورى للرئاسة ، كان يفكر فى إصدار بيان  
فى تأييد الصهيونية لفائدة هذا البيان فى حملته الانتخابية .  
وعلى الفور ، أسرع « ليمان » و « ميد » ، المرشحان



عن الحزب الديمقراطي للتصبي محافظ المدينة ونائبها في الكونجرس ، الى ترومان ليبلغاه النبا ويلجسا عليه في ضرورة اصدار بيان مماثل باسم الحزب الديمقراطي وكانت النتيجة ان صدر بيان آخر من ترومان أعلن فيه تصميمه على ضرورة ادخال مائة ألف يهودي الى فلسطين، وأصبحت الدولة والحزبان الكبيران على السواء منغمسين في تأييد الصهيونية تماما . فلما تدمر ترومان بعد ذلك من أسراف الصهيونيين في الضغط عليه ، لم يكن ممكنا أن يتراجع عن الموقف الذي اتخذه بالفعل . كان اسفه متأخرا : فقد لوى الصهيونيون بالفعل ذراع الدولة ، وأصبح قيام دولتهم وشيكا

وقد كانت قيمة الحكومة الامريكية الكبرى في هذه المرحلة بالنسبة للصهيونية ، هي الضغط على حكومة حزب العمال في بريطانيا . .

فعندما التقى أرنست بينفيلد في يونيو سنة ١٩٤٦ عارض فيه قبول مائة ألف يهودي في فلسطين ، رفع عضوا الكونجرس الامريكي عن ولاية نيويورك احتجاجا مباشرا الى الوزير البريطاني ، ولكن الاخطر من ذلك ان الصهيونية اتجهت الى أعضاء الكونجرس المرتبطين بها لتحركهم في اتجاه هام : ففي ذلك الوقت بالضبط كان الكونجرس يدرس مشروعا لمنح انجلترا قرضا قدره ٣٧٥٠٠٠٠٠٠ دولار ويقول المؤلف ان تهديد الصهيونية لبريطانيا بعرقلة هذا القرض في الكونجرس ، كان له أثر فعال جدا في ارغام بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف اكثر ملاءمة للصهيونية . .

ويذكر المؤلف ان أرنست بينفيلد شكك من انه كان في مقدوره ان يصل الى حل يرضى العرب واليهود في فلسطين

لولا اصرار ترومان على حكاية دخول المائة الف يهودى وقال بالحرف الواحد « اننى لا أستطيع أن أحل أى مشكلة حلا وديا ، اذا تحولت هذه المشكلة الى ورقة فى انتخابات محلية ! » ..

ويعتقد المؤلف أن بيفن كان يرى بوضوح الفارق بين مشكلة اليهود كمشكلة انسانية عامة وبين قضية الصهيونية فى اقامة دولة سياسية يهودية فى فلسطين

كان هذا الوضوح فى فهم الموقف فى بريطانيا ، كما يقول المؤلف ، هو الشيء الذى لم يتحمله الصهيونيون ، فمضوا لتحديد الحكومة البريطانية الى أقصى الحدود ، بالضغط السافر عليها من خلال صنيعتهم ترومان ، وبالارهاب المسلح فى فلسطين نفسها .. فبينما كان وايزمان يعلن علنا استنكاره للارهاب المسلح الذى تمارسه عصابات « الهاجاناه » و « شتيرن » و « أرجون زفاى ليومى » كانت هذه العصابات كلها تعمل فى انسجام دقيق تحت قيادة وتوجيه الحركة الصهيونية التى يتكلم وايزمان باسمها ..

وفى نفس الوقت ظلت عمليات الهجرة غير الشرعية مستمرة ، وقد نشر الصهيونيون دعاية واسعة فى العالم كله تقول ان تدفق اليهود من أوروبا فى أعقاب الحرب الى فلسطين كان عملا تلقائيا غير مرتب ، فى حين أن كل الأدلة تؤكد ان هذه الهجرة كانت مدفوعة ومنظمة بواسطة شبكة صهيونية سرية واسعة . ويشير المؤلف هنا الى تقرير سبرى لمخابرات الجيش الأمريكى الثالث فى أوروبا ، يقول انه تأكد وجود حركة صهيونية سرية هى التى تنظم تسليح ٢٠٠٠ يهودى كل أسبوع الى منطقة الاحتلال الأمريكى فى أوروبا . وان هذه الحركة تضم كثيرين من

العسكريين اليهود الذين كانوا في صفوف الحلفاء. وكانت هذه الحركة تنظم بعد ذلك تسليحهم من جديد الى شواطئ البحر المتوسط وهناك يركبون سفنا أعدتها الحركة الصهيونية لنقلهم الى فلسطين . وهناك تقرير آخر يقول ان أطعمة هيئة الاغاثة الدولية UNRWA كانت تحول الى مساعدة عملية التهريب غير الشرعية هذه

ومن أكبر الأدلة على ان هذه الهجرة لم تكن تلقائية ، ان كل المهاجرين كانوا من الشبان والشابات الاصحاء الذين يمكن ان يلعبوا دورا في اقامة اسرائيل ، ولو كان الامر أمر هجرة تلقائية لما تم هذا الفرز والاختيار

الدليل الثاني هو انه عندما اذاع الجنرال الامريكي فردريك مورجان ، رئيس فرع هيئة الاغاثة في ألمانيا ، هذا التقرير عن نشاط الصهيونية السري ، لم يلبث ان صدر قرار بفصله من منصبه بتهمة معاداته للسامية !

كان الذي أصدر القرار هو مدير عام المنظمة ، هربرت ليتمان : نفس الشخص الذي جاء ذكره منذ قليل ، حين ضغط على الرومان لاصدار بيان يؤيد هجرة اليهود الى فلسطين . . !

الدليل الثالث الذي يسوقه المؤلف على ان الهجرة لم تكن عفوية : هو انه حين بدأت بريطانيا تنفذ اجراءات فعالة لايقاف الهجرة . . بدأت على الفور حملة اكتتاب عائلية من اليهود البريطانيين لتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين . .

\*\*\*

ونصل بعد ذلك الى المرحلة التي طرحت فيها القضية على الامم المتحدة

فازاء الشلل الكامل الذى أصيبت به بريطانيا من جراء الضغط الأمريكى الهائل والعمليات الارهابية الضخمة فى فلسطين والهجرة السرية التى لا تنقطع ، قررت بريطانيا أن تحيل الامر الى الأمم المتحدة

وعندما ظهرت فى أفق الأمم المتحدة فكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، لم يكن التقسيم فى حد ذاته مرضيا لليهود الذين يريدون فلسطين كلها ، ولكنهم أسرعوا بالموافقة لسبب تكتيكى : فالتقسيم يحمل فى بذوره الاعتراف بحقوقهم فى إقامة دولة سياسية ، وهذا نصر كبير وخطوة ضخمة الى الامام بالنسبة لهم ..

وطبعا استطاع الصهيونيون ان يجعلوا الولايات المتحدة تعلن موافقتها على مبدأ التقسيم : وبهذا كسبوا نصف المعركة فى الأمم المتحدة ، بحكم النفوذ الهائل الذى كان لأمريكا فى المنظمة الدولية بعد الحرب

وفى نوفمبر ، اكتشف وايزمان ان الوفد الأمريكى حاول ان يكسب رضا العرب عن فكرة التقسيم بأن عرض عليهم ان يكون النقب جزءا من الدولة العربية . وعلى الفور ، استطاع وايزمان ان يتصل بترومان ، وبعد لقاء واحد معه ، أرسل ترومان تعليماته الى الوفد الأمريكى بأن يسحب هذا العرض الخاص بالنقب من العرب !

يقول حاييم وايزمان فى مذكراته : « ان هذا القرار ( من ترومان ) فتح الطريق أمام قرار الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر .. »

وهذا صحيح !

فأكثر الدول الاعضاء كانت واقعة تحت النفوذ المباشر لأمريكا بعد الحرب . وقد بقيت بعض الدول الصغيرة

تقاوم : هايتى ، ليبيريا ، الفلبين ، الصين ، أثيوبيا ، اليونان ١٠. وهنسا تحركت الاداة الصهيونية الالهائلة فى جميع أنحاء العالم تمارس ضغطا لا مثيل له .. ضغطها كان معظمه يوجه من خلال الولايات المتحدة الامريكية : الحكومة الامريكية تضغط . أعضاء الكونجرس يضغطون على الحكومات الاجنبية رأسا ، وعلى حكومتهم لكى تضغط على هذه الحكومات ، شركة فايرستون للمطاط طلب منها أن تضغط على حكومة ليبيريا لكى تصوت الى جانب التقسيم . القباضيان افراتكفورتر ومورفى يتصلان بحكومة الفلبين .. وهكذا



وفى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، أصدرت الامم المتحدة قرارها بالتقسيم ..

ويقول المؤلف : انه بعد أن تم اتخاذ القرار بالفعل ، بدأت المناقشة حول سلامة الاساليب التى اتبعتها الصهيونية ، وما زالت هذه المناقشة فى رأيه قائمة الى الان

فى ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧ ، كتب حاييم وايزمان الى ترومان رسالدا ينفى فيها « الاتهامات » الموجهة الى الحركة الصهيونية من انها تمارس ضغطا غير لائق على وفود الدول فى الامم المتحدة . ولكن ترومان نفسه كتب فى مذكراته بعد ذلك يقول : « الحقيقة هى ان الضغط الذى وقع على الامم المتحدة فى ذلك الوقت لم يكن له مثيل قط . وان البيت الابيض تعرض لضغط فى نفس الوقت ، ولا أظن أن البيت الابيض تعرض لمثل هذا الضغط فى أى وقت . ان اصرار والحاح الزعماء الصهيونيين ، الذى تحركه دوافع سياسية مصحوبة بالتهديدات ، قد ضايقنى وازعجنى حقا

.. بل ان بعضهم كان يطلب منا ان نضغط على دول ذات سيادة للحصول على الاصوات المطلوبة في الجمعية العامة »

\*\*\*

ورغم أن القرار صدر بالفعل ، الا أن الضغط لم يخف . بقى هدف آخر مهم وهو : الاعتراف !  
وفي مجال الاعتراف الدولي ، لابد من الحصول على اعتراف أمريكا أولا . . . ليسهل الباقي  
ويقول المؤلف : ان ترومان أزاء هذا الإلحاح والضغط الذي زاد عن حده ، اضطر إلى رفض مقابلة أي ممثل صهيوني ، ولكن بالرغم من تعليمات رئيس الجمهورية ، تمكن الصهيونيون من الوصول إليه

ففي مارس ١٩٤٨ ، طلب وايزمان مقابلة ترومان وبناء على تعليمات ترومان ، رفض هذا الطلب . وفجأة تلقى ترومان زيارة من مستر « ايدى جالوبسون » ، وهو يهودى أمريكى وصديق حميم وقديم لترومان ، وأخذ يلح عليه في أن يقابل وايزمان . ويقول المؤلف أن ترومان ضعف أمام هذا الضغط الذي لامثيل له ، وقابل وايزمان في ١٨ مارس ، وفي هذا اللقاء تحسن الجو من جديد بين ترومان ووايزمان ، وانفتح الباب لقرار أمريكى جديد هو : الاعتراف بإسرائيل يوم ١٤ مايو ، بعد احدى عشرة دقيقة فقط من اعلان قيام الدولة

ويعقب المؤلف قائلا : أن أمريكا جرت عاداتها دائما على أن تكون حذرة ومتمهلة في اعترافها بأي حكومة جديدة . وخروجها عن هذه القساعة ، على هذا النحو السافر ، يظهر لنا إلى أي حد نجحت الصهيونية في استغلال السياسة الأمريكية كأداة لها

## مناقشات إسرائيلية

- المجتمع اليهودي في العالم
- هجرة .. أو للهجرة
- الاندماج في المجتمعات الأخرى
- أيهما يخدم إسرائيل : التحرك أم التعصب ؟



يقول بن جوريون « .. ان اسرائيل ليس لها فى العالم  
غير حليف واحد وفى : هو الشعب اليهـودى . ان  
اسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا أقارب لها  
.. سواء من ناحية الدين او اللغة او الاصل .. كتلك  
القرايات التى تربط مثلا بين الدول العربية او  
الاسكندنافية أوالبوذية أوالكاثوليكية أو الانجلوسكسونية  
.. اننا شعب يعيش فى هذا العالم بمفرده »

وهذا صحيح ! ..

فقد تكون خيانة الدولة التى كانت تستعمر فلسطين  
« انجلترا » لوثيقة انتدابها قد لعبت دورا رئيسيا فى  
اقامة دولة اسرائيل . وقد تكون رغبة الدول الاستعمارية  
الآخري فى اقامة رأس جسر لها فى المنطقة قد لعبت دورا  
رئيسيا آخر . ولكن المؤكد أن القوة التى جاهدت وناضلت  
طوال خمسين سنة ، والتى ضغطت وساموت وتحالفت  
وتسللت لاقامة دولة اسرائيل ، هى : اليهودية العالمية  
.. أو المجتمع اليهودى العالمى الذى كانت الحركة  
الصهيونية بالذات هى الاداة العنيفة المنفذة فيه ..

وما تزال هذه اليهودية العالمية تلعب دورها الاكبر فى  
حماية اسرائيل وفى النضال ضد العرب

وقد كنت اشعر دائما انه من المفيد لنا أن نفهم المجتمع



اليهودى العالمى بقياداته وتناقضاته وخباياه ، الصهيونية منها وغير الصهيونية ، بوصف هذا المجتمع فى مقدمة التوى التى يرتبط بها نمو اسرائيل أو انكماشها ، بل يرتبط بها وجودها أو عدمه ..

والاصل ، هو أن الصهيونى غير اليهودى ..

اليهودى .. هو الفرد الانجليزى أو الفرنسى أو العربى الذى يعتنق الدين اليهودى ، تماما كالمواطن الذى يعتنق أى دين آخر

والظن الشائع عن الصهيونى هو أنه اليهودى الذى يؤمن بضرورة قيام دولة اسرائيل ويساعدها بكل انواع المساعدات .. حتى ولو بقى كما هو : يهوديا انجليزيا أو فرنسيا أو أمريكيا ..

ولكن بن جوريون يقول لنا : لا ! ان هذه صهيونية مزيفة ! بل أنه لا يرضى ان يطلق عليها وصف الصهيونية !

ان الصهيونى فى رأيه هو اليهودى الذى يريد العودة الى جبل صهيون ، هو اليهودى الذى يحس أنه اذا كان يعيش فى أى بلد آخر ، غير اسرائيل ، فهو يعيش فى منفى ! وأنه آن الاوان لانتهاء عصر المنفى والتشرد ، ولابد من العودة الى أرض اسرائيل ! ..

ويستطرد بن جوريون ، فى محاضرة مطبوعة له ، قائلا : « .. أما أولئك اليهود الذين يعتبرون أنفسهم جزءا من الشعب الأمريكى أو الانجليزى أو الفرنسى ، أولئك اليهود الذين لا يشعرون انهم يعيشون فى منفى ، أولئك اليهود الذين لا يرون ان مستقبلهم ومستقبل أولادهم واحفادهم لا يمكن أن يوجد الا فى اسرائيل ..

هؤلاء اليهود جميعا انما يذوبون تدريجيا فى حضارة

غير يهودية ولغة غير يهودية . ان هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم - كذبا - لقب الصهيونيين بحكم انتمائهم الى منظمات تحمل هذا الاسم ، هم فى الحقيقة خطر على مستقبل اليهودية .

وفى دراسة أخرى لـ « بن جوريون » ، نجد أنه يدفع هذا المنطق خطوة أخرى الى الامام ، فيتساءل : من هو اليهودى ؟ وما هى مقومات الشعب اليهودى فى شتى انحاء العالم ؟ ..

ويرد بن جوريون على هذه الاسئلة قائلا : ان ما يربط بين اليهود ليس الدين اليهودى ! بدليل أن الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ويهود لا دينيون ، أى يهود ملحدون لا يؤمنون بوجود الله . و لاالعنصر الواحد بعد هذا التشتت الواسع بين اليهود فى شتى البلاد والقوميات . ولا اللغة الواحدة بدليل ان اللغة العبرية كادت تختفى نماما قرونا طويلة ، ومعظم يهود العالم لا يعرفونها ولا يتكلمونها : ان ما ربط بين اليهود وجعل تلك الصفات الاخرى كالدين والعنصر واللغة - صفات قابلة لان تجمعهم من جديد ، هو صفة أخرى أساسية ، هى : رؤيا العودة .. الايمان بأن الخلاص هو فى العودة الى جبل صهيون حيث أقام داود معبده الاول .. أى الى أرض اسرائيل

ويسستطرد بن جوريون فى تأكيد صفة « العودة » « واستخلاص » الأرض التى كانت لهم - كالعلامة الاولى المميزة لليهودى فيقول : ان شعب اليهود يختلف عن كل شعوب العالم . واليهودى نفسه يختلف عن كل من حوله فى أى مجتمع بسبب هذه الصفة بالذات ، فكل الشعوب نشأت واستمرت ملتصقة بالأرض الخاصة بها . قد تحتلها دول أخرى . أو يستعبدوها نظام حكم معين . قد

تنمو وقد تضحل • ولكنها دائما موجودة فوق أرضها •  
بإستثناء اليهود • الذين عاشوا عشرات من القرون  
مطرودين مما يعتبرونه أرضهم • مصرين على العودة اليها •  
ومن هذه الصفة نشأت عزلتهم ، ونشأ انفرادهم بصفات  
خاصة بهم ••

والخلاصة التي يريد ان ينتهي اليها بن جوريون هي  
انه اليوم وقد قامت دولة اسرائيل عند جبل صهيون ••  
فقد جاءت لحظة الامتحان النهائي الحاسم لكل يهودى على  
وجه الارض : فمن لا يعود اليوم ليس « صهيونيا »  
بالتأكيد ، ثم هو يهودى يعرض نفسه للذوبان فى مجتمعات  
أخرى غير يهودية •• اى يعرض اليهودية ذاتها للانتراض  
•• ولا يتأخر بن جوريون عن ابراز الجانب العملى لهذه  
الفلسفة كلها ، فهو يقول فى مؤتمر للصهيونية العالمية :  
ان مشكلة دولة اسرائيل الكبرى هي الامن ، وأمن اسرائيل  
لا يحققه اى جيش مهما بلغ تسليحه ، انما يحققه ان  
« يعود » الى اسرائيل ، بسرعة ، مليونان من اليهود على  
الاقل فى كل عام •• الى أن تتم عودة يهود العالم أجمعين !

ويقول بن جوريون ، فى تحقير لبق لحياة اليهود  
خارج اسرائيل : اننى لا أحتقر شايلوك الذى كان يعيش  
على الربا فى مدينة البندقية ( يشير الى الشخصية  
الشهيرة فى مسرحية شيكسبير « تاجر البندقية » )  
فاليهودى ، طالما بقى فى مثل هذه الظروف ، مضطر الى  
مثل هذه الحياة ! »

اى ان اليهودى لا يمكن ان يكون كريما شريفا الا فى  
دولة يهودية هي دولة اسرائيل ••

هذا الكلام كله ، ليس عقيدة فردية يعتقدونها دافيد  
بن جوريون وحده وانما هي وجهة النظر الاساسية التي

تقوم عليها دولة اسرائيل

جولدا ماير ، ايضا ، لها محاضرة مطبوعة عنوانها :  
« ماذا نريد من يهود العالم » تقول فيها ، مثلا :

— ان اليهودى الانجليزى الذى ينشد بحكم انجليزيتها  
نشيد « حفظ الله الملكة » كيف يمكن ان يكون فى نفس  
الوقت صهيونيا ؟

— اننى اصدق من يقولون ان اليهود فى امريكا كانوا  
يبكون فى لحظات الخطر التى أحاقت بنا .. ولكننى أقول  
ان دموعهم لا تكفينا !

لم تذكر جولدا ماير شيئا آخر هو : نقودهم !

— بعد قيام دولة صهيون .. لا يمكن أن يعد صهيونيا  
الا ذلك الذى يحمل حثائبه ويأتى على الفور !

— جميل جدا ان يعطينا اليهود فى الغرب تأييدهم  
وحماسهم وأموالهم . ولكن هذا لا يكفى . هذه المشاركة  
من بعيد لا تكفى . فمن بعيد ، لا يمكن ان تتم زراعة  
النقب ! وبقاء اسرائيل يتوقف على ما اذا كان ممكنا ان  
نزرع صحراء النقب وجبال الجليل ! اننى لا أستطيع ان  
أفصل أمن اسرائيل عن تعمير النقب والجليل ! اننى كلما  
سمعت اغانى اسرائيل يرددنها اليهود فى نيويورك ولوس  
انجليس وشيكاغو رقص قلبى طربا ! ولكن ترديد الاغانى  
عن النقب فى نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب ! انما  
تعمرها هذه الاغانى اذا كانت تقنع الشباب اليهودى  
بالهجرة الى النقب ، والا فسوف يبقى اليهود يعيشون فى  
أمريكا .. ويغنون عن النقب من امريكا .. ولكن النقب  
سوف يبقى خاليا مهجورا

— هناك فى روسيا ثلاثة ملايين يهودى . ولكن لا أحد

يعرف هل يأتون إلينا يوما أم لا يأتون قط ! ولكن يهود الدول الغربية .. الذين لهم مطلق الحق فى الحضور .. والذين يؤيدوننا الى أقصى الحدود .. لماذا لا يأتون ؟ انتهى كلام جولدا ماير ! ...

الى هذا الحد ، تذهب اسرائيل فى الضغط على يهود العالم الخارجى من اجل الحصول على مهاجرين جدد : خصوصا والارقام تقول ان الاقبال اليهودى على اسرائيل من حيث الهجرة ، قد جف أو كاد ..

فمع اختفاء حكاية اضطهاد اليهود ، التى جلبت المهاجرين بمئات الالاف فى اعقاب الحرب ، من ذا الذى يريد ان يذهب الى اسرائيل ؟ .. وهذا يظهر لنا امرين :

الاول : هو مغزى اصرار اسرائيل ، على اثاره قصة اضطهاد اليهود وتجديدها ، ونشر الذعر منها .. حتى يشعر اليهودى فى كل مكان بالخطر ، ان لم يكن الخطر المائل فالخطر المحتمل ، وبالتالي يفكر فى الهجرة الى اسرائيل ..

وما نشر يوما ما من ان بعض عملاء اسرائيل هم الذين يرسمون صليب النازية المعقوف على معابد اليهود .. منطقى جدا .. لحاجة اسرائيل الماسة الى اثاره هذا الفرع من الخطر .. بل والخطر نفسه احيانا !

وهناك رأى قوى فى اسرائيل يقول : انه لابد من تدمير حياة اليهود فى بعض الدول حتى يضطروا للهجرة الى اسرائيل ..

والثانى : هو ان اسرائيل ، حيث لا يفلح هذا السلاح ، لا تجد مفرا من بعث أعتق الافكار العنصرية المتعصبة ، فى سبيل كسر ولاء اليهودى نحو اى بلد يعيش فيه ،

وفى سبيل شق ما بين اليهودى وبين الآخرين ، والى حد  
الذهاب الى التبشير رسميا بفكرة ان اليهود شعب مختار  
ممتاز وان العالم سوف يظل يضطهده لهذا السبب ، بكل  
ما تحمله هذه الافكار من سموم ، فى سبيل تحقيق هدف  
الصهيونية المعلن .. زحف عشرة ملايين يهودى الى  
فلسطين ، بما فى ذلك من نية التوسع الظاهرة ، زحفا على  
الاراضى العربية الاخرى خارج فلسطين ذاتها ..

وكثير من المفكرين اليهود ، يعارضون هذه الافكار  
.. لا يقبلون القول بأن دولة اسرائيل هى المكان الطبيعى  
لكل اليهود .. بل كانوا يعارضون قيام دولة اسرائيل  
نفسها .. ايمانا منهم بأن قيامها على الاسس التى تقوم  
عليها انما يتم ضد حركة التاريخ التقدمية ، بل وايمانا  
منهم بأن قيام دولة اسرائيل فى ذاته قد يكون سببا فى  
اضطهاد اليهود فى الدول الاخرى مستقبلا .. لان اسرائيل  
كدولة لا بد أن تكون لها مع الزمن مواقفها المؤيدة والمعادية  
لدول أخرى ، وفى حالات العداء سوف يكون اليهود فى  
وضع لا يحسدون عليه ..

ولكن هذه الأصوات ضاعت أو خفتت تحت تأثير انتصار  
فكرة قيام الدولة سنة ١٩٤٨ .. وان بقى أصحاب  
هذه الأصوات يضعون ايديهم على قلوبهم ..

هذه الأصوات اليهودية هى الأصوات التى تعارض  
فكرة اسرائيل القائلة بأن الهجرة اليها أمر حتمى على كل  
يهودى ..

يقول المؤرخ اليهودى الانجليزى سيسيل روث : ( .. ان  
الصفة التى ميزت اليهودى دائما هى انه كان أشبه بمواطن  
عالمى ، ظروفه تجعله يتحرك عبر الحدود والخلافات القومية  
المألوفة وقد ادى بذلك رسالة مرموقة فى حضارة أوروبا

مثلا فى القرن التاسع عشر . . ولكن قيام دولة اسرائيل يهدد باختفاء هذا اليهودى . قيام دولة اسرائيل فى الواقع انما يتم رسالة هتلر فى القضاء على اليهودى الاوربى وامكانياته الواسعة !! . .

ثم ان الحركة الصهيونية قد رفعت فوق رؤوس اليهود الانجليز عصا غليظة من التهديد ، الذى لا يمكن التخلص منه احيانا الا بكتابة شيك على احد البنوك تبرعا لاسرائيل . . ! »

ويستطرد سيسيل روث قائلا فى وصف حالة هؤلاء اليهود النفسية فيقول : « ان هؤلاء اليهود الذين عارضوا قيام دولة اسرائيل يتمنون الان نجاحها ولا شك ، بعد ان قامت بالفعل . . ثم انهم يعرفون ان فشلها سيكون ضربة معنوية هائلة لليهود فى كل مكان من العالم . ولكنهم مع ذلك قلقون . . فهم يرون ان اليهود فى كل دولة أصبحوا لا يشاركون فى أى مسألة تهم البلاد التى يحملون جنسيتها الا اذا كانت هذه المسألة تتصل باسرائيل ، وهذا يهدد بعزلهم فى المدى الطويل . ثم ان اليهود الانجليز كان من السهل عليهم مثلا أن يؤيدوا اسرائيل خلال حربها سنة ١٩٥٦ ضد مصر لان انجلترا كانت ضد مصر . . ولكن ماذا يكون موقفهم لو جد ما يجعل اسرائيل - كدولة - تقف فى لحظة ما ضد مصالح انجلترا الاساسية بصورة أو بأخرى ؟ . . »

ويقول « سالو بارون » استاذ التاريخ اليهودى فى جامعة كولومبيا بأمريكا . . « ان بعض الصهيونيين يركزون على القول بأن موجة معاداة السامية يمكن ان تهب فى أى وقت ، لان هذا الخطر هو الدافع الوحيد الذى يجعل الشباب اليهودى يهاجر الى اسرائيل . ولكننى أقول لهم أن هذا غير صحيح . فالهجرات الجماعية ،

تاريخيا ، لا تقع الا تحت تأثير ضغط سياسى او اقتصادى عنيف واقع بالفعل ، ولهذا فان كلام بن جوريون عن مليونين او مليونى مهاجر ينتظرهم فى اسرائيل خطأ تماما .  
يضاف الى ذلك ان نزعة معاداة السامية تختفى وتلاشى بالفعل ! ان بن جوريون وجولدا ماير لا يكفان عن الكلام عن قصص اضطهاد اليهود وتاريخهم البائس المحزن وقد ضاق الشباب اليهودى فى شتى دول العالم ذرعا بهذا الكلام لانهم يرونه متناقضا مع الحياة التى يتمتعون بها فى كل المجالات . أما القول بأن شعب اليهود شعب مختار ، له تاريخه الفريد . فكل شعب من شعوب العالم له تاريخه الفريد ، وله ملامحه الخاصة به ! »

وهذا يقودنا الى نقطة أخرى بالغة الأهمية ، الى سؤال آخر يدور حوله شد وجذب كثير فى أوساط اليهودية العالمية ، هو : مستقبل اليهود فى العالم الخارجى ، بصرف النظر عن وجود دولة اسرائيل أو عدمه . .

ومناقشة هذا السؤال ، أيضا تظهر لنا اين تقف دولة اسرائيل ، والفلسفة التى بنيت عليها ، من حركة التاريخ العبرى . .

فهناك رأى يهودى قوى ، وهو الرأى السليم فيما أعتقد ، يقول ان التطور والتحرر السياسى والاجتماعى فى مختلف انحاء العالم يحل مشكلة اليهود ، وبالتالي يقضى على « وجود اليهود » بالشكل التاريخى القديم لهذا الوجود . . أى بالشكل المنعزل المنفرد بذاته المنطوى على نفسه

فالمراحل السابقة من التاريخ الانسانى ، والتاريخ الاوروبى فى الحقيقة بوجه خاص ، بما فى تلك المراحل من اضطهاد دينى ، وتفرقة عنصرية ونظم طبقية اقطاعية



واتوقراطية .. هذه الظروف كلها كان من طبيعتها ان تبقى القضية اليهودية قائمة ، وأن تجعل اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها صعبا الى حد بعيد . ولكن عصر التنوير والتحرير العقليين ، ورياح المساواة التي تكتسح أمامها كل شيء ، والتسامح الذي يطرد التعصب بسرعة ، وانتشار الحريات العامة وتطبيق مبادئ حقوق الانسان .. كل هذا التطور جعل « القضية اليهودية » بشكلها القديم تتغير . وفتح الباب لأول مرة أمام المجتمعات اليهودية لان « تذوب » وتندمج في البلاد التي تعيش فيها ..

وليس معنى هذا « الاندماج » أو في الاصطلاح العلمى assimilation هو أن يختفى اليهود كيهود .. ان معناه أن يبقى اليهودى يهوديا كما أن المسلم سيظل مسلما والمسيحي مسيحيا ..

ولكن الذى سيختفى هو احساس اليهود ، لنقل فى انجلترا مثلا بأنهم نوع مختلف ، وشعب قائم بذاته ، تفصله عن الانجليزى العادى هوة واسعة . وبالتالي سوف يقل ارتباطه الخاص بدولة اسرائيل ، وسوف يصبح ولاؤه السياسى والقومى الوحيد لانجلترا ، وسوف تنتهى من ذهنه نهائيا فكرة « العودة »

هذا التطور الذى لا مفر منه نحو الاندماج ، بحكم اننا اصبحنا فى عصر الحرية الدينية والمساواة يشهد عليه ، ويعترف به ، كثير جدا من المفكرين اليهود ، بل وبعضهم يحبذونه تحبيذا .. بينما تحاول دولة اسرائيل وممثلوها فى اليهودية العالمية ان ترفضه وتقف فى وجهه بأى طريقة من الطرق ..

يقول سالو بارون ، أستاذ التاريخ اليهودى الذى

سبقت الإشارة إليه : ان هذا الذوبان او الاندماج assimilation معناه أن يصبح المرء جزءا من الشعب الذى يعيش فيه . ومعناه فى حالة اليهود هو ان يصبحوا جزءا من الاغلبية القومية التى يعيشون فيها . وأنه مع بزوغ عصر التحرر والتنوير والمساواة بدأ اليهود يواجهون هذا الاحتمال لأول مرة فى تاريخهم الطويل . . الان لابد أن يتحول اليهودى الذى يعيش فى فرنسا الى « فرنسى يهودى » كالفرنسى المسيحى . ومعنى ذلك ان « المجتمع اليهودى الخاص » فى العالم يتلاشى . اذا لم تعثر اليهودية على حل سريع لهذا الموقف »

ويعترف سالو بارون بأن تفكير الصهيونية بالطريقة القديمة يجعلها - مع الزمن - تقف موقفا معاديا لحركة التحرر والمساواة والتسامح ، احساسا منها بأن هذا التحرر العالمى يسحب رصيدها من اليهود الذين تعتبرهم رعايا لها . . هآلهم هو العودة اليها . . ثم يحذر اصداقاه الصهيونيين من هذا الاتجاه . بل ويذهب سالو بارون بعيدا فى تنبؤه فيقول انه بمنطق الذوبان والاندماج الذى لابد أن يؤدى عصر التحرر اليه . . لن تبقى كنيسة عبرية واحدة فى العالم ولكن ستصبح هناك كنيسة « عبرية كاثوليكية » وكنيسة « عبرية بروتستانتية » وكنيسة « عبرية اسلامية ! »

هذه الظاهرة التاريخية ، ظاهرة اتجاه اليهود الى الاندماج فى مجتمعاتهم واختفاء مشكلتهم ، لا يختلف أحد على وجودها . . ولكن الخلاف فى اليهودية العالمية وفى الحركة الصهيونية هو حول طريقة مواجهتها . .

ف هناك من بين اليهود من يرحبون بها ويعتبرونها تطورا طبيعيا لمشكلة اليهودى . .

وهناك الذين يخافون منها ، بل ويعتبرونها أخطر على اليهود من القنبلة الذرية ، ومن هتلر ، ويحاربونها في غير لين . .

من الفريق الاول مثلا ، نجد « أوسكار هاندلين » وهو استاذ يهودى للتاريخ الأمريكى فى جامعة هارفارد . انه يقف ليلقى محاضرة فى مؤتمر صهيونى دولى فيقول : أنا واحد من اليهود الذين ذابوا فى المجتمع الأمريكى . لم أكن صهيونيا قط . وكنت أعارض قيام دولة اسرائيل فكريا ، وان كنت الان اتمنى لها النجاح !

ثم يستطرد فى الدفاع عن فكرة ذوبان اليهودى الأمريكى فى بلاده فيقول ان اليهود فى أمريكا ليسوا أقلية لانه لا توجد فى أمريكا أغلبية . أمريكا أمة تقوم على التعدد . فيها جماعات كثيرة بعضها على اساس الدين كالبروتستانت والكاثوليك واليهود . وبعضها على أساس اللون كالزنج السود وابناء الكاريبى السمر . وبعضها على أساس مراحل الهجرة ومصادرها كالسويديين والايطاليين والاييرلنديين فليس هناك فى أمريكا «أغلبية» حتى يقال أن اليهود أقلية

ويرد على سياسة اسرائيل الذين يهاجمون حياة اليهودى الأمريكى التى تقوده تدريجيا الى الذوبان . فيقول ان كل ما فى الامر هو أن اليهود يصبحون تدريجيا مثل جيرانهم ومثل الجميع . لانهم حتى لو سيقوا كرها الى مدارس يهودية تعلمهم اللغة العبرية، فانهم مع ذلك يتعرضون لنفس الإشعاع الثقافى والمعنوى والاجتماعى الذى يتعرض له كل أمريكى . . من خلال الحياة اليومية ، والاختلاط ، والاذاعة والصحافة والتليفزيون، والذين يعارضون فى ذلك انما يريدون فى الواقع اقامة سور يعزل اليهود عن سائر

مواطنيهم بكل ما يحمله هذا من اخطار .. ان اليهودى  
الامريكى الان ليس سوى ذلك الذى يعتبر نفسه يهوديا  
بحكم الوراثة ، وهو يمر حاليا بمرحلة انتقال ..

ولكن ليس كل يهودى يواجه هذا الموقف .. اى  
موقف انتصار حركة المساواة وانتهاء مشكلة اليهود ..  
بنفس الحالة النفسية ..

فالمؤرخ الصهيونى « رفائيل ماهر » يولول ويقول ان  
المجتمع اليهودى اخذ فى النوبان منذ اكثر من مائة سنة ،  
ففى خلال عصور الاقطاع وما شابهها كانت لليهودى  
وظيفة اقتصادية معينة يعتمد عليها وجوده وتقوم عليها  
شخصيته ووحدته . اما الان فاليهود يتشتتون بين شتى  
وظائف الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي يذوبون .  
تختفى لغتهم وتختفى تقاليدهم بل ويغيرون اسماءهم لكى  
لا تنم عن يهوديتهم ، يتأسركون او يتفرنسون .. الى آخره  
وينتهى « ماهر » الى القول بأن الحل الوحيد لانتقاذ  
اليهودية ومنع تحولها من شعب واحد حيثما كان الى مجرد  
ديانة يدين بها ناس مختلفون ينتمون الى شعوب مختلفة  
.. هو : جمعهم فى اسرائيل !

وهذا يقودنا الى أصحاب الموقف الثالث ، وهو موقف  
اسرائيل الرسمى والفكرى ، الذين يرفضون ان تحل  
المشكلة اليهودية فى العالم ويريدون اذكاءها ، حتى انهم  
ليقولون مع « ارى تاتاكو دار » استاذ علم الاجتماع فى  
الجامعة العبرية « ان اليهودى حقا هو من يشعر بأن هناك  
« مشكلة يهودية » حتى لو عاش بمفرده فى جزيرة  
ناحية !! »

اى أن اليهودى فى رأيه هو الذى يشعر باضطهاد حتى  
ولو لم يوجد من يضطهده !!

ان اسرائيل ترفض رفضا شديدا ان يعيش اليهودي  
الامريكي أو اليهودي الفرنسي كأمريكي أو فرنسي . فهي  
تهاجم حياتهما وتحقرها . . . وهي تطالب في الحاح بأن يقيم  
اليهود في كل مكان مدارس خاصة بهم ويتعلموا اللغة  
العبرية ويتشبعوا بالثقافة اليهودية الخاصة ويقاوموا  
التأثر المحلي بثقافة وحضارة البلاد التي يعيشون فيها  
أو كما يقول « ماهر » هذا : « ايجاد نوع من التعليم  
والتثقيف يقود اليهودي الى الهجرة »

وهذه السياسة ، اذا كانت لا تجد نجاحا يذكر في  
قطع ما بين اليهود وبلادهم وتوجيههم الى الهجرة . .  
فهي على الاقل تنجح نجاحا كبيرا في ارهابهم واشعارهم  
بالذنب ، ودفعهم الى تعويض عدم هجرتهم بأن يساعدوا  
اسرائيل الى أقصى ما يستطيعون : ماليا ومعنويا وسياسيا  
ودعائيا . .

فأخشي ما تخشاه اسرائيل اليوم ، هو ان تتحول  
اليهودية الى دين فقط ، لا الى قومية كما تريدها هي .  
لأنها اذا تحولت الى دين فقط . . واذا تحرر العالم من  
مشاكل التفرقة والاضطهاد ، فأى دين في العالم يأمر كل  
ابنائه بأن يعودوا الى مهبط هذا الدين ؟ . . وإى عاقل  
يقبل منطلقا معناه ان يعود كل المسيحيين في العالم الى  
القدس وكل المسلمين في العالم الى مكة ؟ . .

وما أسخف فكرة « العودة » المزعومة اذن ، وما أبعداها  
عن منطق الدين ومنطق الحياة ؟ . . وما أكثر ما تبدو  
الهجرة اليهودية في تلك اللحظة عارية الا من اهدافها  
السياسية والاستعمارية الرجعية المتعصبة . .



## الفصل الثالث

### إسرائيل .. والماء !

اليهودى لم يكن فلاحاً قط .. ولكن الحركة  
الصهيونية تريد فلاح اليهودى لأول  
مرة منذ قرون . لأنها تعرف أن الزراعة  
هى أكبر ما يجعل لدى شعب جاذبة  
حقيقية فى الأرض التى يسكنها ..



نظرة الى مشكلة مياه الاردن ، من داخل اسرائيل . .  
فما الذى يجعل اسرائيل - فى الواقع - تصمم الى هذا  
الحد على تحويل كل قطرة تستطيع تحويلها من مياه نهر  
الاردن ، الى درجة المغامرة بحرب شاملة مدمرة ؟  
ان اليهودى - تقليديا - ليس فلاحا . والشعب  
اليهودى منذ قرون ليس شعب فلاحين . انه شعب مدن ،  
يميل نشاطه دائما الى التركيز بسرعة فى مهن المال  
والتجارة . .

وهناك دراسة عميقة المفزى ، للمؤرخ الصهيونى  
« رفائيل ماهلر » ، عن وضع اليهود الاقتصادى فى البلاد  
المختلفة وفى ظل النظم الاجتماعية المتعددة ، من رأسمالية  
الولايات المتحدة الأمريكية الى شيوعية الاتحاد السوفيتى  
. . يلاحظ فيها المؤرخ الصهيونى ان اليهود ليس بينهم  
فلاحون قط . وان هذا كان شأنهم فى كل البلاد التى  
عاشوا فيها ، باستثناء بولندا ، وبعض أماكن معزولة فى  
روسيا القيصرية . بل ان وجودهم فى الصناعة نفسها  
يقل فى العادة بينما يزداد تركيزهم دائما وبسرعة فى أعمال  
التجارة والمال ، وفى المهن الحرة كالطب والمحاماة والصحافة  
وغيرها . .

ففى الولايات المتحدة مثلا ، من خمسين سنة ، كان ٦٠٪  
من اليهود الأمريكان يعملون فى الصناعة ، لكن هذه النسبة



تقل كثيرا حتى تكاد تنعدم . وفي الاتحاد السوفيتى لا يكاد يوجد يهودى فلاح ، بل ويقل وجودهم أيضا كعمال صناعيين ، فهم حتى فى مؤسسات الدولة يعملون كما عمل اجدادهم منذ القرون الوسطى : باعة فى المخازن والمحلات . ويقطع المؤرخ الصهيونى بأنه لا يوجد اليوم أى مجتمع يهودى زراعى ذى قيمة فى أى بلد من البلاد التى يوجد فيها اليهود

ويستطرد المؤرخ قائلا : ان هذا بالطبع معناه ان ثمة ارتفاعا متزايدا فى مستوى معيشة اليهودى حيثما كان . ولكن اتجاه اليهود دائما الى الانحصر فى اماكن اقتصادية محددة - هى مراكز المال والتجارة - يعد مصدرا خطيرا من مصادر النزعة المعادية للسامية ، وسببا من اسباب اتساع الهوة بين اليهود وغيرهم من أبناء البلاد التى يعيشون فيها ..

فاليهود - كما يقول المؤرخ - لا يساهمون أبدا فى عملية أساسية من « عمليات الانتاج » فى أى بلد ، سواء كان انتاجا زراعيا او صناعيا .. انما هم يعملون فى المال والتجارة فقط .. الامر الذى يبذر بذور النقمسة عليهم ..

ان النزعة المعادية للسامية واضطهاد اليهود فى رأى المؤرخ ، بذورها اقتصادية تماما ، ومرجعها اساسا الى هذا الوضع الاجتماعى الاقتصادى العجيب الذى يصل اليه اليهود دائما .. حتى القول بأنه لا توجد نزعة معادية لليهود فى امريكا ، لا يقبله المؤرخ « ماهر » .. اذ يقول ان هذا امر غير مضمون فى المستقبل . ثم يلاحظ ان الموقف فى امريكا أو فى ولاية نيويورك مثلا يشبه الوضع فى برلين سنة ١٩٣٠ فى ابان موجة كراهية اليهود الجارفة : من حيث ازدياد تركيز اليهود فى الاعمال المالية والمهن

الحرية كالتب والمحاماة . فنصف المحامين والاطباء في ولاية نيويورك يهود . وهذا التركيز الاقتصادي والاجتماعى يثير كراهية الجماهير الكبيرة التى تعمل فى شتى الاعمال الانتاجية المجهدة القليلة الاجر كالزراعة والصناعة

ويروى المؤرخ أنه قضى شهرين فى جولة فى بولندا تحت النظام الشيوعى وكان فيما يبدو يناقش ويدرس قضايا اليهود وأنه كثيرا ما سمع عمالا وعاملات يسألونه « لماذا لا نجد من بين اليهود أى عامل صناعى مثلنا ؟ . لماذا لا نراهم فى هذه الاعمال المجهدّة ؟ » ويروى انه قرأ اخيرا أن الاتحاد السوفيتى قرر أنه ليس من حق أى قومية من قوميات الاتحاد السوفيتى أن يكون لها نسبة بين طلبة الجامعات أكثر مما لها من نسبة بين عمال المناجم . ثم يعقب قائلا: انه لا يوجد عامل مناجم يهودى واحد لا فى روسيا ولا فى أمريكا !

ان تركّز اليهود فى مواقع اقتصادية معينة كان دائما عاملا يفرق بينهم وبين سائر المواطنين : فى نظر أنفسهم وفى نظر سائر المواطنين على السواء ! ومنذ العصور الوسطى كانت كلمة « اليهودى » فى أوروبا معناها كلمة التاجر . . .

وانقل عن المؤرخ الصهيونى حريفيا قوله « . . ان بعض المفكرين يقولون ان التجارة بالعكس مهنة تجمع بين الناس ولا تفرقهم . ولكن هذا كلام سطحي . ان اليهود يعملون حقا فى التجارة وهم بذلك يتسلون بسائر الناس . . حتى الفلاح المتوسط فى العصور الوسطى كان لا يستطيع ان يعيش بدون ان يتردد على السوق ، لان الاقتصاد وقتها كان يقوم كله على التجارة . فاذا أخذنا اليهود الذين كانوا يملكون الحانات فى بولندا فسوف نجد أنهم بالطبع يحتكون بالفلاحين . . فالفلاحون لا يكادون يتسرون

الحانات . أنهم يقضون فيها اجازاتهم ويحتفلون فيها  
بزيجاتهم وأفراحهم ، ولكن هل « اندمج » اليهود فيهم  
كنتيجة لذلك ؟ بالطبع لا . لان اليهودي هو من يملك  
الحانة ، والباقيين هم الفلاحون ! »

ولعلني استطردت قليلا ، وراء هذه الدراسة للمؤرخ  
الصهيوني « رفائيل ماهر » ولكنني أعود الى الخيط  
الاصلي للموضوع وهو ان اليهودي - تقليديا - ليس  
فلاحا ، وان شعب اليهود منذ قرون مديدة شعب مدن ،  
يميل نشيابه دائما الى التركيز بسرعة في مهن المال  
والتجارة . .

ولكن الحركة الصهيونية الحديثة ادركت منذ وقت  
مبكر ، ان الزراعة هي التي تمنح الشعب استقراره ،  
وتغرس جذوره في الارض . ولذلك كان من أول اتجاهاتها  
خلق الفلاح اليهودي والزراعة اليهودية . ومنذ قدوم  
المهاجرين الأوائل الى فلسطين بالذات - دون سائر بلاد  
العالم - عمدوا الى خلق نواة المزرعة اليهودية . . .

فخلق الزراعة اليهودية قرار سياسي وليس قرارا  
اقتصاديا . وهذا الطابع السياسي هو الذي لازم نمو  
الزراعة اليهودية من أيام الهجرة الأولى ، والتمهيد  
للاغتصاب ، حتى مشروع تحويل نهر الاردن

وقد توصلت اسرائيل الى أسلوب هو أسلوب  
« المستعمرة الزراعية » أو الكيبوتز ، وهو وحدة  
زراعية وعسكرية في نفس الوقت حتى تستطيع أن تقاتل  
وتقاوم خلال عملية الاغتصاب ضد السكان العرب ،  
ولتكون بمثابة حصون دفاعية بعد انشاء دولة اسرائيل :  
تقوم على الأقل بمهمة الدفاع المؤقت ، نظرا لطول حدود  
اسرائيل وتمذر ايجاد جيش عامل على طول هذه الحدود،  
وبسبب ندرة اليد العاملة . فأوجدوا المستعمرة الزراعية

التي يسكنها الفلاح الجندي في نفس الوقت . .  
وبعد تأسيس دولة اسرائيل ، استمرت سياسة ايجاد  
المجتمع الزراعي لنفس الاسباب السياسية في الدرجة  
الاولى ، ولهذا نجد ان اسرائيل تعتمد اقامة المستعمرات  
الزراعية في المناطق النائية ، وفي الصحاري غير المسكونة  
كالنقب ، وفي مناطق الحدود بوجه عام ، حتى ولو كانت  
ظروف الزراعة في تلك المناطق صعبة او غير اقتصادية  
مدفوعة بنفس الاحساس السياسي ، وهو : ان الزراعة  
هي التي تشغل الارض فعلا ، وتكسب الملكية الدائمة  
لصاحبها . .

ان هذا الدافع يكمن وراء محاولة اسرائيل تحويل نهر  
الاردن ، وزراعة النقب ، أكثر مما يكمن أي سبب آخر  
وفي هذه المحاولة . . لم تصطدم اسرائيل بمشكلة  
الارض ، ولكنها اصطدمت بمشكلة الماء . .

وقد قرأت دراسة علمية مفصلة ، عن مشكلة  
الماء والزراعة في اسرائيل ، صدرت باللغة الفرنسية في  
باريس ، قام بها أستاذ فرنسي يهودي ، اسمه « جوزيف  
كلاتزمان » ، مدير معهد الدراسات العملية ، ومستشار  
معهد التنمية الصناعية والاجتماعية في فرنسا . . بعد أن  
زار اسرائيل أكثر من مرة لاتمام هذه الدراسة . . كما  
قرأت دراسة باللغة الانجليزية عن « اقتصاد اسرائيل »  
بقلم الكاتب الاسرائيلي الكسر روينز بعد أن عمل مستشارا  
لوزارات المالية والصناعة والتجارة في اسرائيل ما يقرب من  
تسع سنوات

تقول هذه الابحاث : ان اسرائيل لديها حاليا . . ٥٠ ألف  
هكتار صالحة للزراعة لو أمكن توفير الماء لها ، ولكن الماء  
لا يصل حاليا الا الى ١٣٠ ألف هكتار منها فقط . .

وكل المياه المتوافرة في اسرائيل الان لا تزيد على ١٣٠٠

مليون متر مكعب في السنة ، وحوالي ثلثي هذه الكمية يأتي من الآبار والثلث الباقي من الأنهار والجداول ومياه الوديان ، ومن هذه الكمية يذهب ٦٠ مليون متر سنويا الى الصناعة و ١٧٥ مليون متر للاستهلاك العادي و ١٠٤٠ مليون متر للزراعة . .

ومن هذا الاستخدام العنيف لمياه الآبار ، يتزايد خطر ازدياد نسبة ملوحة الأرض الزراعية ، خصوصا في تلك المناطق القريبة من شاطئ البحر . .

وليست المشكلة التي تواجه إسرائيل هي قلة الماء فقط ، ولكن المشكلة أيضا هي ان كل المياه المتوافرة موجودة في جزء معين منها ، في حين انها تريد ان تشغل بالزراعة أماكن أخرى بعيدة عن مصادر المياه ، للأسباب التي سبق ذكرها ، الأمر الذي يجعلها تضطر الى تحمل نفقات باهظة لحفظ المياه ونقلها الى مناطق بعيدة كالنقب . .

ولهذه الأسباب كلها أصبح سعر الماء مرتفعا في إسرائيل ، بل وأحيانا غير اقتصادي . .

وفي بحث « كلاتزمان » دراسة مفصلة لتكاليف الماء ولأسعاره ، يمكن ان نستخلص منها ان سعر المتر المكعب الواحد من المياه المطلوبة للزراعة يصل أحيانا الى ٢٥ مليما ، فاذا كان الهكتار يحتاج الى سبعة آلاف متر مكعب من الماء في السنة فمعنى ذلك ان تكاليف ري الهكتار الواحد تصل أحيانا الى حوالي ١٧٠ جنيها ! . .

وقد بنى الباحث دراسته على أساس تكاليف وأسعار مؤسسة « ميكورو » الإسرائيلية شبه الحكومية التي توزع حوالي ٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء سنويا في إسرائيل ولهذا تضطر الدولة الى ان تباع المياه للفلاحين بأقل من تكاليفه ، ولكن الاقتصاد القومي يتحمل من جراء ذلك عبئا باهظا ، يتزايد يوما بعد يوم . .

وأهم ما في البحث ، هو ان طريق المستقبل في اسرائيل ،  
فيما يتعلق بالماء ، مسدود تماما . .

ان اسرائيل تحلم بأن يصل عدد سكانها سنة ١٩٨٠ ،  
هكذا يقول المؤلف ، الى أربعة ملايين . .

ولكن الحساب الدقيق يقول أنه مع استخدام كل  
مصادر المياه المعروفة ، بما في ذلك تحويل نهر الاردن ،  
فان هذه الزيادة في السكان سوف تستهلك في الصناعة  
وفي الاستعمالات العادية كمية متزايدة من الماء ، لا يبقى  
منها للزراعة الا ألف مليون متر مكعب فقط ، أي أقل من  
المياه المخصصة للزراعة حالياً !!

فالطريق مسدود تماما !

ولهذا ، تبذل اسرائيل جهودا علمية وتجريبية جبارة  
في محاولة استنباط محاصيل زراعية تحتاج الى كمية أقل  
من المياه . .

و لكن الخبراء لا يرون في هذه التجارب ما يمكن أن يسد  
عطش اسرائيل . .

ولذلك ينتهي جو زيف كلاتزمان الى رأى قاطع ، هو انه  
لا مستقبل لاسرائيل الا اذا نجحت تجربتان عمليتان  
أساسيتان :

الاولى : هي تجربة تحويل مياه البحر الملحة الى مياه  
عذبة ، بتكاليف قليلة

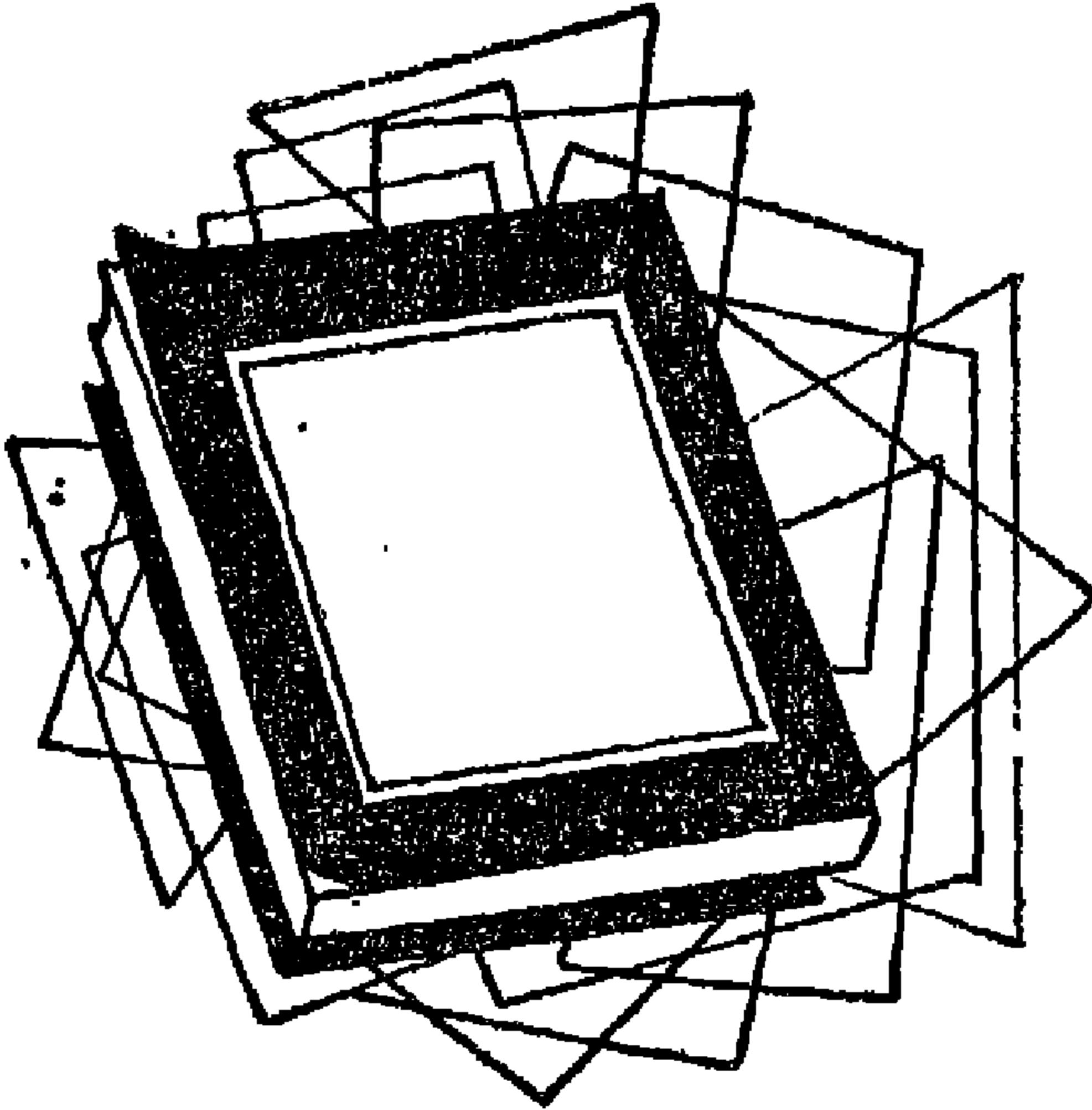
والثانية : هي تجربة استخدام المطر الصناعي . .

أما مصادر المياه المعروفة حالياً ، حتى ولو حولت  
اسرائيل نهر الاردن ، فهي لا يمكن ان تروى عطش  
اسرائيل ، اذا زاد عدد سكانها بالعدد الذي ترجوه  
لنفسها . .

## الفصل الرابع

### طوبى للخصائفين ! رواية للكاتبة الإسرائيلية يائيل دايان

يائيل دايان ، ابنة القائد الصهيوني العسكري  
المعروفه موشيه دايان ، هي مؤلفات هذه  
الرواية التي تشرح لنا عهد "عقل اسرائيل"  
و"نفسيتنا" أكثر مما تشرحه لنا عشرات  
من المؤلفات .



هذه رواية ألفتها فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها .  
الفتاة اسرائيلية صهيونية ، اسمها « يائيل دايان » ، بنت  
موشى دايان القائد العسكرى الصهيونى المعروف ، وأقرب  
المقربين الى بن جوريون ، والوزير فى حكومة اسرائيل اكثر  
من مرة . .

وقد ألفت « يائيل دايان » وهى فى التاسعة عشرة من  
العمر رواية اسمها « وجه جديد فى المرأة » ، كانت محل  
تعليقات شتى ، ولكنها لم تستوقفنى كثيرا . .

أما هذه الرواية فقد استوقفتنى بشدة لا لأنها رواية  
مكتوبة باتقان فنى كبير فحسب ، ولكن لأنها أشبه أن تكون  
تحقيقا نفسيا عن مجتمع اسرائيل ودولة اسرائيل . .  
وهو الشيء الذى يجب أن نتابعه باستمرار . .

وقد كنت جالسا فى شرفة فندق « سان جورج » فى  
بيروت حين دخل الشرفة صحفى هندى تعرفت به فى  
القاهرة منذ سنوات . . حاملا حقائبه ، آتيا من سفر .

وسألته : من أين أنت قادم ؟

فقال لى : من اسرائيل !

وقبل أن تقفز الدهشة الى وجهى قال : ليس مباشرة!  
فأنا قادم الآن من قبرص . ولكننى قبل قبرص كنت فى  
تل أبيب



ورأى أنني سوف أنهال عليه بالاسئلة فبادرنى مرة أخرى يقول :

ـ سنتحدث فيما بعد . فان على أن أنجز هنا أشياء كثيرة قبل أن أسافر قدا الى دمشق . ولكنى سأترك لك هذه الرواية التى صدرت منذ أسابيع . . اقرأها . . وسوف تجد فيها الرد على كثير من الاسئلة . . وليكن حديثنا بعد أن تفرغ من قراءتها . .

وقال لى وهو يحمل حقائبه من جديد : ان كل بلد فيه الآن أكثر من بنت تحاول أن تكون « فرنسواز ساجان » . . وهذه هى « فرنسواز ساجان اسرائيل »

وترك لى الصحفى الهنذى رواية اسمها « طوبى للخائفين ! »

القصة تبدأ فى قرية صهيونية قرب الحدود السورية اسمها « بيت عون » . . وفلسطين ما زالت فلسطين . . أى قبل انشاء دولة اسرائيل بقليل . .

ومحور القصة فى صفحاتها الاولى صبى صغير اسمه نيمرود ، أبواه « ايفرى » و « مريام » مهاجران جاءا من روسيا قبل سنوات . والصراع فى هذه الصفحات الاولى يدور حول تربية الصبى الصغير والعوامل التى تتنازع . وهى فى نفس الوقت العوامل التى تتنازع المجتمع اليهودى فى تلك القرية . .

ان الاولاد الصغار فى القرية يهربون من اهليهم الى منطقة غير مطروقة ، بالقرب من المقابر ، يلعبون فيها لعبتهم المفضلة وهى « من هو القوى ؟ » . وفيها يحاول كل صبى ان يثبت انه أقوى من الآخرين بأى طريقة يختارها . . بأن يتسلق مثلاً شجرة اعلى من الشجرة التى يتسلقها سواه أو بأن يسبح عبر نهر الاردن فى الماء البارد مدة

أطول من سواه . . أو ان يضع يده على النار المشتعلة  
ويتحمل لسعها أكثر من سواه !

وفى القرية رجل اسمه « جيدون » يسميه أهل  
القرية « الصخرة » . . فهو نموذج القوة العضلية . .  
والشجاعة البدنية . . والاستهانة بالخطر . . وهو كما  
يتهامس أهل القرية مشترك فى إحدى العصابات  
الصهيونية السرية . . ويشترك فى أعمال ارهابية مجهولة  
.. ويعود الى القرية سالما متكبرا ..

ان كل أب فى القرية يريد ان يشب ابنه مثل « جيدون »  
هذا . وان يحمل بدوره يوما لقب « الصخرة » . . وهذا  
ما يريده أيضا « ايفرى » لابنه الصبى « نيمرود » رغم  
معارضة أمه المسالمة « ميريام » التى لا تبرح المطبخ ..

ولكن الصبى تربطه علاقة زوجية باسكافى عجوز فى  
القرية اسمه « لاميش » فهو يذهب الى دكانه حيث يتفرج  
عليه وهو يصنع الاحذية ويستمتع منه الى قصص  
وحكايات عجيبة ..

ان الاب لا يحب تأثير لاميش على ابنه . . ان لاميش  
يحدثه احاديث يهودية قديمة . عن الله . والدين . والكتاب  
المقدس . . الى ان كان يوم ، رأى فيه جيدون « الصخرة »  
الصبى نيمرود يدخل مع العجوز لاميش الى المعبد اليهودي  
.. او الكنيسة اليهودية . . ودهش جيدون وذهبت  
ورأى فى هذا افسادا للطفل . فأسرع ونقل الخبر الى  
أبيه ..

وعندما عاد الصبى من المعبد الذى لا يذهب اليه الا  
القليلون ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق :

— أيام زمان ، حين كنا يهودا فى روسيا وغيرها ، كان  
من الضرورى بالنسبة لنا ان نطيع التعليمات . . ونحافظ

على ديننا ، اما الآن فقد أصبح لدينا شيء أهم ! الأرض !  
انت الآن اسرائيلي ، ولست مجرد يهودي ! أتعرف ماذا  
كان اسمي الحقيقي في روسيا ؟ .. كان اسمي «موتل» .  
هل تتصور ذلك ؟! نعم كان اسمي «موتل» ولكنني غيرته  
حين جئت الى هنا وسميت نفسي « ايفري » . لقد تركت  
هناك ملابسى ومتاعى وأقاربى .. وعثرت هنا على رب  
جديد . هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر  
البرتقال . الا تحس بذلك ؟

وأخذ ايفري حفنة من تراب الأرض وسكبها في كف  
الصبي وقال له : امسك هذا التراب .. اقبض عليه ..  
تحسسه .. تذوقه .. هذا هو ربك الوحيد .. اذا أردت  
أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة في  
أرواحنا .. ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا . هذا  
هو المهم ! اياك أن تذهب مرة أخرى الى المعبد .. اذا أردت  
أن تسلى نفسك وتتعلم شيئاً فاذهب وتعلم حلب  
البقر !

وليس هناك أقوى من هذا المشهد ، فى التدليل على  
ما جاء ذكره فى فصل سابق : من ان الصهيونية حركة  
سياسية لا دينية !

وتحاول الام أن تخفف من غلواء الاب ، تحاول أن تقول  
له ان الماضى لا يمكن أن يمضى بأكمله حتى بعد الهجرة .  
ولكن الاب لا يقبل هذا الكلام . ويستطرد قائلاً لها ولابنه:  
هناك .. كنت أخاف من القسيس .. من أبى وأمى ..  
من عسكري البوليس .. من الطبيعة .. ومن نفسى ..  
هناك لم يكن من حق الطفل اليهودي ان يكون قسواً  
أو يتسلق شجرة .. كان عليه فقط ان يبقى فى دكان  
أبيه لا يبرحه

ولكن الصبي ثيمرود يحتفظ بعلاقته « السرية » مع

الاسكافي العجوز لاميش الذى يحدثه عن الله . . وعن  
عواطف الحب والشفقة . . وعن ذكريات أيام قديمة فى  
قرية روسية بعيدة . .

حتى يجىء يوم يحتفل فيه أهل نيمرود بعيد ميلاد  
ابنهم . . ويدعون له كل الاولاد والبنات

وفى غمرة الضجة والصخب اثناء حفلة عيد الميلاد  
يظهر الاسكافي العجوز لاميش . . لقد جاء يحمل لفافة  
فى يده قال انها هدية أحضرها لنيمرود فى عيد ميلاده .  
ويفرح نيمرود بحضور لاميش بينما يستقبله أبوه فى فتور  
مهذب ويدعوه لتناول الشاي . ثم يفتح نيمرود الهدية :  
انها أرنب من الجلد . . صنعه لاميش من بقايا الجلد التى  
تملأ دكانه . . وقد ركب للارنب زرارين صغيرين فى مكان  
العينين . وتصايح الاطفال وضحكوا من نيمرود وبدأوا  
يقولون ان نيمرود نفسه أرنب لانه لا يشترك فى لعبة « من  
هو القوى » . وانفجر سخط ايفرى ، فأخذه لاميش الى  
حجرة بعيدة عن الاولاد وانفجر فيه مهددا متوعدا اذا ظل  
يتصل بابنه ويبثه المشاعر التى يبثها فيه  
قال ته :

— انك لم تتغير عما كنت عليه فى قرينتنا الروسية  
منذ سنوات بعيدة . . الهجرة لم تغير فيك أى شىء . .  
فأنت لا تهتم بالارض . . وجلدك ما زال أصفر اللون ! لم  
يكتسب أى سمرة بعد . . انك . . يهودى جدا !

ويرتجف الاسكاف العجوز بالغضب والاسى ، ويقول له :

— كيف تجرؤ يا ايفرى على أن توجه لى هذا الكلام ؟ .  
بل كيف تجرؤ يا « موتل » . يا ابن القسيس «نمخاس» ؟  
ان تغيير اسمك لا يغير حقيقتك ! انك فى قرارة نفسك  
خائف . . خائف مثل موتل ابن القسيس نمخاس تماما !  
ان الله رزقك ابنا بديعا ، ولكن ماذا أنت صانع به ؟ . .

— ليس هذا شأنك . انك تريد ان تراه يشب مثل أى  
يهودى آخر فى قرية أوربية . ولكن ابنى لن يكون هكذا .  
انه سيكون نوعا جديدا

— الانسان ليس له نوع قديم ونوع جديد وابنك كائن  
انسانى حساس . خذ أى قطعة من الجلد الطرى . . انك  
تستطيع أن تظل تطرقها وتدبغها حتى تصبح فى صلابه  
الحديد . . ولكن . . آه . . ان أى شئ فى هذه الحالة  
يمكن أن يكسرها . . انك بذلك تخسر الجلد . . ولا تحصل  
على الحديد . .

— اننى أريد أن يكون نيمرود شجاعا

— الشجاعة صفة حميدة . . اما عدم الخوف فهو  
صفة بشعة ذميمة . . انك تمارس تأثيرك عليه ساعة بعد  
ساعة ويوما بعد يوم . . تريد أن تقتلع منه كل خوف . .  
ولكن يبقى له خوف رهيب — خوفه من أن يخاف ! هذا  
ما يسيطر عليه الآن . انه لن يكون شجاعا اذا مضيت فى  
تربيته على هذا النحو . . ولكنه سيشب عاجزا عن أن يخاف ،  
وسوف يكرهك لهذا السبب يوما ما !  
— وما العيب فى الا يخاف ؟

— من لا يخاف لا يستطيع أن يحب . والله يريد منا  
أن نحب . ابنك سيتمنى أن يحب . ولكن عدم الخوف  
سوف يجعله وحيدا . . معزولا . . عزلة قاتلة . . انك  
تريد أن تتخلص من ذاتك القديمة . . ولكنك لست واثقا  
من ذاتك الجديدة . . ولهذا تحاول أن تصب ابنك فى هذا  
القالب الذى تتخيله ! . .

وحين يتصرف لامبش والضيوف ، يترقب الصبى  
المهموم الهدية التى أعدها له أبوه . . وفض إلاب لفافته  
بعناية وحرص كبيرين ، فبدا نصل لامع حاد — خنجر  
مرهف . .

وقال ايفرى لابنه : هيه . . ما رأيك ؟ خنجر حقيقى !  
تستطيع أن تقطع به أى شىء !

وقال الصبى لنفسه انه لا يعرف ما اذا كان يريد أن  
يقطع أى شىء على الاطلاق . . لقد رأى مثل هذا الخنجر  
مع الاولاد الذين من سنه . ان هذا الخنجر حلم كل صبى  
فى القرية . اما هو . .

وقال الاب ساخرا : نعم . . تستطيع أن تقطع به أى  
شىء . . حتى ذيل الارنب الجلدى  
وقال الصبى وكأنه قد تذكر فجأة :

— اين ارنبى ؟

— فى حجرتك . . على الرف . . انك طبعا لا تريد أن  
تلعب بمثل هذه اللعب التافهة

ودخل الصبى حجرتة الصغيرة لينام . . حاول أن يضع  
الارنب معه فى الفراش ولكن الفراش كان ضيقا ، فوضعه  
على مقعد مواجه له . . . ووضع بجواره السكين

ان غرفته مليئة بألعاب اشترها له أبوه . . مدافع  
ودبابات وبنادق . . ثم تذكر البندقية الحقيقية التى  
يحتفظ بها أبوه . . وكيف أن أباه يعلمه كل يوم جمعة  
كيف يستعملها وينظفها . . وتذكر كيف أن أمه لاتستطيع  
الآن أن تضىء الشموع كل يوم جمعة . لقد قال لها أبوه  
انه لم تعد هناك حاجة الى مثل هذا . ان الرب القديم لم  
يعد موجودا . . وتتردد عيناه بين الارنب الجلدى بعينيه  
المصنوعتين من الازرار وبين السكين المرهف . . حتى  
ينام . .

وفى لمحات سريعة تجتاز المؤلفة فترة الحرب العالمية  
الثانية ، واشترك العصابت الصهيونية الى جانب انجلترا ،

ثم ما بعد الحرب ، ثم حرب فلسطين ، وأخيرا اعلان  
دولة اسرائيل ..

وكيف نجد الصبي الصغير «نيمرود» وقرية «بيتعون»  
بعد هذه الخطوب ؟

لقد مات العجوز « لاميش » . مات حزينا لانه رأى  
تعاليمه تدبل ، ورأى المجتمع من حوله يتجه الى عبادة  
القوة وعدم الايمان بالله ، وعدم الاعتراف بالحب والخوف

اما «جيدون» او « الصخرة» كما كان يسميه أهل  
القرية ، ورمز القوة والالحاد والثأر من كل الحياة القديمة  
التي قاساها اليهود ، فقد عاد من اخسدى « مهماته  
السرية » حطاما . انفجر فيه لغم فمزق له ذراعيه واحدى  
ساقيه .. عاد جسدا مشوها عاجزا عن الحركة ..

وقد حاولوا اول الامر ان يمنعوا نيمرود من زيارته .  
ولكنه تسلل يوما اليه . وقد دهش حين دخل البيت  
فوجد « الصخرة » يبكى . لقد كان جيدون يمثل كل  
ماهو نقيض لاميش . ولكن ما اشبههما الآن : «لاميش ميت  
ومدفون تحت قطعة من الحجر ، وجيدون ميت حي ،  
مربوط الى سريره ، عاجز عن عمل أى شىء .. لا يستطيع  
أن يسير .. لا يستطيع أن يضم امرأة ..

— ولكنك تستطيع ان تقرأ .. وتستطيع ان تفكر ..  
وتستطيع ان تتكلم . .

— كلا . ان الصخرة لا عقل لها . اننى لم أكن اخاف  
حين كان لى جسد قوى يستطيع ان يمارس أى شىء ،  
وعضلات يستطيع ان آمرها ، وأطراف تطيعنى ، اما  
الآن ، وقد فقدت كل هذا .. فماذا بقى لى ؟

ودهش نيمرود اكثر حين قال له جيدون : انه الآن

يحسد لاميش بعد ان كان يكرهه ويحتقره !!  
- أتذكر يوم غضبت منك حين أخذك الى المعبد ؟ لقد  
كنت غيورا . ذلك اننى لم اذهب الى المعبد قط . وطالما  
اجتاحتنى رغبة خفية كى أصلى . ولكن المجتمع هنا لم يكن  
يقبل من « الصخرة » أن يصلى ، أو يكون له رب . . كان  
على « الصخرة » أن يكون رمز النموذج الجديد ، القوى  
الذى لا يخاف ، ولا يحتاج الى اله !

على انه من خلال هذا لله لم يكن هناك مفر من ان ينمو  
« نيمرود » فى القالب الذى « يريد له الجو السائد فى  
بيت عون » ، وان تهمل احلامه الارنب الجلدى وتتعلق  
بالسكين ذى النصل المرهف الحاد !

« أصبحت الحياة بالنسبة لنيمرود حياة جسد ،  
ومادة . افراخه جسدية وآماله جسدية . هدفه هو  
الاثبات المستمر لقوته الجسدية . اما الجانب الاخر من  
نيمرود فقد اختفى تماما . . فى حالات قليلة كان يبدو  
هذا الجانب الاخر كأنه طيف شاحب بعيد ، فيقوم نيمرود  
برحلة على قدميه فى انحاء البلاد ، وقد يقوى على ان يحب  
منظرا جميلا من مناظر الطبيعة ، بل وتصل به الحساسية  
أحيانا الى درجة أن يقطف بعض الازهار ، وينسى للحظة  
انه يجب ان يكون قويا فحسب . . ولكن تلك كانت  
حالات عابرة سرعان ما تختفى ، وبينما كان جديون  
الصخرة يتضاءل فى فراشه الى « صخرة صغيرة »  
ثم الى « لاميش جسد » كان نيمرود يتحول الى  
« صخرة » . كل مافى الامر انه لم يثبت صفاته تلك فى  
الحرب اذ انه كان صغيرا جدا حين قامت الحرب وانتهت .  
ولكن لا بأس ، فان أباه يؤكد له دائما انه لا مفر من الحرب  
يوما ضد العرب ، لا مفر من الحرب !

ويطرق باب نيمرود شئ جديد . . قصة حب . .



فقد نزل فى قرية « بيت عون » مجموعة من البنات المهاجرات القادمات من بودابست فى المجر . ومن بين المجموعة التقت عينا الفتاة الشقراء « ايللى » بعينى الشاب القوى ، الصخرة ، نيمرود . .

هل يتزوج نيمرود من فتاة مهاجرة مختلفة عنه فى عاداتها وتقاليدها وأفكارها ؟ سؤال تثيره الام ، ثم تزيحه جانبا . . ولا تعترض . .

ولكن السؤال الاساسى يبقى بين نيمرود والفتاة . انه يحبها . يحبها حبا من نوع خاص وكأنها مجرد امتداد لجسده أو لقدراته الجسدية المادية البحتة ، والفتاة تلاحظ هذا وتتحملة ، وترجعه اول الامر الى انه يمارس تجربته الاولى مع النساء . ولكنها تكتشف فى القرية اشياء غريبة . . تكتشف ذات ليلة اللعبة التى يمارسها الاولاد الصغار « من هو القوى » وتصرخ حين ترى صبيا يضع يده فى النار لكى يثبت انه قوى . وتعود اليها ذكرى كل بشاعات الحرب فى أوربا . وتجرى باكية الى جيديون ، الصخرة سابقا ، الراقد فى فراشه ابدا ، يقول شسعرا حزينا يائسا ! . .

انها لا تتحمل هذا الذى رآته . لان معناه انها لو تزوجت فسوف يشب اولادها على نفس التعاليم

ويقول لها جيديون « تسأليننى عن تفسير لهذا ؟ انظرى الى جيديا ! أنا التفسير ! انا الاجابة على سؤالك ! سخافة . . شجاعة زائفة ! » ثم اشار الى ساقيه المقطوعتين وقال : « لا عقل ! لا حكمة ! نتائج عظيمة وخطر عظيم ! »

وقال فيما قال انه يصاب بفثيان من « نموذج الانسان الجديد » الذى يصنعونه فى البلاد . . وقال لها ان نيمرود يريد ان يكون صخرة والصخرة لا يمكن ان تتحول الى

نبات حي قادر على التنفس ..

« وكان نجديون يلهث ، وقلبه يدق فى صوت أشبه بدقات عصا فى يد رجل أعمى ، يسير متعثرا ، مترددا ، فى ظلام مطبق بدون هدف .. ! »

وفى تلك المرحلة تعبر القصة شخصيات أخرى ثانوية وصور جانبية ولكنها ذات دلالة . فهناك اليهودى اليمنى « زكى » الذى ترسم القصة فيه نموذجا لعلاقة اليهود الشرقيين باليهود الاوربيين داخل اسرائيل . فهم تابعون ضعفاء ، يعترفون - كما تقول المؤلفة عن زكى - بضعفهم وعجزهم وحاجتهم الى قيادة وحماية اليهودى الاوربى .. وهناك «رينا» بنت المزرعة التى يمكن ان تعد صورة من « النموذج الجديد » الذى تحاول اسرائيل ان تصنعه فى عالم المرأة . وهناك «يورام» الشاب ابن المدينة - تل أبيب - الذى جاء مع فرق التدريب العسكرى الى القرية . وهناك الحديث المتواصل عن حوادث الحدود . والمؤلفة تزعم بالطبع ، بشكل غير مباشر ، ان العرب دائما هم المعتدون ، وان اليهود يتحدثون دائما عن « الرد » ، مقابلة العدوان بالعدوان ، تلقين العدو درسا . يقولون هذا كله فى لهجة أقرب الى الغيظ منها الى الحق ، وأقرب الى التعب منها الى التحفز ! ..

ويذهب نيمرود وايللى وبعض الاصحاب يوما الى المدينة ، الى تل أبيب . وهنا ترسم المؤلفة صورة غريبة للتناقض بين المزارع وبين المدن فى اسرائيل . فهى تقول ان أبناء « بيت عون » شعروا كأنهم سافروا الى دولة أخرى .. وعندما جلس نيمرود ، ابن المزرعة ، فى المقهى واستمع الى مناقشات الناس من حوله ، دهش وذعر . انهم يقولون عن اصطدامات الحدود أنها وحشية وبشعة بدلا

من أن يمجدوها. وهم يتحدثون عن السلم، بل ويقترحون إيقاف الهجرة إلى إسرائيل والموافقة على عودة بعض اللاجئين العرب إلى ديارهم ! وعندما دخل نيمرود في حديث مع بعض الناس سألوه من أين هو فقال « من بيت عون » فسألوه « أين تقع بالضبط ؟ » فجرح جرحا عميقا حين وجد أن الناس في تل أبيب لم يسمعوها عن اسم بيت عون قط \* ولكن الذي أثاره إلى أقصى حد هو أن « رينا » نموذج « الإنسان الجديد » بين البنات .. آثرت أن تترك القرية وخطيبها السابق لتتزوج شابا وسيما ناعما من تل أبيب !

وعندما عاد إلى بيت عون سأله أبوه .. « هل صحيح أننا سنقوم بإجراء عسكري بمناسبة تبادل إطلاق النار على حدود سوريا » فقال نيمرود مستهزئا « لا أظن .. » فالناس في تل أبيب يتحدثون عن السلام ! كأننا نحن .. نريد الحرب ! » وتستطرد المؤلفة قائلة « ولكنه كان يكذب . أنه يريد الصدام والآن أكثر من أى وقت مضى . أنه يريد أن يقفز إلى القتال أو فليعد إلى رحم أمه وكأنه لم يولد قط ! ان الصخرة تنمو في باطنه حتى أوشكت أن تقتل أى شيء رقيق فيه . ان « الصبار » نبات ضخيم وقوى وملء بالعصير ولكنه ينكمش في بعض المواسم ويفقد ما فيه من عصير ولا يبقى منه إلا الشوك الحاد . والشوك في نيمرود بدأ يتجه إلى الداخل ويقتل فيه أى شيء يمكن أن يكون عذبا . ولهذا فعندما نظر إلى الأرنب الجلدى فجأة سخر من نفسه وقرر أن يهديه إلى « أيللى » .. ليتخلص منه ..

وقد قرر نيمرود أن يحل مشكلة قلقه وازمته النفسية منذ عاد من تل أبيب بمشروع غريب .. فهناك وراء حدود

اسرائيل ، فى الارض العربية الممتدة ، يشرف جبل شامخ  
اسمه « جبل الثلج » حيث تلتقى حدود اسرائيل وسوريا  
ولبنان ..

وتسجل المؤلفة ما تسميه « يوميات نيمرود » فى  
رحلته الغربية • ارتدى ثيابا عربية للتنكر وأخفى خنجره  
بين طيات ثيابه وعبر الحدود ليلا ، صاعدا الى الجبل ..

رحلة غريبة مملوءة بالرمز ، جياشة بالكلمات والعبارات  
التي تحمل أكثر من معناها المباشر . ان فيها حلم الاسرائيلى  
بالتوسع خارج حدوده الحالية . وان هذه الجبال عبر  
الحدود هى ملك له . وفيها احساس الاسرائيلى بالفرور  
العميق منذ اقام دولته « اننى لا اطلب معركة ، ولكننى  
اطلب شيئا اتحداه وأتغلب عليه . وداعا يا بيت عون .  
ابنك خارج لكى يفتصب الجبال العذراء ! » ثم يتحدث  
عن شعوره المعقد نحو العربى « اننى لست مسالما ولا  
باحثا عن التهدة . ولكننى ايضا لا اهتم بالحرب . لا  
أستطيع أن اقتنع بأن هؤلاء الناس اعدائى .. ربما لانهم  
قريبون جدا ، يمكن لمسهم بأصابع اليد ، لو اننى أستطيع  
أن أتجنب رؤية « العربى » واتصوره نوعا من الوحش ،  
فلربما استطعت أن أكرهه وأن أقاتله وأحاربه . ولكن  
هذه ليست الحقيقة . اننى أعبر حدوده لمجرد انه يملك  
شيئا جميلا أريد أن ألمسه ! »

وحين يصعد الجبل يعاود تحديه : « هأنذا على قمة  
جبل الثلج اصيح كما كنت افعل وأنا صغير » من هو  
القوى ؟ « ولكن أصداء صوتى هذه المرة تتردد فى الاردن ،  
وعلى ضفاف نهر الليطانى ، وعلى الطريق الصاعد الى  
دمشق ، وفى السماء ! »

ولا نرى « العربى » فى الرواية كلها الا ونيمرود عائد ،

متلصص ، من رحلته الرمزية الغربية الى جبل الثلج  
فيلمح ظهر عربي عجوز يحمل بندقية ، ويكتب في رمز  
آخر « كنت أفكر في بندقيته ، ويدي على خنجرى • هل  
يطلق على النار اذا رآنى ؟ اسهل شيء ان أهاجمه من  
الظهر وأطعنه وأجهز عليه ! ولكن هذه ليست لعبسة  
عادلة . ولكنه - أيضا - اذا اكتشف وجودى فستكون  
هذه نهاية أشياء كثيرة . . لو رآنى فإنى ضائع لا محالة  
ويتزوج نيمرود من ايللى . وبينان بيتا جديدا فى  
المزرعة . ويشن الاسرائيليون هجوما ليليا على قرية  
سورية . وتبرر المؤلفة الهجوم طبعاً بتحرش السوريين  
بحدود اسرائيل . ويشترك نيمرود أخيراً فى القتال الذى  
كان يتحرق اليه • ويعود وفى ذراعه جرح خفيف • وتقول  
له زوجته ايللى انه يفضل ان يتخلل رصاص العدو شعر  
رأسه على أن تتخلله أصابع زوجته • •

وايللى تعيش فى حياتها مع نيمرود لكل الأسباب  
والصفات التى سبق سردها • وهى حامل ولا تريد أن  
يشب ابنها مثله • ولكن الحدث الذى جعلها تنفجر وتثور  
وتهرب من البيت هو مرض ام نيمرود ثم وفاتها • • لقد  
ذعرت ايللى وهى ترى نيمرود يعبر هذه المرحلة بسلا  
انفعال • لم يجد فى وفاة امه أكثر من مجرد حادث بديهي  
وطبيعى لا مفر منه ولا يحتاج الى حزن ولا حتى الى أن  
يذهب الى فراش موتها ! كأن هذه المرأة العجوز ليست  
أمه ولا تمت اليه بأى شيء !

وهربت ايللى الى بيت صاحبها التى تزوجت فى تل  
أبيب « افتحوا النوافذ ! • افتحوا النوافذ والابواب  
والارحام والا آختنقنا جميعا ! لقد تزوجت صخرة - شجرة  
هيئة • • واديا أجرد لا ينبت فيه شيء ! • • هل تستطيع

الصخرة أن تحب ؟ لا أريد طفلا ! لا أريد أن أنجب منه !  
و حين يذهب نيمرود الى أصحابها ليعيدوها اليه  
يقولون له « ان المسكينة تحبك ! تحب ما فيك من قوة  
تبعث على الغثيان . هذه أرض طيبة . انها لا تأكلنا .  
ولكننا نحن نأكل انفسنا . . »

وبعد أن تهدأ أعصاب ايللى ، يصلحها زوجها ، وتعود  
لتلد طفلها فى بيت عون . .

ماذا بقى فى القصة من احداث ؟

بقى حادثان أساسيان . .

الأول هو موت « جيديون » . فقد مات منتحسرا  
برصاصة أفرغها فى جوفه بعد أن ترك رسالة طويلة  
لنيمرود ، خليفته فى حمل لقب الصخرة . .  
رسالة قال فيها « اننى احس بالذنب نحوك . فقد قتلت  
الجانب الطيب فيك - وهو الخوف . لقد كنت نموذجا  
سيئا لك . لقد قتلتك لاننى نفسى قتلت بنفس الطريقة  
من قبل . .

« لقد كنت فاسدا وقويا فى البداية وهأنذا أنتهى  
فاسدا وضعيفا . . ان المرء يحتاج الى شجاعة لكى يخاف  
. . ولم تكن لدى هذه الشجاعة . ولا انت فأنت مهدد  
بمصرى - سوف تجن وتدمر كل ما حولك ، وتدمر نفسك  
قبل كل شىء . نصيحتى لك أن تترك أولادك يلعبون  
كالاطفال . لا تدعهم يشبون على هذا الطراز الجديد الذى  
يزعمون . . لا تصنع منهم صخورا . اننى أترك الارض  
لألحق بمن هم أحسن منى مثل لاميش ! »

الحادث الثانى : أو المشهد الاخير الذى تختتم به « يائيل

دايان « قصتها هو ان ابن نيمرود قد اصبغ صبيا

وقد ذهب بدوره الى حيث يلتقى الاولاد ويلعبون لعبة « من هو القوي » وقد اراد أن يثبت قوته فقفز في نهر الاردن ليعبره . ولكنه يشرف على الفرق . وفي تلك اللحظة يمر نيمرود صدفة بالمكان فيرى ابنه على وشك الغرق « وفجأة تحطم كل شيء . لقد وقف الصخرة يرتعد . كان نيمرود النموذج الجديد ، الصخرة ، يرتجف ذغرا . كان الخوف الساحق يمزقه . كل مخاوفه القديمة التي اخفاها . . واغرقها . . وقتلها . . قفزت فجأة على السطح تسخر منه وتغزو قلبه واعصابه . . وقفز بلا وعي في الماء لينقذ ابنه . . فلما انقذه فوجيء الاولاد بالصخرة يبكي كالاطفال . .

وعندما عاد الى البيت وهو ما زال يبكي قال له ابوه « ايفرى » : « ابك يا ابني . . لا تخجل ! ابك ! ضمم ابنك في فراشه وحدثه بحكايات لاميش القديمة ، وحاول أن تصلى ! »

وفي الفراش ، اخرج نيمرود من الدولاب أرنباً مضحكاً من الجلد له عينان من الازرار . . أعطاه للطفل !

هكذا قدمت « يائيل دايان » صورة لمجتمع اسرائيل من وجهة نظرها . . التي تمثل بغير شك وجهة نظر واسعة الانتشار داخل اسرائيل . . كما قال لى الصحفى الهندى الذى اعارنى الرواية . .

ومن سطور هذه الرواية وما فيها من خلجات نفهم :

— ان اسرائيل دولة اقامها ناس لا علاقة لهم بالدين ولا يعترفون به . بل انهم هاربون من دينهم قبل أى شيء آخر . رغم ان اسرائيل اقامت دعايتها وحجتها في احتلال

فلسطين على اساس الدين .. انهم ناس يثأرون لاحتقار المجتمع الاوربي واضطهاده لهم

ان اسرائيل اقامت ضجة كبيرة حول فكرة انها تخلق نوعا جديدا من الناس اطلقت عليه اسم نبات « الصبار » ليكون جنسا ممتازا على سائر البشر فهذه الدعوة - العنصرية في اساسها - تمزقها المؤلفة تمزيقا شديدا وتدمقها بالفشل الذريع .. وبأنها تشويه للانسان لا غير ..

اننا اذا تأملنا في هذه الفكرة وآثارها ونظرتها فسوف نجد أنها « نازية » مائة في المائة ! .. لها نظرة النازية الباردة الوحشية الى الصفة العنصرية ، وإلى الانسان كجسد وأداة لا شفقة في استخدامها أو تدميرها

وان فكرة القوة .. والغزو .. والتوسع .. والعدوان .. عميقة راسخة الجذور في بناء مجتمع اسرائيل وان الجيل الجديد ينتقد كل هذا .. ولكنه مصاب الى حد كبير بنفس الأمراض .. فهو حائر .. يكاد يرى ان انشاء دولة اسرائيل بالنسبة له لم يكن حلا للمشكلة ولكنه كان بداية مشكلة هائلة ..

مشكلة تتلخص في عبارة : الى أين ؟ !



## الفصل الخامس

### جان بول سارتر ومشكلة اليهودي

أيه أخطأ سارتر ، وأين أصابته  
قننة كتابته التحليلية عن  
مشكلة اليهودية ؟



جان بول سارتر فيلسوف وفنان اشتهر باتخاذ مواقف سياسية كثيرة ، تنطوي عادة على الوقوف الى جانب الحق والعدالة والمساواة ، والانتصار للمضطهدين ونضاله المشهود من أجل حرية الجزائر واستقلال الجزائر مازال ماثلا . وصموده في وجه العسكرية الرجعية في فرنسا كان رمزا لبطولة المثقف الذي يشعر بمسئوليته نحو المجتمع

جان بول سارتر من الفنانين الذين صمدوا قبل ذلك في وجه الطغيان النازي . وطالما هاجم في مؤلفاته كل ما تنطوي عليه النازية من عنصرية وتعصب قومي

ومن المنطقي أن يكون لسارتر بعد ذلك موقف قوى ضد « أعداء السامية » أي أصحاب دعوة التعصب العنصري ضد اليهود . .

من المنطقي أن يكون له هذا الموقف ، وهو موقف عادل بالتأكيد . لأن دعوة معاداة السامية والتعصب العنصري ضد اليهود هي دعوة رجعية مظلمة كدعوة معاداة الزنوج وكنزعة اضطهاد أي أقلية من أي نوع وكأي دعوة عنصرية أخرى

ولكن هذا كله لا يبرر المبالغة . ولا يبرر الخروج على المنطق السليم والجموح وراء الرغبة في تبرير كل ما يصدر

عن اليهود . وكل ما هو يهودى ومن هو يهودى . . ولو  
أدى الأمر الى اتهام العالم كله والتاريخ الانسانى كله  
بأقسى الاتهامات

ولكن هذا هو ما جمع إليه جان بول سارتر بالضبط  
. . فى هذا الكتاب الذى سوف أحاول أن أعرض بعض  
ما جاء فيه بعد استطراد قليل من هذه المقدمة . .

\*\*\*

ونحن العرب قد وجدنا أنفسنا - من حيث لانريد -  
طرفا فى كل ماله صلة باليهود . . بما فى ذلك حكاية  
« معاداة السامية » . ذلك أن اليهود ، الذين واجهوا  
على يد المجتمعات الاوربية اضطهادا طويلا ، وصل الى  
قمته فى غرف الفاز التى أقامها هتلر لاعداء الجنس  
اليهودى . . هؤلاء اليهود وجدوا أن حل قضيتهم الوحيد  
هو فى أن ينشئوا مدرسة للتعصب العنصرى لا تقل عن  
الهتلرية ، هى الصهيونية . وان تتبلور هذه النزعة  
العنصرية فى وطن ودولة لهم ينشئونها على أشلاء مليون  
عربى . . !

هكذا - من حيث لانريد - وجدنا أنفسنا محتاجين  
الى أن نرهف السمع لكل ما يقال عن اليهود أو المسألة  
اليهودية . .

لماذا ؟ . . .

هل لاننا نكره أن يدافع المدافعون عن اليهود فى  
المجتمعات التى ينتمون اليها . . فرنسية أو انجليزية أو  
أمريكية ؟ . .

كلا . . فاننا نؤمن أن اليهودى كالمسلم والمسيحى له  
حق الحياة فى الوطن الذى ينتمى اليه . بل ان دعوتنا  
الاساسية ضد اسرائيل تستند الى أن اليهودى يجب

أن يبقى في الوطن الذي ينتمي اليه . . لا أن يهاجر منه  
لينشئ دولة عنصرية باغية فوق قطعة من أرضنا

نحن اذن نتمنى لليهودى طيب المقام حيث يكون .  
لا لأن هذه هي العقيدة الانسانية التي تؤمن بها فحسب .  
بل لاننا - أيضا - أصحاب مصلحة في هذه العقيدة .  
نحن أصحاب مصلحة في أن يندثر - فعلا - التعصب  
العنصرى بوجه عام ، والتعصب العنصرى ضد اليهود  
بوجه خاص . لان هذا التعصب العنصرى ، ولو بطريق  
غير مباشر ، هو الذى خلق اسرائيل . وهذا التعصب  
العنصرى هو الذى تعمد اسرائيل - الآن - الى اذكائه ،  
او ايهام الناس بوجوده في كل مكان ، لالقاء الجذوة التي  
خلقت اسرائيل . .

نحن اذن - لهذا كله - لانكره أن يدافع المدافعون عن  
اليهودى في فرنسا أو بريطانيا أو بولندا أو أمريكا  
ولكننا نرهب السمع لهذا الدفاع ، ونشك في واقعه  
أحيانا ، لسبب هو : أن اسرائيل تتخذ سلاحا لها  
ضدنا ، وتصطنع منه دخانا يخفى جريمتها العنصرية في  
فلسطين !

هنا فقط نتنبه ونشك وننتقد ! لانه يكون هنا - على  
أحسن الفروض - من ذلك النوع الذى يقال عنه انه  
« حق يراد به باطل ! »

واسرائيل الآن تقوم « بحركة التفاف » فكرية واسعة  
في العالم أجمع ! . . . انها تحاول بالافلام الملونة ،  
وبمعدات السينما سكوب ، وبالروايات ، والمسرحيات ،  
وبالكتب العلمية والتاريخية ، وبالمحاكمات . . أن تثقل  
ضمير العالم كله بالذنب نحو اليهود ! أن تشعر كل فرد  
وكل دولة وكل دين وكل ملة أنه مسئول عن جزء مما

حل باليهود ! وفي غمرة هذا « الشعور بالذنب » الذى تغمر اسرائيل به العالم .. تحاول أن تستخلص الضمانات لاسرائيل ، والاموال لاسرائيل ، والاعداء للعرب بوصفهم الخصوم الجدد لليهود ! .. فى غمرة هذا « الشعور بالذنب » الذى تغمر به اسرائيل العالم تحاول أن تقنع هذا العالم بأن يغفر لها ذنبها ، وأن يرى فى طرد مليون عربى نوعا من التعويض المعقول لها !

ويجب أن نعترف بأن اسرائيل قد نجحت - فى أماكن كثيرة من العالم - فى خلق هذا الشعور ! وجان بول سارتر نفسه - فى هذا الكتاب الذى أعرض له ، يقول ان بعض المتحررين لا يرون فى اليهود الا مجرد موضوع يثبتون به تحررهم ! فالواحد منهم يتحمس فى الدفاع عن اليهود لا لاحساس باطنى قوى بالحاجة الى هذا الدفاع ، ولكن ليقول للعالم أنه متحرر !

واننى لآخشى ، أن يكون جان بول سارتر نفسه ، قد وقع فى هذه الفلطة ، وفاق كل المتطرفين فى الدفاع عن اليهود لهذا السبب .. من حيث يدرى أو من حيث لا يدرى ! ..

ان العنوان الكامل لهذا الكتاب - ١٥٢ صفحة - هو « عدو السامية .. واليهودى ! » ...

وسارتر فى هذا الكتاب يشرح لنا - أولا - نظريته الفلسفية فى « الانسان » ليقيم على أساسها تبريره المطلق لكل ما يصدر عن اليهود ! ..

ونظريته فى ( الانسان ) - فى محاولة للتبسيط الشديد - هى أنه لا يوجد شيء اسمه « الطبيعة الانسانية » . أى أن الانسان لا تتحدد صفاته وأخلاقه ونزعاته بمجرد مولده .. ولكن يوجد شيء اسمه « انسان فى موقف »

... بمعنى أن « الموقف » الذي يوجد فيه الإنسان هو الذي يحدد ويصنع طبيعة الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية .. الى آخره . فالإنسان لا يمكن تمييزه أو فصله عن « الموقف » الذي يوجد فيه

والناس المتشابهون لا يشابهون بحكم « طبيعة » واحدة ولدوا بها ولكنهم يتشابهون بحكم تشابه « الموقف » أو « الحالة » التي يوجدون فيها . فما يجمع بين فئة من الناس هو وحدة « الموقف » وليس وحدة الطبيعة البشرية ..

والنتيجة التي يربتها سارتر على هذا هي : انه لا يوجد شيء اسمه « جنس » يهودى واحد له « طبيعة » واحدة . فالواقع ، كما يقول ، ان هناك « أجناسا » يهودية متعددة ، فالفرق بين اليهودى الروسى مثلا واليهودى اليمنى شاسع جدا كالفرق بين أى روسى وأى يمنى !

فوحدة الجنس اذن ليست هى التى تجمع بين يهود العالم ..

هل هى وحدة التراث والتاريخ ؟

فى رأى سارتر : لا ! فتاريخ وطن اسرائيل القديم قد انقطع واندر منذ ألفى سنة . فيهود العالم فى الواقع لا يجمعهم تاريخ واحد ولا عاطفة قومية واحدة

اذن .. هل تكون وحدة الدين ؟

كلا أيضا ! فالناس من أديان كثيرة يعيشون متفرقين فى أنحاء الارض دون أن تكون بينهم هذه « الرابطة » أو « الوحدة » التى نراها بين يهود العالم . ثم ان اليهود المشتتين لهم نظرات مختلفة الى الدين نفسه . وكثير منهم ملحدون فى حقيقة الامر ولكنهم مع ذلك يتمسكون

« بطقوس » الدين فقط ، لانه يعطيهم احساسا  
« بالانتماء » الى فئة معينة ، فالدين بالنسبة لليهود  
لا قيمة له عندهم « كدين » ولكن قيمته عندهم هي  
« كرمز » فقط

ويخلص سارتر من هذا الى ان الشئ الحقيقى الذى  
يربط بين يهود العالم هو « موقفهم » ! هو موقف كل  
المجتمعات منهم .. ونظرة العالم اليهم !  
وأمضى خطوة أخرى مع منطق جان بول سارتر ..  
كى تكتمل فكرته أمام القارىء

ان اليهودى - فى رأى سارتر - يولد كما يولد أى  
مخلوق على سطح الارض .. ولكنه حين يشب يجد  
نفسه فى « موقف » مختلف عن الآخرين : يجد ان الناس  
ينظرون اليه كيهودى .. وان الدنيا تعامله كيهودى ..  
هو وكل يهودى مثله ..

انه يولد وحوله جو من الاستعباد والاشمئزاز والنفور  
والكراهية !

انه يولد ليجد نفسه فى موقف « الملعون » . واذا به  
يكتسب ، بالتالى ، الصفات المادية والمعنوية والسياسية  
والاقتصادية التى تترتب على هذا « الموقف » ..

انه يولد ولديه القابلية الطبيعية لكى يكون مواطنا  
مندمجا فى الوطن .. فرنسيا فى فرنسا ، وانجليزيا فى  
بريطانيا .. ولكن المواطنين هم الذين يأبون عليه أن  
يندمج .. فلا يجد مقرا من أن يظل « يهوديا » .. وأن  
تظل اليهودية صفة تميزه وتفصله عن الآخرين ..  
ويصبح بالتالى « غير قابل » للانتماء الى الوطن - أى  
وطن - والاندماج فيه

ولما كان اليهودى - أيا كان المكان الذى يولد فيه -

يواجه هذا « الموقف » . . . فان هذا « الموقف الواحد »  
بالتالى يوحد بين جميع اليهود فى العالم . . ويخلق  
بينهم هذه الرابطة التى نعرفها . . . والتى مصدرها هو  
هذا الموقف « المنبؤ » وليس مصدرها وحدة الدين ولا  
وحدة الجنس ولا وحدة التاريخ ! . .

وأقدم تهمة وضعت لليهود فى هذا الوضع المنبؤ من  
العالم المسيحى ، هو اتهام المسيحيين لهم بأنهم قتلوا  
المسيح . . . ولذلك فكل مسيحى أوربى يشب وهو ينظر  
الى اليهود على أنهم قتلة أحفاد قتلة ! . .

والفكرة التى يبنى عليها سارتر نظريته - الى الآن -  
معقولة الى حد بعيد . ان الذى يجمع اليهود ليس الاصل  
الواحد ولا الدين الواحد ولا التاريخ الواحد . وهذا  
أحد الأدلة التى نسوقها لنقول انه لا حق لهم فى الوطن  
الذى اغتصبوه فى فلسطين . انما الذى يجمعهم هو  
وحدة « الموقف » . . موقف « النبذ » و « الأبعاد »  
الذى يواجهونه فى أوربا بالذات

ولكن سارتر بالغ كثيرا فى ترتيب النتائج على هذه  
الفكرة . فذهب الى أقصى الحدود فى القاء مسئولية  
هذا « النبذ » على المجتمعات التى ينشأ فيها اليهود .  
أى على العالم كله . . فى حين لم يفكر لحظة واحدة فى  
أن يكون اليهود أنفسهم مسئولين - ولو الى حد ما -  
عن هذا النبذ الذى يعيشون فيه

ومنذ ذلك الوقت والمجتمعات المسيحية فى أوربا  
ترفض أن ينتمى اليهود اليها أو يندمجوا فيها - قوميا  
أو اجتماعيا - لقد اختارت أوربا لهم مركز « الملعون »  
فلم يكن أمامهم مفر من أن يسلكوا سلوك الملعون . كان  
محرمًا عليهم أن يمتلكوا الأرض أو أن يخدموا فى الجيش  
. . فلم يكن أمامهم مفر من أن يركزوا حياتهم على النقود .



ويعززونهم المطلق على النقود تعززت اللعنة الاولى عليهم  
بلعنة جديدة اقتصادية . واليوم يتهم العالم اليهود  
بأنهم لا يعملون أبدا في أعمال انتاجية كالزراعة أو الصناعة  
أو العمل اليدوى ولكنهم يعملون في مهنة النقود . . فان  
السبب في رأى سارتر هو أن أوروبا المسيحية أبت عليهم  
أن ينتموا الى الوطن انتماء عاديا وأبت عليهم ممارسة  
أى مهنة أخرى



ويستطرد سارتر استطرادا ذكيا في تحليل حباليهود  
المشهور للفلوس ، وتفرغهم للعمل في الاوراق المالية  
والبنوك والمضاربات وما الى ذلك فيقول : ان الذى  
يجذب اليهودى الى الفلوس ليس حب الفضة أو الذهب  
في حد ذاته ، ولكن الذى يجذبه فى الفلوس هو : قونها  
الشرائية أو « قدرتها على الشراء » . الفلوس لا جنسية  
لها . ولا قومية ولا تراث . انها لغة عالمية . . قوتها  
مستقلة عن قوة القيم الأخرى التى يجد اليهودى نفسه  
محروما منها . « ثمن » أى شىء لا يتوقف على شخصية  
ولا جنسية ولا دين المشتري . المشتري هو الذى يملك  
الرقم المكتوب فى خانة السعر . فاذا دفع الثمن فانه  
يصبح المالك القانونى للشىء . فالتملك بالشراء لغة عالمية  
لا تحتاج الا الى الفلوس . فى الآداب المحلية نقرأ دائما  
ان هناك اشياء كثيرة ليس لها ثمن . . لا تباع ولا تشتري  
كالشرف والحب والفضيلة والذوق . . الى آخره ،  
وهذا فى رأى سارتر أسلوب لاستبعاد اليهودى وحرمانه  
من نيل هذه الاشياء . ولكن هذا فى حد ذاته هو الذى  
يجعل اليهودى حريصا على أن يثبت أن كل هذه الاشياء  
يمكن شراؤها ، وأن الفلوس بالتالى هى أهم شىء . انه  
لا يؤمن بأن أى شىء له « قيمة » ولكن كل شىء له

« ثمن » . ان « القيمة » لها معايير كثيرة غير الفلوس .. ترجع الى التراث مثلا أو الانتماء الى أصل معين أو حضارة معينة .. أو أو .. الى آخر هذه الاشياء التي يجد اليهودى نفسه محروما منها ، فهو لذلك يحاول إلغاء فكرة « القيمة » التي لا يستطيع أن يشارك فيها لتحل محلها فكرة « الثمن » .. أى الفلوس .. الشيء الذى يستطيع أن يمتلكه ويشارك فيه

« القيمة » شيء اجتماعى . فما ليس له قيمة فى مجتمع قد تكون له قيمة كبيرة فى مجتمع آخر . واليهودى منبوذ من كل مجتمع ، لذلك فهو يفضل إلغاء فكرة « القيمة » التي لا يستطيع أن يشارك فيها ، ويحل محلها فكرة « الثمن »

فلهفة اليهودى على الفلوس .. وعدم اعترافه بأى قيمة إلا بالفلوس وبفكرة الثمن .. ليس مصدرهما خسة طبيعية فيه . ولكنهما «رد فعل» لحرمان المجتمع له من المشاركة فى القيم الخاصة بهذا المجتمع

يضاف الى ذلك أن اليهودى دائما قلق فى أعماقه . انه لا يطمئن أبدا الى استمرار ملكيته لى شيء . انه لا يستطيع أن يثق فى أن مركزه أو ممتلكاته أو قوته فى المجتمع الذى يعيش فيه يمكن أن تستمر غدا .. تاريخه عبارة عن عشرين قرنا من التيه والتجوال .. انه مستعد فى أى لحظة لأن يحمل عصاه على كاهله ويرحل . انه لا يمكن أن يستشعر فعلا استقرار « الآرى » الذى لا يمكن مناقشة التصاقه بأرضه وانتمائه لوطنه ، وكل القيم الاجتماعية المعترف بها فى بلاده

على هذا النحو يمضى سارتر فى سرد كثير من الصفات التي أصبحت لاصقة بشخصية « اليهودى » فى الذهن

العام ، مبررا لها جميعا بأنها رد فعل ونتيجة لمعاملة  
المسيحية الاوربية ، والقوميات الاوربية لليهود خلال  
٢٠٠٠ سنة مستمرة من الزمان . حتى حين يقول  
الواحد « يهودية حسناء » يجد أن للكلمة وقعا يختلف  
عن وقع قوله « أمريكية حسناء » أو « يونانية حسناء »  
مثلا . أن كلمة « يهودية حسناء » فيها نوع من لذة  
الاستباحة والاعتصاب ! اليهودية الحسنة هي تلك التي  
جرها فرسان القوزاق من شوارعها في شوارع القرى  
المحترقة . اليهودية الحسنة في الفولكلور - الادب  
الشعبي - الاوربي هي المقهورة المفتصة أو الدليلة في  
حب أوربي لايهتم لها كثيرا ، وسوف يتزوج آخر الامر  
من اوربية مثله . وفي بعض القصص الشعبية حين تموت  
اليهودية في سبيل حبها اليائس لاتقدم القصة موتها على  
انه استشهاد ، بل على أنه نوع من العدل ! »

« واليهودى فى فرنسا مثلا قد يصل الى أعلى  
الدرجات ، ويحقق أكبر قدر من الثراء ، ولكن المجتمع  
رغم ذلك يأبى عليه أن يلتحق التحاقا حقيقيا حتى ولو  
« قبل وجوده » فى كل مكان . انه قد يصبح وزيرا .  
ولكن الناس لاذكرونه فيقولون انه « وزير » بل انه  
« وزير يهودى »

وكما يرسم جان بول سارتر صورة اليهودى التى  
خلقها المجتمع الاوربى . . يرسم صورة « عدو السامية »  
.. وهو ليس المواطن الاوربى العادى ، ولا حتى الذى  
يقف من اليهودى هذا الموقف ، بل هو ذلك الذى يتميز  
بعداء خاص لليهود

يقول سارتر ان أعداء السامية ودعاة التعصب العنصرى  
ليسوا عادة من الازكياء او المتفوقين بأى صورة من صور

التفوق . أى ليسوا من « النخبة » فى أى مجتمع .  
ولكنهم من « العاديين تماما » أو الأقل من العاديين !

وأغلب الدعوات العنيفة ضد السامية نشأت وترعرعت  
بين أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة التى لا يملك أفرادها  
شيئا . . فبمجرد تعصبهم يشعرون فجأة بأنهم يمتلكون  
شيئا . فالطبقة المتوسطة الصغيرة التى لا تملك إلا قليلا  
فى ألمانيا كانت هى نواة دعوة معاداة السامية ، أنها عاجزة  
أزاء « اليونكرز » وكبار الصناعيين الذين يملكون كل شيء  
فى ألمانيا ، وهى فى نفس الوقت لا تقبل الاعتراف بأنها  
لا تملك شيئا كالبروليتاريا ، لهذا أقبلت على دعوة معاداة  
السامية لأنها تعطيها احساسا بالامتلاك وبالتميز أزاء  
فئة أخرى ، هى اليهود ، تريد أن تسرق منها ماتملك  
.. وهو الوطن !

ويقول جان بول سارتر ان اليهودى . . أزاء هذا  
« الموقف » الذى يجد نفسه فيه . . يختار أحد موقفين . .  
فريق يحاول أن يتنصل من يهوديته . . وان يتهرب منها  
.. وان يتستر عليها . . أى يحاول بوجه عام تخفيف وقع  
المقاطعة الموجهة ضده . . فهو انسان فى حالة هرب دائما  
من نفسه ومن وضعه . . .

وفريق ثان . . يكون رد فعله عكسيا . انه يقبل اتهام  
العالم كله ، ويعامل العالم على هذا الأساس ، ومن هذا  
الفريق الثانى خرج - فى رأى سارتر - أولئك الذين  
دعوا الى اقامة وطن يهودى ودولة يهودية ، على أساس  
أن تأكيد الذات اليهودية والوجود اليهودى ، والرد على  
النفى الاجتماعى فى انحاء العالم لا يكون الا باقامة دولة  
تكون لها أرض وقومية ووجود ينتمى اليه

ثم يقول : ان اقامة دولة يهودية قد تحل مشكلة  
اليهود الذين يسكنون فى تلك الدولة . ولكنها لا تحل

مشكلة اليهود الذين يفضلون البقاء في أوطانهم ، بل انها تزيد من تعقيد موقفهم . ذلك أن قيام هذه الدولة هو دليل آخر يبرهن على مايقوله خصومهم من أنهم لا يحبون الانتماء الى الاوطان التي يعيشون فيها أصلا

وهو يتنبأ بأزمة شديدة بين اليهود المهاجرين الى اسرائيل من جهة . . واليهود الباقين في أرض آبائهم وأجدادهم . فرنسا أو غير فرنسا من جهة أخرى !

الى هنا . . وأعتقد أنني أعطيت وجهة نظر سارتر في الموضوع فرصة كافية في حدود هذه المساحة ، وقد آن أن نتأمل كلامه معا في سطور قليلة . .

ان الملاحظة البارزة على هذا الكتاب هي أن سارتر كتبه بلهجة المحامي ، فبالرغم من أن فيه أشياء كثيرة صحيحة وعلى درجة كبيرة من ذكاء التحليل . . فان الكتاب كله مكتوب بلهجة المحامي الموكل للدفاع عن قضية معينة . فهو يشعر أن من واجبه تبرير كل شيء . والدفاع عن كل شيء . ونفى كل مسئولية - صغيرة أو كبيرة - عن موكله !

ونحن - كما سبق أن قلت - لسنا أعداء للسامية ولا أعداء لليهود كجنس أو كدين . بل ولانختلف في هذه الناحية عن أي رأى قال به سارتر ولكن المرء حين يفصل في قضايا نفسية وتاريخية واجتماعية عمرها ٢٠٠٠ سنة ، لا يمكن أن يلقي كل المسئولية على طرف واحد دون طرف وهو مطمئن الضمير . ولقد بالغ سارتر في نفى أي مسئولية عن اليهود الى درجة أنه كاد يكون « عنصريا » بمعنى آخر ! فكما أن كراهية عنصر معين هو اتجاه عنصري ، كذلك فان نسبة فضيلة الصواب المطلق الى عنصر معين هي أيضا نزعة عنصرية !

ان سارتر حين يعيد ويزيد ويؤكد ان اليهود يحاولون دائما الاندماج والدوبان في كل مجتمع يعيشون فيه ، ولكن المجتمعات العالمية هي التي ترفض ذلك ، وهي التي تصر على ابقائهم منفصلين . . انما يتجاهل في الواقع محاولات كثيرة جرت لامتصاص اليهود في مجتمعات كثيرة ، ويتجاهل ان اضطهاد اليهود اذا كان قد حدث في مناسبات كثيرة الا انه لم يكن أبدا القاعدة المستمرة في التاريخ

وفي بلاد كالبلاد الشيوعية ، تم فيها الغاء الدين بصفة رسمية وبالتالي تم فيها الغاء السدين كعنصر تمييز بين مواطن ومواطن ، وانفتحت بذلك فرصة ضخمة لليهود لكي يصبحوا على الزمن جزءا لا يتجزأ من البلد الذي يعيشون فيه . . لم يغير هذا من الحقيقة في شيء ، وظلت المشكلة اليهودية قائمة بنحو أو بآخر . . بمعنى أنه ظلت الرابطة اليهودية المنفصلة عن الرابطة القومية العامة في تلك البلاد قائمة . وآية ذلك محاولات اليهود في تلك البلاد من أجل الهجرة الى اسرائيل . بالرغم من أن كثيرين جدا من هؤلاء الراغبين في الهجرة هم في الواقع ملحدون ، كما يقول سارتر نفسه في ملاحظته عن اليهود الاوربيين

انهم هنا يهربون من هذا « الاندماج » الذي يقول سارتر انهم يطلبونه !

ولا يمكن القول بانهم يهربون من نظام اقتصادي لا يحبونه مثلا . . لانه لا يحدث أبدا أن تهرب « فئة بأكملها » من وطنها ، اذا كانت تحس بالانتماء الى هذا الوطن بالمعنى الذي يفهمه أي مواطن في أي وطن لمجرد اعتراضها على النظام الاقتصادي

وقد ركز سارتر حديثه خلال صفحات طوال عن

اشترك اليهود الفرنسيين في المقاومة السرية ضد النازي  
وضد الاحتلال الألماني . وأشاد طويلا ببطولتهم وقال  
مامعناه انهم بهذا دفعوا أعظم ضريبة يمكن أن يدفعها  
أى فرنسى

ولكن هذا المثل لا يصلح دليلا مطلقا على رغبتهم في  
الاندماج والانتماء المطلق الى المجتمع الذى يعيشون  
فيه . والسبب هو أن العدوان النازي لم يكن موجها  
ضد « فرنسا » وحدها ، إنما كان موجها أيضا ضد  
« اليهود » بالذات . كان هتلر يهدد اليهود أكثر مما  
يهدد فرنسا . . فهم هنا أمام خصم للطائفة لا مجرد خصم  
للوطن . ولهذا فهم قد حاربوا هتلر كيهود قبل أن يحاربوه  
كفرنسيين . حاربوا حرب الدفاع عن بقاء اليهود لا حرب  
الدفاع عن عظمة فرنسا مثلا !

والدليل على ذلك أن هناك أمثلة كثيرة تدل على أن  
اليهود في هذا الوطن أو ذاك لم يكونوا يختارون دائما  
الانتماء الى الوطن في ساعات مجد الوطن وساعات ذله  
على السواء ، وهو الانتماء الحقيقى . إنما كانوا كثيرا  
ما يعتبرون أنفسهم كتلة خارج دائرة الوطن ، لها حرية  
اختيار الوطن وتغييره وفق المصلحة التى يرونها . .

سارتر نفسه يشير الى الثورة الوطنية البولندية التى  
نشبت فى القرن التاسع عشر ضد الاحتلال الروسى .  
وكيف أن يهود وارسو برفضهم الانضمام الى الثورة  
كانوا يهدفون الى تحقيق مركز ممتاز لانفسهم عن طريق  
مواالة المفتصب الروسى

وسارتر يقول أن قيصر روسيا كان يضطهد يهود  
روسيا فى نفس الوقت الذى كان يمالئ فيه يهود بولندا  
ويمنحهم الامتيازات . وأن السبب هو أن القيصر

اعتبرهم فئة منفصلة عن الوطن في الحالتين . فالفئة المنفصلة في وطنه هي خطر على وطنه ولذلك يضطهدهم . والفئة المنفصلة في وطن بولندا تفيد سياسته ضد بولندا فهو لهذا يمالئهم !

ولكن هل دفاع سارتر هذا يبرئ اليهود - تماما - من مسئولية الموقف ؟

واذا فرضنا ان موقف الاضطهاد داخل روسيا كان « مفروضا » عليهم ولا حيلة لهم فيه .. فهل موقف عمالة المستعمر في بولندا ايضا كان مفروضا عليهم ولا حيلة لهم فيه ؟

بالطبع .. لا ! ..

مثل آخر اضربه لا لان له دلالة خاصة ، ولكن لانه كان محل جدل بالذات ، هو : اليهود في الجزائر ! .. ان اليهود الجزائريين من سكان البلاد الاصليين . ومنذ الاحتلال الفرنسي للجزائر على الاقل يمكن القول ان حظهم وحظ ابناء سائر الاديان كان واحدا . فلا يعقل ان يضطهدهم الجزائريون وهم انفسهم مضطهدون . ولكن اليهود هناك وجدوا الفرصة المناسبة بعد الاحتلال لكن يختاروا الجنسية الفرنسية وينضموا بكل كياناتهم الى الكيان الطارىء على الجزائر ، صاحب الامتيازات ويتخلصوا من جلدتهم الجزائري القديم وكان هذا قبل ان تقرر فرنسا اعطاء الجنسية الفرنسية لكل سكان الجزائر بعشرات من السنين .. وبعد مرور حقبة طويلة ، وبعد اشتعال النار تحت بوتقة الثورة الجزائرية ، اصبح اليهود الجزائريون جزءا من الاوروبيين ومن مشكلة الاوروبيين



ليس صحيحا اذن هذا الموقف الذى يتخذه سارتر .. من طلب البراءة التامة لكل المجتمعات اليهودية فى كل زمان ومكان .. وطلب الادانة الكاملة لكل المجتمعات الانسانية الاخرى فى كل زمان ومكان ! ...

وكما ان المحامى الذكى يعتمد عادة الى اخفاء واهمال نقط الضعف فى موقف موكله ، كذلك فان سارتر يمر مرور الكرام على نقط الضعف الاساسية فى موقف اليهود اليوم ..

ان الكتاب - مثلا - مشحون بطاقة هائلة ضد أى اتجاه عنصرى . فماذا عن الدعوة العنصرية فى داخل المجتمع اليهودى .. وهى الدعوة الصهيونية ؟  
لاشئ !

بالرغم من ان سارتر اشبع كل شئ يتصل بالمسألة اليهودية عرضا وتحليلا فانه لم يذكر الصهيونية الا فى سطور تعد على أصابع اليد الواحدة ! ..

رغم ان الصهيونية كدعوة كان عمرها أكثر من نصف قرن عندما كتب هذا الكتاب !

رغم ان الصهيونية - كدعوة عنصرية - أقدم من النازية نفسها بعشرات من السنين ! ..

لانه لو وضع الصهيونية فى مكانها المناسب من الاهمية ، فكأنه وضع اليهود أو فئة كبيرة منهم تحت رحمة كل مدافعه الثقيلة التى يصوبها فى كتابه الى النزعات العنصرية وإلى كل أنواع التعصب

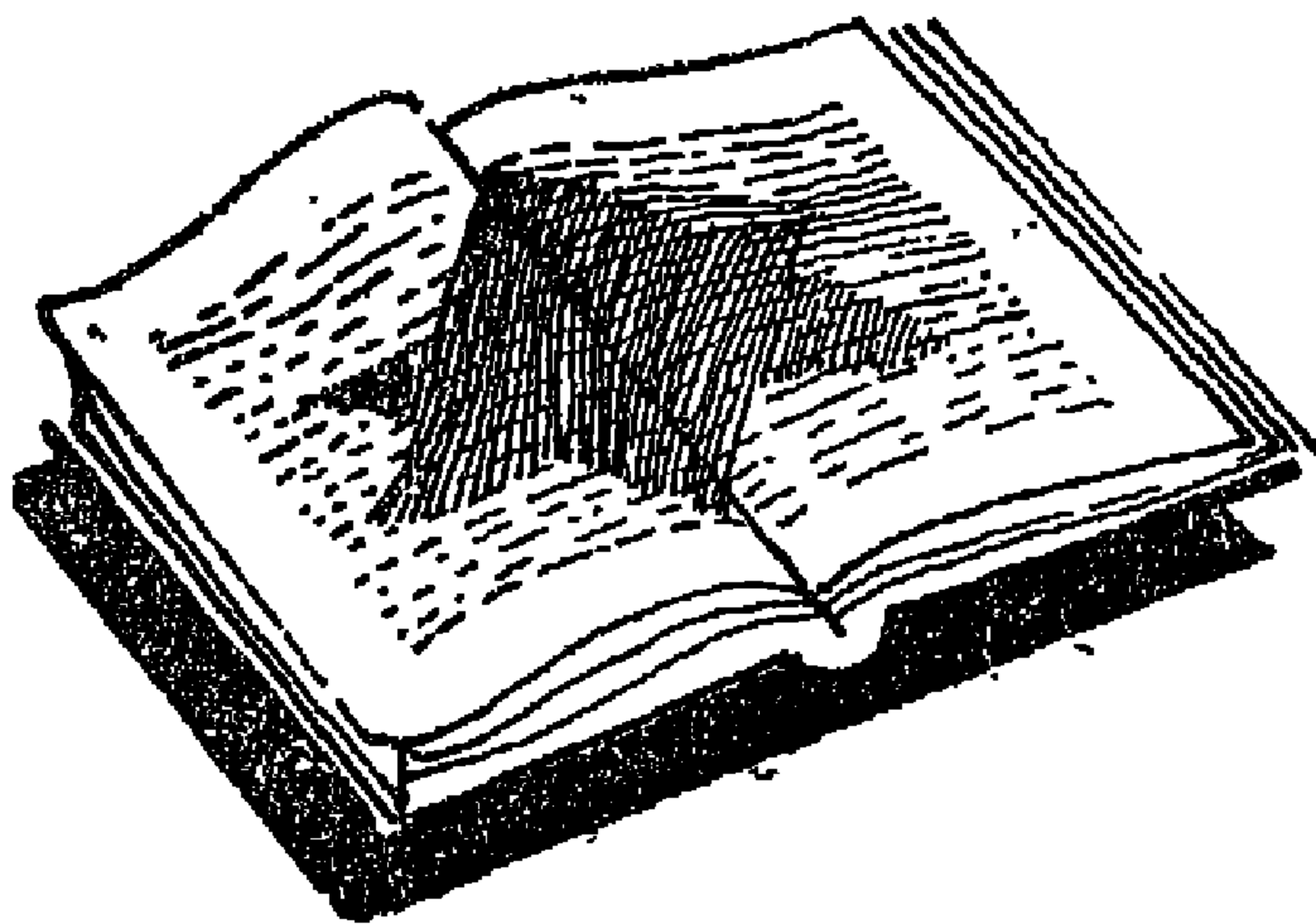
ومن المؤكد أن أى دراسة للمسألة اليهودية الان لاتهتم بالدعوة الصهيونية فكريا وسياسيا وتاريخيا .. تكون دراسة ناقصة ومتحيزة الى حد كبير ! ..



## الفصل السادس

### مذكرات بن جوريون

قصة الحركة الصهيونية ، كما يرويها  
بن جوريون ، من إلقاء الخطب المتفرقة  
في القرى اليهودية الروسية سنة ١٩٠٠  
إلى تأسيس أول مستعمرات يهودية  
في فلسطين ، إلى حرب السويس !



من الصفحات الاولى لهذه المذكرات ، يلاحظ القارئ  
أن بن جوريون لم يحاول قط ان يكتب في هذا الكتاب  
كمؤرخ ولا حتى كسياسى متقاعد ، ولكنه كتبه كسياسى  
ما زالت عينه على المسرح ، ينتظر الساعة التى يعود فيها  
الى الظهور : أى انه كتب فقط ما يناسب مواقفه  
السياسية والمستقبله ...

والحقائق التى أخفاها بن جوريون - بالطبع - أهم  
من الحقائق التى ذكرها ..

ومع ذلك ، فماذا يقول بن جوريون فى مذكراته التى  
ظهرت منذ شهور ؟

يقول دافيد بن جوريون :

« منذ آلاف السنين ورغبة اليهود فى العودة الى ارض  
اسرائيل لا تموت . وأحيانا كانت هذه الرغبة تتعبدى  
مجرد رغبة العودة الى الرغبة فى زراعة الارض ذاتها : ففى  
سنة ١٥٩٣ ، جاء « دون جوزيف ناسى » مع اتباعه من  
اسبانيا الى فلسطين ، حيث أقام اول مستعمرة زراعية  
فى الجليل ، على شاطئ بحيرة طبريا

ومنذ أكثر من مائة سنة حاول مليونير انجليزى يهودى،  
اسمه السير « موسى مونتفيور » ، أن يقنع اليهود المتوطنين  
فى فلسطين بأن يتحولوا الى فلاحين ، ومن أجل هذا

الهدف : أقيمت أول « بيارة » يهودية من « بيارات »  
البرتقال ، بالقرب من يافا ، سنة ١٨٥٦

وبعد ثلاثين سنة أسست منظمة يهودية فرنسية ،  
اسمها التحالف الاسرائيلي العالمى ، أول مدرسة زراعية  
فى فلسطين . .

وفى سنة ١٨٧٨ ، أسس يهودى من القدس أول  
قرية يهودية كاملة سماها « بتاح تكفاه Petah Tikva »  
أى : باب الأمل !

ثم بدأت الهجرة ، مع التحول الى زراعة الارض بالذات  
تتوالى : موجات فقيرة تأتى من روسيا وشرق اوربا بوجه  
عام ، وأموال تأتى من غرب أوربا ، برز من بين دافعيها  
اسم البارون « ادمون دى روتشيلد » رجل العائلة المالية  
الشهيرة ، التى كانت تمول أغنى حكومات اوربا كما تمول  
أقصى حروبها : نفس العائلة التى مولت شراء انجلترا  
لاسهم قناة السويس التى كانت تملكها مصر ، على يد  
« الخديو اسماعيل »

وفى سنة ١٨٩٦ ، أصدر صحفى ومؤلف مسرحى  
يهودى اسمه « ثيودور هرتزل » كتابا صغيرا ، أطلق عليه  
اسما غريب الوقع فى ذلك الوقت وهو بالالمانية  
Der judenstaat أى « الدولة اليهودية »

كان هرتزل قد أرسلته صحيفة نمسوبة الى باريس  
ليبحث اليها بتفاصيل محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى  
« دريفوس » ، فتأثر بما وجد من نزعة الى معاداة السامية  
فى هذه المحاكمة ، فألف هذا الكتاب

ومن يوم صدور هذا الكتاب الصغير ، ولدت الحركة  
الصهيونية العالمية ، التى وضعت نصب عينيها اقامة دولة  
يهودية

ولم تحدد الحركة الصهيونية مكان هذه الدولة ، في البدء ، بفلسطين . إنما كانت مستعدة لقبول أى مكان يمكنها أن تقيم فيه الدولة الحلم

هكذا ذهبوا في البداية الى الخليفة التركى العثمانى ليعطيهم مكانا ما في الشرق الادنى ولكنه رفض . وفي سنة ١٩٠٢ تحولوا الى القوة الجديدة البازغة ، انجلترا ، لكى تسمح لهم باقامة هذه الدولة في العريش وما حولها من صحراء سيناء ولكن ندرة الماء في تلك المنطقة من جهة ومعارضة لورد كرومر الذى كان يحكم مصر في ذلك الوقت من جهة اخرى ، أجهز على الفكرة ، ثم جاء جوزيف تشيمبرلن وزير المستعمرات البريطانى وعرض على الصهيونية ان تقيم وطنها في اوغندا ، وهو الاقتراح الذى قسم الحركة الصهيونية وقتذاك الى قسمين : قسم يقبل العرض وقسم لا يقبله

عند هذه النقطة يقول بن جوريون فى كتابه « اسرائيل : سنوات التحدى » . . « ان الثورة الروسية قامت سنة ١٩٠٥ ثم تمكن القيصر من قمعها » . ويعترف بن جوريون ان هذه الثورة التحررية لو نجحت لادت الى رفع الاضطهاد عن اليهود الروس ، ولأثرت بالتالى على اقبال اليهود الروس على الهجرة ، ولكن الثورة اخمدت . وسيطر الحكم المظلم من جديد . فبدأت موجة من الهجرة الى فلسطين عرفت باسم « الهجرة الثانية » بعد ان اطلق اسم الهجرة الاولى على الموجة التى أقامت اول مستعمرات زراعية في فلسطين سنة ١٨٨٢ . وقد كان بن جوريون من مهاجري هذه « الموجة الثانية »

فقد ولد بن جوريون ، كما يقول فى ١٦ ديسمبر سنة

١٨٨٦ ، في مدينة بولندية صغيرة اسمها « بلونيسك » كانت في ذلك الوقت جزءاً من روسيا القيصرية . كان أبوه محامياً . وكان بيته مقراً لنشاط يهودي كبير . فلم يلبث دافيد بن جوريون أن أصبح واحداً ممن يشتركون في الجمعيات اليهودية ويعملون فيها بنشاط كبير

وفي سنة ١٩٠٦ ، وجد أن القاء الخطب في القسري الروسية لا يكفي ، فقرر أن يهاجر الى فلسطين : وفي ذلك الصيف ركب مع بعض اليهود الروس باخرة روسية عبرت بهم الى البحر المتوسط ، بعد أن حصلوا على تصريح تركي بالإقامة في فلسطين مدة ثلاثة شهور ، وبعد أسبوعين في البحر رست سفينتهم في يافا

ويقول بن جوريون أن أمله خاب حين وجد اليهود الموجودين في فلسطين يعيشون حياة « الافندية » على حد تعبيره : يحصلون على إيراداتهم من تأجير الأرض للغير أو من المهن الأخرى التي « فرضت على اليهود » يقصد الربا والسهمرة وشتى أعمال المال



كان واضحاً له أن مثل هذه الحياة لا تخلق شـعباً ملتصقاً بالأرض « فبين الأرض والشعب ، لابد أن تقوم رابطة من العمل »

وبهذا الاتجاه الى العمل ، لا الى خلق « طبقة عليا من اليهود » ، بدأ اليهود يفرسون أول جذور لهم في فلسطين بالعمل اليدوي المباشر في كل مهنة ، وباحياء اللغة العبرية ، وإقامة مدارسها ، وتثبيتها في الحياة العامة قدر الامكان : الى هذا العمل بالذات ، يرجع بن جوريون بدء ميلاد دولة اسرائيل

وكان بن جوريون من بين أولئك الذين عملوا في زراعة

البرتقال، والعنب، وصناعة النبيذ، ويقول : انه بينما كان يسير وراء المحراث في الحقل ، كان يهتم بما تحقق بعد ذلك من اقامة الدولة : بينما كانت موجة الهجرة الثانية مستمرة ، من الشباب الذين يندفعون وينتشرون في حقول العمل اليدوى بالذات

وكما تعلموا زراعة الارض ، بدأوا يتعلمون الدفاع عنها: بدأوا يكوّنون جماعات سرية مسلحة مدربة على القتال حملت من ذلك الوقت اسم « الهاجاناه »

ولما كانت البلاد التى يحدث فيها كل هذا تابعة فى ذلك الوقت للدولة العثمانية ، وألّوها سوف يتجه عمل اليهود لكسب مزيد من الحقوق ، فقد قرر بن جوريون ، وزميل آخر له اسمه «أسحق بن زفى» الذى أصبح بعد ذلك ثانى رئيس لدولة اسرائيل بعد وفاة « وايزمان » ، قرر الاثنان السفر الى القسطنطينية لدراسة اللغة التركية والقانون التركى



وجاءت الحرب العالمية الاولى لتضع حدا لدراستهما ، فعادا الى القدس . وهناك اعتقلتتهما السلطات التركية بتهمة التآمر ضدها ثم طردتهما من البلاد فذهبا الى الاسكندرية . وفى الاسكندرية نظر الانجليز اليهما ايضا نظرة شك وارتباب بسبب قدومهما من المناطق التركية ، فأعطوهما تأشيرة دخول الى امريكا ، وأرسلوهما الى الولايات المتحدة الامريكية

وصل بن جوريون وبن زفى الى نيويورك سنة ١٩١٥ . فبدأ على الفور الاتصال بالمنظمات اليهودية هناك . وكانت دعوتهما هي : اقناع الشباب الصهيونى بدراسة الزراعة وتعلمها لكي يصبحوا قادرين على الهجرة والزراعة فى



فلسطين بعد الحرب . كذلك بدأت الحركة الصهيونية تدعو الى تكوين فصيلة يهودية تحارب مع قوات الحلفاء وتدخل معهم فلسطين بعد طرد الاتراك بمساعدة القاضي برندايس الذى أصبح عضواً فى المحكمة الاتحادية العليا الامريكية بعد ذلك . ولكن الفكرة نجحت فى انجلترا وليس فى أمريكا . وبالفعل تكونت هذه الفصائل وانضمت الى جيوش «اللورد اللنبى» التى اقتحمت فلسطين ولم يشر بن جوريون الى الثورة العربية التى قامت قبل ذلك ضد الاتراك والتى سهلت مهمة اللنبى الى حد بعيد : فأغلب الظن ان سعى اليهود الى المساهمة فى المجهود الحربى للحلفاء كان توجساً من مجهود العرب الحربى وردا عليه

وفى سنة ١٩١٥ ، وعدسير «هنرى ماكماهون» المندوب السامى البريطانى فى مصر الشريف حسين أمير مكة بأن انجلترا اذا حررت بلاد العرب من الاتراك فستردها الى العرب وتنصبه ملكاً عليها . ورغم ان هذا الوعد لم يشمل فلسطين ، الا ان وايزمان كما يقول بن جوريون انتبه الى ما قد تجره امانى العرب ، فأسرع يعمل على استصدار وعد انجليزى باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين من جهة ، وعلى الاتفاق مع الشريف حسين من جهة أخرى . وبالفعل ، حصل وايزمان على وعد بلفور من انجلترا سنة ١٩١٧ . وفى ٣ يناير ١٩١٩ حصل على اتفاق مع فيصل ابن الشريف حسين أمير مكة يعترف فيه بوعد بلفور هذا ويعد بأحسن العلاقات بين الدولة العربية التى ستنشأ فى الشرق وبين « فلسطين » . .

وبعد شهرين من الاتفاق ، عزز فيصل موقفه بخطاب أكد فيه هذا المعنى وأرسله الى القاضي الصهيونى الأمريكى « فيلكس فرانكفورت » ، عضو الوفد الصهيونى الى مؤتمر فرساي فى فرنسا

ويقول بن جوريون: ان اتفاقية «فيصل - وايزمان» هذه لم يكن لها أى شأن . فالعرب فى فلسطين وفى كل الاقطار المجاورة بما فيها العراق التى اصبحت فيصل نفسه ملكا عليها ، رفضوا رفضا باتا ان يعترفوا بهذه الاتفاقية

ويروى بن جوريون انه حضر المؤتمر الصهيونى العالمى سنة ١٩٣٣ على رأس وفد «الماباى» وهو حزب العمال اليهودى فى فلسطين ، وكان يمثل اكبر كتلة فى المؤتمر لأول مرة ، فتم انتخاب بن جوريون عضوا فى المجلس التنفيذى للمنطقة الصهيونية والوكالة اليهودية : اذن فقد اصبحت بن جوريون زعيما !

ويقول بن جوريون انه كان يرى ان اهم شىء هو الاسراع فى تهجير اكبر عدد ممكن من اليهود الى فلسطين ، ولكنه لم يعد ممكنا فى نفس الوقت تجاهل موقف العرب ، ولذلك فقد حاول ان يجد صيغة توافق بين امال الصهيونية وآمال القومية العربية ، وذلك بالدخول فى مباحثات مع بعض العرب البارزين فى فلسطين ومصر وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية

« وتمهيدا لمقابلاتى مع العرب ، تحدثت مع المندوب السامى ، الجنرال سير ارثر ووتشوب ، الصديق الوفى للقضية الصهيونية ، وسألته عما اذا كانت الحكومة الانجليزية توافق على اتفاق عربى صهيونى فى هذا الشأن . ورد المندوب السامى البريطانى على قائلا انه لا يعرف رأى حكومته فى هذا الموضوع ولكنه يعتقد شخصا انها سوف توافق . وقد لعب دكتور يهوذا ماجنس اول رئيس للجامعة العبرية فى القدس دورا كبيرا فى ترتيب مباحثاتى مع العرب ، رغم اختلافى معه حول الكثير من زوايا القضية الصهيونية . وقد اتصلت بالمباحثات واللقاءات اكثر من سسنتين فى فلسطين ، وفى البلاد العربية المجاورة ، وفى جنيف ، مقر

اللجنة الفلسطينية السورية .. ولكنها لم تؤد الى اى  
نتيجة »

وفي سنة ١٩٣٣ وصل «هتلر» الى الحكم فى المانيا. وبدأت  
موجة جديدة من الهجرة اليهودية الى فلسطين . وبدأت  
مقاومة العرب الفلسطينيين لهذه الهجرة تتخذ شكلا  
عنيفا ..



ووقف بن جوريون فى فبراير سنة ١٩٣٧ فى اجتماع  
«الهستدروت» - اتحاد نقابات العمال الصهيونى - يقول ان  
العرب لن يفهموا الا لغة القوة . وان التباحث معهم  
لايجدى . انما لابد لهم ان يشعروا بأن الصهيونية قوة  
يحسب لها حساب ، وانها عامل حاسم فى الموقف ، وليست  
مجرد عنصر ثانوى

وفى نوفمبر ١٩٣٦ ، ارسلت انجلترا لجنة ملكية تحت  
رئاسة « اللورد بيل » لتبحث موضوع العلاقات العربية  
اليهودية فى فلسطين . وفى العام التالى نشر التقرير وكان  
يدعو الى تقسيم فلسطين . ولكنه لم يلبث ان دفن

وفى سنة ١٩٣٩ ، دعت انجلترا الى مؤتمر عربى يهودى  
انجليزى فى لندن ، هاجم العرب فيه الانتداب البريطانى  
واقترح التقسيم على السواء . اما موقف انجلترا فقد  
اوضحته فى الكتاب الابيض الذى نشر فى تلك السنة ، وكان  
يقرر ادخال ٧٥ الف يهودى فى الخمس سنوات التالية .  
على الا يدخل البلاد اى يهودى اخر بعد ذلك الا بموافقة  
العرب . وشنت الصهيونية حملة واسعة على هذا  
الكتاب الابيض . وفى مقدمة من هاجموه فى البرلمان  
البريطانى نفسه ، واحد من كبار اصدقاء الحركة الصهيونية:

« ونستون تشرشل » الذى كان يحمل لواء المعارضة ضد  
رئيس الوزراء « نيفيل تشيمبرلن »

\*\*\*

ثم انفجرت الحرب العالمية الثانية . . ويحاول بن  
جوريون أن يسجل فى تاريخ هذه الحرب أن العرب  
وقفوا فيها الى جانب هتلر، بينما وقفت الحركة الصهيونية  
الى جانب الحلفاء . وهو تصوير كاذب وغير صحيح . .  
فالحكومات العربية ذاتها كانت موالية للحلفاء بل ومستسلمة  
لهم . . اما الشعوب العربية فكانت تطلب خروج الجميع  
من انجليز وفرنسيين والمان من بلادها ، وهو موقف  
اتخذته كثير من القيادات الوطنية فى البلاد الخاضعة  
للاستعمار . . مثل غاندى وحزب المؤتمر فى الهند مثلا . اما  
الافراد الذين لجأوا الى المانيا فرارا من اضطهاد الانجليز  
لهم . . فهم لا يعطون الصورة الكاملة عن « موقف العرب »  
ومضت الصهيونية خلال الحرب ، تنظم الهجرة الشرعية  
وغير الشرعية الى فلسطين ، بواسطة الاداة العسكرية التى  
أسستها الصهيونية منذ ١٩٢٠ باسم الهاجاناه ويعترف بن  
جوريون هنا ان قوات اليهود العسكرية - الرمزية فى  
الواقع - التى قاتلت الى جانب الحلفاء فى اوربا كانت مهمتها  
تنظيم وتسهيل هذه الهجرة غير الشرعية . فلما اقتربت  
قوات روميل من الشرق الادنى ، أسس الصهاونيون نوعا آخر  
من القوات العسكرية اسمه « فرق البالماخ » لتقوم بمهمة  
مقاومة الالمان خلف خطوط القتال فيما لو احتلوا فلسطين

\*\*\*

وفى خلال هذا كله ، كان همهم الوحيد هو التفكير فى  
مستقبل فلسطين بعد الحرب

ويقول بن جوريون انه كان واضحا لهم أن ألمانيا سوف تنهزم حتما في النهاية وتنتصر إنجلترا . وقد أصبح رئيس وزراء إنجلترا ونستون تشرشل نفسه صديق الصهيونية العريق . ولكن كان واضحا لهم أيضا أن إنجلترا وإن كانت ستخرج منتصرة إلا أنها ستخرج أيضا ضعيفة . أما مركز الثقل فهو ينتقل بسرعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية . فإلى هناك ، حيث توجد أكبر وأغنى جالية يهودية ، يجب أن ينتقل العمل

وهكذا ذهب بن جوريون إلى أمريكا منذ سنة ١٩٤٠ ، ليعمل بين المنظمات اليهودية هناك . وفي مايو سنة ١٩٤٢ اتخذ مؤتمر الصهيونيين الأمريكيين قرارات عرفت باسم «مقررات بلتيمور» ، نسبة إلى الفندق الذي انعقد المؤتمر فيه . وكانت هذه القرارات تقول « أن مشكلة السلام في العالم لن تحل إلا بحل مشكلة تشرد اليهود في العالم بغير وطن . . . وأنه لذلك لا بد من منح الوكالة اليهودية سلطة كافية لتحويل فلسطين إلى « كومنولث يهودي » بعد الحرب »

وانتهت الحرب . وانقلب الحال فجأة في إنجلترا ، فقد خرج تشرشل من الحكم وجاء حزب العمال . فهل هي صدمة للصهيونية ؟

.. كلا

يقول بن جوريون : « ان حزب العمال كان قد سبق له أن اتخذ خلال الحرب قرارات تدعو إلى قيام دولة يهودية ، قرارات فيها ما هو أكثر مما طالبت به الوكالة اليهودية نفسها في أي وقت ، وخصوصا قرار يقضى باقتلاع كل العرب في الدولة اليهودية ونقلهم إلى البستانلاند العربية المجاورة ! »

ولكن المشكلة في رأى بن جوريون لم تكن في عدم حماسة حزب العمال في خدمة الصهيونية ، ولكن في عدم قدرته . . . وعدم قدرة انجلترا بوجه عام ! . . . يضاف الى ذلك أن مجلس الوزراء ليس هو كل شيء فهناك أيضا جهاز الدولة وأجهزة المستعمرات ، التي يعتقد بن جوريون أنها كانت قد أصبحت كلها ، منذ صدور الكتاب الابيض ، معادية للصهيونية

هكذا أصبح لا مفر من احتمالين : اما الدولة اليهودية ، واما تنفيذ الكتاب الابيض

وهنا يشن بن جوريون حملة على وزير خارجية العمال بالذات ، ارنست بيفن ، الذي كان مسنودا في رأيه من أتلى رئيس الوزراء . ويقول انه وصل الى الاقتناع بأنه لا بد من الاصطدام بانجلترا ، وبالعرب فلسطين ، وبالدول العربية المجاورة . . . « والا تبقى اليهود أقلية مغلوبة في بلد عربي ! » ولهذا لا بد للصهيونية من شيء أساسي وهو : القوة !

لا نظير فيما أعرف من كتابات . . . لهذا التبجح ! انه يتحدث عن فلسطين ، كأنه ~~سكان~~ بلد خال من السكان !

انه في لحظة واحدة يقلب صفحة الحديث عن العدل والانسانية والديموقراطية حين يصل الى النقطة الحاسمة ، ليتحدث عن أشياء أخرى تماما : القوة ! السلاح ! اقتلاع الشعب من مكانه ! تحويل الاغلبية الى أقلية !

يستطرد بن جوريون قائلا : انه كان دائما رئيس المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية دون أن يتولى وزارة بعينها . فلما انشئت وزارة الدفاع لأول مرة سنة ١٩٤٦ ، تولى الاشراف عليها وهناك بدأ على الفور بدراسة القوة

الحقيقية لفرق الهاجاناه فوجدها سنة ١٩٤٧ ، كالآتي :

|                             |        |
|-----------------------------|--------|
| بندقية عادية                | ١٠٧٣ ر |
| بندقية أوتوماتيكية          | ١٩٠٠ ر |
| مدفع رشاش                   | ١٨٦    |
| مدفع رشاش خفيف              | ٤٢٤    |
| مدفع مورتير عيار بوصتين     | ٦٧٢    |
| مدفع مورتير عيار ثلاث بوصات | ٩٦     |

وعلى الفور بدأ العمل لاقامة صناعة أسلحة حربية في فلسطين ، وفي تهريب المعدات والاسلحة من الخارج . ويقول بن جوريون انها جاءت من أمريكا بالذات التي كانت على وشك تخفيض صناعاتها الحربية بعد أن انتهت الحرب وحين يقول بن جوريون انهم حصلوا بمليون دولار على أسلحة تساوي ملايين كثيرة نفهم أن الامر لم يكن مجرد شطارة ، انما كان ينطوي بغير شك على تسهيلات رسمية غير عادية . .

أما الدول التي رضيت - كدول - أن تبيع لهم الاسلحة فكانت : تشيكوسلوفاكيا وفرنسا !

وفي تقرير أصدره بن جوريون في ذلك الوقت لفرق الهاجاناه ، قال ان العدو المقبل هو انجلترا والعرب . ولكن الامر يختلف « فخلافتنا مع انجلترا سياسى . واذا لجأنا أحيانا الى أعمال عسكرية ضدها فلمجرد تأكيد موقفنا السياسى » أما ازاء العرب فالمعركة عسكرية . ثم يدعو الى تدريب الهاجاناه بحيث تصبح قادرة على قتال « الدول العربية » لا العرب الفلسطينيين وحدهم

\*\*\*

وفي مايو سنة ١٩٤٧ ، طرحت قضية فلسطين للمناقشة في جلسة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة . ولأول مرة

يسمح للوكالة اليهودية بأن تشترك في الجلسة وكان السؤال الذي يشير الى مفترق الطرق هو : هل هناك علاقة بين مشكلة اليهود في العالم وبين فلسطين » كما يقول الصهيونيون « . . أم أن كلا منهما مشكلة منفصلة ، كما يقول العرب ؟

وأيدت تركيا والهند وأفغانستان رأى العرب ، بينما أيد الباكون كلهم رأى الصهيونية !

فقد كان « الوجود العربي الدولي » في ذلك الوقت في قاع سحيق من الضعف وعدم القدرة على التأثير !

ثم تقرر تكوين لجنة استقصاء من احدى عشرة دولة وقررت أغلبية اللجنة تقسيم فلسطين الى دولتين احدهما عربية والاخرى يهودية ، يجمعهما اتحاد اقتصادي

وفي يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صوتت ٣٣ دولة بما فيها أمريكا والاتحاد السوفييتي في صالح هذا القرار . وصوتت ضده ١٣ دولة : الست دول العربية الاعضاء في ذلك الوقت وأربع دول اسلامية هي باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا ، وثلاث دول لا هي اسلامية ولا عربية وهي الهند واليونان وكوبا . وامتنعت عن التصويت عشر دول من بينها إنجلترا

وفرح الصهيونيون واليهود في كل مكان . بينما أعلن العرب أنهم لن يقبلوا القرار وأنهم سوف يقاومونه بكل الوسائل . .

\*\*\*

في صفحات قليلة يطوى بن جوريون قصة الحرب التي نشبت عقب انسحاب إنجلترا من فلسطين بين الدول العربية وإسرائيل . . وأعلانه قيام دولة إسرائيل في اجتماع كبير بتل أبيب . . والبيان الذي أذاعه بذلك من محطة الاذاعة



السرية التي كانوا قد أعدوها لتصبح اذاعة علنية في تلك الليلة . . بينما كانت الطائرات المصرية تقذف قنابلها في أول غارة على تل أبيب . . ثم أحداث القتال ، والهدنة الأولى ثم الهدنة الثانية . . ثم تكون اسرائيل بعد هذه الخطوب عند حدودها الحالية « التي يقول انها أضافت الى اسرائيل فوق نصيبها المقدر في قرار التقسيم بما يصل الى الثلث » ، ثم كل الاحداث السياسية حتى سنة ١٩٥٣ ، حين قرر أن يستقيل من رئاسة الوزارة ويعتزل في قرية « سدى بوكرا » في صحراء النقب

ولا أظن أننا في حاجة الى سرد ما رواه عن هذه الاحداث . ذلك أن الاحداث نفسها معروفة . ولكن المهم هو أن نقف عند « طريقة بن جوريون » في سرد هذه الاحداث ، والنظر الامين الى هذه الطريقة يثير الملاحظات التالية :

● يكشف بن جوريون منذ البداية عن نواياه تجاه قرار التقسيم ، الذي يتظاهر باحترامه ، حين يقول انه تلقى قرار التقسيم بمشاعر مختلطة . صحيح أن هذه أول مرة تعترف فيها المنظمة العالمية بقطعة أرض لاقامة دولة عليها لليهود ، ولكنه يرى أن هذه القطعة لا تكفى ، ثم انها مجزأة تربط بينها ممرات تقع تحت رحمة الارض التي تركها القرار للعرب

ثم انها تحرم اسرائيل من مساحات شاسعة في النقب

وهذه النية هامة . فهي تكشف عن أن خطة اسرائيل الحربية للتوسع سنة ١٩٤٨ لم تكن عفوية استدعتها الظروف الخارجية وحدها وتؤكد أن اسرائيل لا ترى حتى

هذا الذي حصلت عليه خاتمة آمالها • إنما هو في رأيها خطوة ، يجب التوسع بعدها : كلما سنحت الظروف

● ان بن جوريون يحاول أن يصور الامر على أن انجلترا والعرب كانوا يقفون في جهة ، والحركة الصهيونية التي تطورت الى دولة اسرائيل وحدها في الجهة المقابلة • فالقاريء الحسن النية لا يلبث أن يعجب بهذه القوة الصهيونية الصغيرة التي هزمت تحالفا من سبع دول عربية ودولة كبرى هي بريطانيا

فهو يريد أن يقلب « الصورة الاستعمارية » الحقيقة التي كانت موجودة في المنطقة وقتذاك ، مصورا اسرائيل على أنها كانت في موقف القوة الاستقلالية التحررية التي تحاول أن تدافع عن نفسها ضد قوة استعمارية وبريطانية ..

والواقع هو عكس ذلك تماما ..

فالحقيقة الاستعمارية البسيطة في المنطقة في ذلك الوقت هي : ان انجلترا كانت الدولة التي تستعمر المنطقة بجيوشها ونفوذها على السواء ، بما في ذلك فلسطين نفسها • وانه تحت اسم الدولة الاستعمارية وبصرها وبتشجيعها فتحت أبواب اسرائيل للهجرة «الشرعية» وغير الشرعية وصدرت التصريحات تلوا التصريحات — بدأ من وعد بلفور — لخلق أسس قانونية لايجاد كيان يهودي على أرض عربية • أما اذا تحرك العرب ، فهنا تتصدى لهم هذه القوة الاستعمارية بالضرب والقهر والكبت ..

فالشعب العربي هو الشعب الذي كان واقعا تحت سطوة الاستعمار : يرى جزءا من بلاده يقطع منه ببطء دون أن يقدر على شيء

دون أن يقدر على شيء : بسبب التخلف الاقتصادي والاجتماعي المفروض عليه . وبسبب الحكومات العميلة التي نصبها الاستعمار ومنحها « وهم » الاستقلال لا حقيقة وبسبب الجيوش المصطنعة التي كان كثير من ضباطها انجليز ، وكان مصدر تسليحها وشريان حياتها انجليزى . وبسبب الوجود الاستعماري الصريح ممثلا فى قوات الاحتلال العسكرية فى هذه البلاد العربية

لم تكن انجلترا والعرب اذن فى صف ووكالة بن جوريون فى صف . انما كانت انجلترا تقف وقد كبلت العرب بكل القيود ، تشهد النمو الصهيونى فى تشجيع مستمر . .

و « حادث الحرب » ليس وحده هو الذى صنع اسرائيل انما صنعتها كل الاحداث السابقة منذ الحرب العالمية الاولى ووعد بلفور : وفى خلال هذا كانت انجلترا تضرب بقوة السلاح كل محاولة لاي نمو عربى فى المنطقة نحو الاستقلال ، بينما كانت تسمح للوجود الصهيونى بأن ينمو ويتبلور يوما بعد يوم

واذا كان قد بدا ، فى اللحظات الاخيرة ، ان انجلترا قد أصبحت « عصبية المزاج » فى وجه السياسة الصهيونية وأنها حاولت أن توقف المد الصهيونى عند ذلك : فذلك لان الحركة الصهيونية قد كشفت فى هذه الساعات الاخيرة عن أنها تخطت السياسة الانجليزية بالفعل . وانه بعد أن كان الظن أن الدولة الجديدة أو الكيان الجديد سيكون تابعا لانجلترا كفلسطين القديمة بصورة أو بأخرى ظهر أن ولاءها قد انتقل نهائيا الى أمريكا ، وأنها تهدف الى الاستقلال التام وطرد الانجليز ، فأصبحت بذلك تشكل حقيقة جديدة مربكة لانجلترا فى فترة ما بعد الحرب

باضطراباتهما وبما ظهر خلالها من تشقق فى بنسباء  
الامبراطورية البريطانية كله ..

● وكما أن بن جوريون يحاول أن يزيّف وضع القوى  
الاستعمارية فى المنطقة ، فهو يحاول أن يظهر القوى  
الدولية الكبرى - وفى مقدمتها أمريكا - وكأنها قامت فى  
هذه المسألة بدور ثانوى ، بينما قام بن جوريون والستمائة  
ألف يهودى فى فلسطين بالعبء كله . وهذا أيضا تصوير  
مضلل لحقيقة ما حدث . ان مهارة الحركة الصهيونية ولا  
شك هى أنها استطاعت أن تنظم قوى اليهودية العالمية  
حيثما كانت لتأييدها . وأنها استطاعت من خلال هذه  
اليهودية العالمية أن تضغط وترجو وترشو وتلج وتندّر  
وتساوم وتضلّل حتى تمكنت من تحويل الدول الكبرى  
الى موقف تبني القضية الصهيونية

وهنا بالذات يبدو فشل العرب الحقيقي خلال تلك  
الفترة : فقد تمكنت الصهيونية من اقناع دول العالم  
أنها قوة لها حسابها فى ميزان الصداقة أو العداء ، بينما  
أعطى العرب عن أنفسهم ، بحكم كل ظروف التخلف  
والاستعمار ، صورة الذى لا يكسب أحد من صداقته ولا  
يخشى أحد من عداوته

ولكن هذا كله شيء .. وكون الصهيونية هى التى  
تولت بقوتها الذاتية تحقيق أغراضها فى فلسطين ،  
شيء آخر ..

فالقوى الدولية التى سمحت بالهجرة غير الشرعية من  
قلب أوروبا الى شاطئ البحر ، ثم سمحت للسفن المشحونة  
بالسفر فى البحر المتوسط تحت اسم الاساطيل وبصرها  
ثم أمرت بإيقاف القتال ساعة تخرج وضع اليهود بالهدنة  
الاولى ، ثم سمحت باستمرار القتال ساعة قوى مساعد

اليهود بعد الهدنة ، ثم سمحت بتخطى إسرائيل حدود التقسيم رغم قرارات الأمم المتحدة ، ورغم مصرع ريجل الأمم المتحدة «فولك برنادوت» . هذه القوى الدولية التي كانت توجه ، على لسان ترومان ، انذارات مدوية بضرورة قبول مائة ألف مهاجر يهودي في فلسطين قبل آخر السنة والتي كانت في نفس الوقت من خلال عملائها وسلطانها ووجودها المسلح في البلاد العربية تدمر كل رد فعل جدي ازاء هذه الاحداث : هذه القوى بمصالحها السياسية والاستراتيجية الكبرى هي التي قامت وقتها بالدور الاساسي في ايجاد إسرائيل ، وهي الخصم الحقيقي الذي تمكن آخر الامر من قهر العرب

ونضال العرب في السنوات التي تلت ١٩٤٨ ، ضد الاستعمار والرجعية العميلة في شتى صورها ، كان أحد بواعثه الدرس الذي تلقاه العرب من مأساة فلسطين ذاتها ..

● ويحاول بن جوريون أن يستفيد الى أقصى الحدود من قصة الهجرة العربية من فلسطين : فهو تارة يدلل بها على جبن العرب وتفككهم .. وتارة يحاول أن يثبت في القارئ شعورا بأن عامة العرب كانوا راضين بالتقسيم حين يقول ان العرب بدأوا يهاجرون تلقائيا من المناطق التي جعلها مشروع التقسيم جزءا من دولة إسرائيل .. وتارة يصف الامر ، بشكل غير مباشر ، وكأنه تقلص الظلمة أمام انتشار النور والحضارة

والواقع أن مأساة الهجرة تحتاج الى دراسة مستقلة خاصة بها . ولكن الذي يمكن أن يقال في هذا المجال ، هو أنها بالفعل كانت حدثا خطيرا وظاهرة ذات دلالة بعيدة المدى ، يفسرها بضعة أشياء :

- يفسرها ، ولنعترف ، تخلف الامة العربية حضاريا .  
فبينما كان المجتمع الفلسطيني العربى صورة من المجتمع  
العربى فى كل مكان : زراعيا اقطاعيا بدائيا ، بعيدا عن  
العمل الصناعى والتنظيم النقابى والزراعة العلمية المنظمة  
والنظرة العلمية التنظيمية فى كل شىء ، كانت المواجهة  
الصهيونية الغازية مزودة بهذا كله تسندها قوى دولية  
استعمارية عديدة ، الامر الذى اكسبها ساعة الصدام  
الحاسم ميزة كبرى لا شك فيها

- ويفسرها القيادة الخاطئة الجاهلة التى منى بها  
العرب . قيادة لم تتمكن من أن تعطى خط السلوك  
والتصرف لجماهيرها ، وهل تبقى أو ترحل ، بل ان هذه  
القيادات كانت تبدو مشجعة لهذه الهجرة ، جاهلة أنها  
ببقاء العرب فى أماكنهم انما تجعل قيام اسرائيل كله أمرا  
شبه مستحيل ، رغم كل الظروف

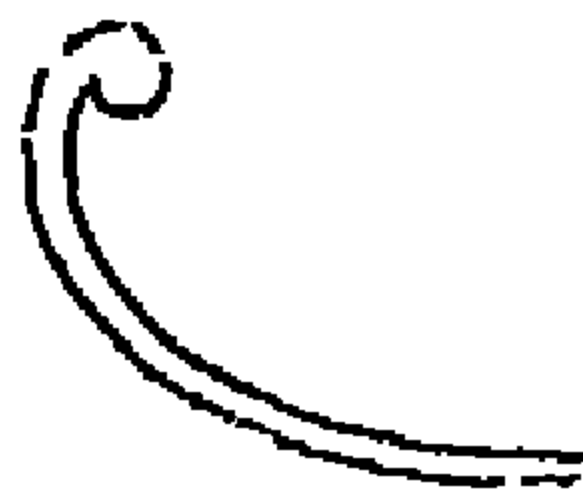
- ويفسرها ، وهو اعتبار اساسى وان كنت قد أبقيته  
حتى النهاية ، ان بالصهيونيين جعلوا المدنيين الامنين هدفا  
أساسيا لهم ، فارتكبوا ضدهم المذابح الشهيرة فى دير ياسين  
وغيرها ليجعلوا بقاءهم مستحيلا : فهم أيضا من خريجى  
مدرسة هتلر الوحشية والا أخلاقية كالنازيين سسواء  
بسواء

\*\*\*

بعد ذلك ، يقفز بن جوريون فى كتابه الى أحداث  
حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، وهجوم اسرائيل على شبه  
جزيرة سيناء خاتما به الكتاب ..

وهو فصل أشبه بقصة من صميم الخيال ..

فقد روى الاحداث على أن اسراييل هي التي هجمت وهي  
التي حاربت وهي التي قررت متى تتقدم ومتى تتراجع ..  
ولكن ، لسوء حظ بن جوريون ، فان كتابه صدر في  
نفس الاسابيع التي صدرت فيها كتب اخرى أحدثت ضجة  
كبيرة ، خصوصا كتاب « السوييس : سرى جدا » للمؤلف  
الاسرائيلي ميشيل بن زوهار ..  
وهو الكتاب الذي يشرح قصة الفصل التالي ...







## حرب السويس

- ايدى يطلب الإذن بالاجتياح على مصر
- ٣ خطط لغزو مصر
- طبع أوراق بكنوت مصرية في فرنسا
- التخاصم من عبد الناصر
- متى تقرر اشتراك إسرائيل ؟
- معاهدة سيفر السريّة
- بن جوريون يطلب تدمير الطيران المصري
- قبل أن يدخل الحرب



لا يمكن الفصل بين قصة إسرائيل ، وقصة حرب  
السويس ..

وحتى الآن ، ما زالت هناك موجة طاغية جديدة من  
الكتابة - فى أوروبا وأمريكا وإسرائيل - عن حرب  
السويس ، والكتب الجديدة تصدر مثقلة بأسرار بالغة  
الخطورة والغرابة .. ويؤدى نشرها بالتالى الى ضجة  
كبيرة وجدل عنيف . ولا يمكن أن يعيش القارىء هنا فى  
عزلة عن هذه الاسرار والمنازعات التى تهمه فى الدرجة  
الاولى ..

ثم أن اذاعة هذه الاسرار الخطيرة ، عما كان يدور فى  
واشنطن ولندن وباريس وتل أبيب وغيرها ، بصرف  
النظر عن خطورة هذه الاسرار وغرابتها ، فإن فيها دروسا  
لا تقدر بثمن ، انها تعلمنا كيف تدور عجلة الفكر والعمل  
فى الدوائر السياسية والعسكرية العليا فى تلك البلاد

يضاف الى ذلك أن كثيرا من القوى التى حركت أداة  
الحرب ضدنا ، بسبب تصادم مصالحها معنا ، ما زالت  
فى مراكز الحكم أو التأثير فى الحكم فى بلادها ، وما زالت  
بعض مصالحها تصطدم بنا .. فالقصة لم تذهب بكل  
ذيولها بعد ..

ومن ابرز واخطر الكتب التى ظهرت عن حرب السويس  
أخيرا كتابان :

الاول : كتاب « دالاس والسويس » للمؤلف الأمريكى  
هيرمان فينر ، الذى ثارت بسببه ضجة عنيفة فى البرلمان  
الانجليزى ، جعل المعارضة تطالب سلوين لويد بالاستقالة .  
لان الكتاب يسجل أنه كذب على البرلمان البريطانى حين  
قال أنه لم يتآمر مع اسرائيل على الهجوم ضد مصر ، فى  
حين أن المؤلف يروى أن سلوين لويد طار الى باريس سرا  
وقابل بن جوريون هناك قبل الغزو بأيام

وقد سئل المؤلف ، فى برنامج تليفزيونى ، عن مصدر  
هذه الواقعة ، فقال : انه سمعها من كريستيان بينو ،  
وزير خارجية فرنسا فى ذلك الوقت ، والرجل الثالث  
الذى كان فى الاجتماع السرى . . مع سلوين لويد ، وبن  
جوريون . .

وفى باريس اتصلت جريدة لوموند بالوزير الفرنسى  
السابق ، وحاولت أن تسأله عن صحة الواقعة . . فرفض  
أن يكذبها !

والكتاب الثانى هو : « السويس : سرى جدا » للمؤلف  
الاسرائيلى « ميشيل بن زوهار » ، وهو كتاب يذيع أدق  
الاسرار واخطرها عن خطة الغزو والمؤامرات التى  
سبقته . .

والمؤلف الاول حاقد طول الكتاب على دالاس لانه يعتقد  
أن دالاس هو الذى عرقل الهجوم على مصر زمنا طويلا ،  
فلما وقع الهجوم فعلا ، تخاى عن حلفائه ، مما جعل  
عبد الناصر ينتصر . . الامر الذى يندم عليه المؤلف ندما  
شديدا . .

والمؤلف الثانى ، يرى فى تأمر اسرائيل السرى مع  
بريطانيا وفرنسا صفحة مشرقة مشرقة .. يزهو بها  
ولكن تبقى بعد ذلك الفائدة الكبرى للمعلومات الخطيرة  
التي يدليان بها ..

ان الكتاب الاول يركز على الجانب السياسى الدبلوماسى .  
والكتاب الثانى يركز على جانب التأخر والتنفيذ ..  
الكتاب الاول يروى القصة عن أمريكا  
والكتاب الثانى يروىها عن لندن وباريس وتل أبيب  
ولهذا أثرت أن أقدم الكتابين - بل الوثيقتين - معا  
فى سرد واحد لأنهما ترويان قصة واحدة ..

ربما كانت حرب السويس تعد « حربا صغيرة » اذا  
قيست بعدد الايام الخاطفة التي استمر فيها القتال  
المسلح ..

ولكنها كانت « حربا » بأوسع معانى هذه الكلمة  
وأخطرها : اذ تعرضت فيها أقدار دول كبرى ودول  
صغرى للخطر .. وتعرضت فيها مبادئ النظم السياسية  
والاجتماعية والعلاقات الدولية للامتحان .. كما تعرض  
العالم كله - فى بعض مراحل الحرب لكارثة محققة

وكل يوم ، تفتح الاسرار عن جوانب أخرى فى هذه  
القصة التي لم نعرف كل جوانبها بعد ...

والكثير جدا مما يحدث فى عالم اليوم ، ترتب فى الواقع  
على الاحداث الكبرى لهذه الحرب القصصيرة : حرب  
السويس

يقول - مثلا - هيرمان فيتر ، مؤلف الكتاب الاول :  
ان النزعة الاستقلالية فى اوروبا ، التي يمثلها ديجول ،

والتي تريد الا تكون تابعة لامريكا .. قد اصبحت عقيدة  
لدى دوائر أوروبية كثيرة ، منذ تجربة حرب السويس ،  
وما يسميه المؤلف خيانة دالاس لحلفائه الاوروبيين ،  
واخضاع مصالحهم لمصالحه .. أى مصالح أمريكا ، كما  
تصورها ..

وكأى حرب ، كانت هناك أحداث جسيمة أدت الى  
وقوعها ، بل جعلت نشوب الحرب حتميا ..

هذه الاحداث ، كما تكشف عنها هذه الكتب هي :

- صفقة الاسلحة بين مصر والاتحاد السوفيتي

- حلف بغداد ووقوف مصر فى وجهه

- ارتباط مصر بمساعدة الثورة فى الجزائر

- اعتراف مصر بالصين الشيوعية

- السد العالى ، وسحب دالاس العرض الخاص  
بتمويله ، ثم تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس  
ردا على ذلك

بل ان من يتأمل اثر هذه الاحداث فى العالم الخارجى،  
وما كان يدور بسببها وراء الكواليس فى لندن وباريس  
وواشنطن وقل أبيب يجد انه كان من المستحيل الا تقع  
الحرب ! ..

ولما كانت هذه الاحداث ليست ، هى فى حد ذاتها  
الموضوع الرئيسى لهذا الحديث ، فلا بأس أن يكون المرور  
بها سريعا خاطفا ، بقدر ما يقف بنا - فى وضوح - عند  
بدء مؤامرة الحرب ذاتها ، وما أحاط بها من أسرار عجيبة

فهذه الاحداث أو المعارك التمهيدية التى أدت الى  
الحرب ، كانت لها ردود فعل مختلفة لدى أربع دول هى

أمريكا وبريطانيا وفرنسا واسرائيل . كل دولة منها لها  
خط يسير مع مصالحها السياسية . وفي بعض الظروف  
كانت هذه الظروف تتفق وفي ظروف أخرى كانت تختلف  
وتتناقض وتضطرب



فالبنسبة لبريطانيا ، يكشف الكاتب الاول « دالاس  
والسويس » عن انها كانت أول دول الغرب تنبها الى  
خطر عبد الناصر والثورة المصرية عليها . فصفقة الاسلحة  
قوت عبد الناصر وأخرجت مصر من دائرة الخضوع في  
تسليحها للغرب . ومعرسته ضد حلف بغداد عزلت انصار  
بريطانيا الى حد بعيد . وهكذا كانت بريطانيا أول الدول  
تفكيرا في التدخل المسلح ضد مصر . .

يروى الكتاب ان انطوني ايدن طار الى واشنطن في  
فبراير سنة ١٩٥٦ ، أي قبل سحب عرض السد العالي  
وتأميم القناة ، حيث قابل ايزنهاوز ووجون فوستر دالاس  
وطلب منهما أن تشترك أمريكا مع بريطانيا في عمل مسلح  
ضد عبد الناصر . وكان الاساس الذي استند اليه في  
هذا الطلب هو أن عقد صفقة الاسلحة السوفيتية فيه  
خرق « للبيان الثلاثي » . وهو البيان الانجليزى الفرنسى  
الامريكى الذى أعلنت فيه الدول الثلاث وصايتها على  
الحدود القائمة في الشرق الاوسط

ولم يكن دالاس أقل انزعاجا من صفقة الاسلحة . بل  
ان الكتاب يروى انه ساعة سمع النبأ صاح في أعوانه  
قائلا « هذا أخطر حادث دولى منذ حرب كوريا ، بل منذ  
الحرب العالمية . ولكن دالاس مع ذلك رفض قبول طلب  
ايدن . وتذرع في ذلك بأن أى استخدام للقوات الامريكية

المسلحة يحتاج الى اذن من الكونجرس ، وهو أمر بالغ الصعوبة ...

وقدم ايدن لايزنهاور ودالاس ما يثبت أن عبد الناصر هو سبب كل « المشاكل » في العراق ولبنان وسائر البلاد العربية . ولكن الجانب الأمريكى ظل متمسكا بموقفه ..

وعندما عاد ايدن الى بلاده ، لم يخف دالاس ارتياحه من هذا التطور ، وقال لاعوانه أن ايدن كان يقف أشبه بالوسيط المعتدل بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، فالآن قد اضطرته ظروف الشرق الاوسط الى طلب الالتصاق بأمريكا والوقوف معها في عمل مشترك ..

ومن ساعتها ، بدأت توجد حفرة من الشك بين ايدن ودالاس ، حتى أصبحت مع أحداث السويس هوة عميقة



أما بالنسبة لأمريكا ، فالكتابان يصوران لنا كيف ان سياستها في تلك الفترة كانت مزيجا من عناصر شتى : فالدبلوماسيون الأمريكيون ينصحون بالتفاهم مع عبد الناصر ومهادنة الحركة العربية بوجه عام . والصهيونيون وبعض الزعماء الأمريكيين في الداخل يؤيدون خطأ معاكسا . وبريطانيا وفرنسا تشكوان من مصراستمرار . وايزنهاور لا يريد الحرب بأى ثمن ، خصوصا كلما اقتربت معركة انتخابات الرئاسة . ودالاس تضطرب في نفسه عوامل شتى : من تركيز على معركته المقدسة ضد الاتحاد السوفيتى . ونفور من الارتباط المطلق بمصالح أمريكا وشك في إسرائيل . وغيظ مستمر من تمرد عبد الناصر . ورغبته في تحقيق ما يريد ايزنهاور في عدم نشوب أى قتال ..

على أن أهم عمل ايجابى قام به دالاس فى تلك الفترة هو ولا شك سحب العرض الأمريكى الخاص بتمويل السد العالى ...

فازاء تدمره من تمرد عبد الناصر ، خصوصا بعد اعترافه بالصين الشيوعية ، والضغط المسلح عليه من حلفائه الغربيين لتأديب عبد الناصر قبل أن تستشرى النار ، وبحثه عن وسائل أخرى غير الحرب ، بدت فكرة سحب عرض السد العالى وكأنها تلبى كل هذه الحاجات

صحيح ان جورج همفرى وزير مالية امريكا كان قد قدم رأيا قاطعا ضد تمويل السد العالى على اساس ان مصر لا يمكن ان تنهض بالتزامات مثل هذا المشروع . وصحيح ان بعض نواب الجنوب طلبوا عدم ابرام القرض لان السد العالى سيزيد المساحات المزروعة قطناً ، مما يؤدى الى منافسة القطن الأمريكى « !! »

وصحيح ان بعض حلفاء أمريكا « تركيا وايران وباكستان » احتجاجوا على مساعدة أمريكا لدولة محايدة تقاوم أمريكا . وصحيح أن اعتراف عبد الناصر بالصين الشيوعية كان قد هيا رأى العام الأمريكى لمثل هذا القرار . ولكن المؤلف مع ذلك يعتقد أن هذه كلها « اسباب » للقراز . . ولكنها لا تعبر عن كل «دوافع» جون فوستر دالاس : أن الدافع الاكبر هو الرغبة فى تأديب هذا الضابط المصرى ، حديث العهد بالسياسة الذى يثير الاضطراب فى كل مكان ، ويهدد الغرب ويرهبه ، ويرفض المساومة

\*\*\*

وقد اخذ دالاس رأى حلفائه فى سحب العرض ، ولكنه احتفظ لنفسه بحق اختيار الوقت ، والكاتب يسجل



كيف أن دالاس بقى ، الى ما قبل اعلان القرار للسفير  
المصرى فى واشنطن بساعات ، وهو غير مجمع رأيه على  
قرار حاسم ..

ويروى المؤلف ان بريطانيا وفرنسا كان لهما موقفان  
محددان من قصة سحب القرض ...

فقد ذهب كوف دى مورفيل ، وزير خارجية فرنسا  
حاليا وسفير فرنسا فى أمريكا فى ذلك الوقت الى دالاس  
وقال له : انه يحذر بشدة من الاقدام على سحب القرض .  
وقال له انه كان سفيرا فى القاهرة سنوات طويلة ويعرف  
عبد الناصر جيدا ويعرف انه سيرد ردا عنيفا على هذا  
العمل .. !

وأشار كوف دى مورفيل الى أن رد الفعل قد يؤثر  
على قناة السويس .. ولكن دالاس استبعد الفكرة  
ساخرا .. :

أما بريطانيا ، فقد وافقت على سحب القرض ولكن  
سفيرها قال لدالاس « Play it long » .. أى ليكن السحب  
على دفعات . فلا يقول لمصر : لا ! ولكن يقول ان الامر  
يحتاج الى اعادة بحث . ثم يتراجع تدريجيا ...

ولكن دالاس اختار الطريقة العنيفة ، طريقة الرفض  
القاطع فى اللحظة التى يلحق فيها السحب أكبر الضرر  
بعبد الناصر ، لانه فى رأى المؤلف كان تحت تأثير الدافع  
الذى سبقت الإشارة اليه : دافع توجيه الضربة بقصد  
الاهانة والتأديب ..

\*\*\*

يروى المؤلف أنه عندما كان دالاس يقول للسفير المصرى  
أحمد حسين « ابحث عن فلوس السد فى روسيا ! »

بلهجة المنتصر ، كان هناك اثنان ينتظران نهاية المقابلة ليتناولوا معه طعام الغداء : هنرى لوس صاحب مجلة تايم وجاكسون صاحب مجلة فورتن . وقد روى الاثنان أن دالاس جاء اليهما فى اعظم حالات الغبطة والابتهاج . وأبلغهما الخبر وكأنه يبلغهما قصة « ضربة معلم » وجهها الى الاتحاد السوفييتى ومصر معا . . فلا الاتحاد السوفييتى قادر على تمويل السد ولا مصر قادرة على الرد . . . وقال لهما فى عرض الحديث ، فخورا بنفسه : « ناصر يهددنى ؟ . . لست أنا !! »

. . هكذا ، لم يكذ دالاس يعرف من أخيه الن دالاس مدير المخابرات الامريكية فى ذلك الوقت أن عبد الناصر قد أمم شركة قناة السويس ، حتى احتقن وجهه ، وغضب غضبا لم يسبق له مثيل . .

والمؤلف يقول : ان خبر التأميم كان صدمة حياته ونترك دالاس عند صدمة التأميم ، لنعود اليه بعد أن نستكمل باقى الخيوط . .

وقد بقى أن نعرف خط سياسة فرنسا ، وخط سياسة اسرائيل فى نفس هذه الفترة

وهنا يجب أن نسرّد الخطيين معا : اذ ولدت من التقائهما أول فكرة محددة عن غزو مصر . . ولذلك كان لهذا الجزء أهمية خاصة فى التمهيد للاحداث المقبلة الدامية . .

وفى هذه النقطة بالذات ، سوف أعتمد أساسا على الكتاب الثانى « السويس : سرى جدا » للكاتب الاسرائيلى ميشيل بن زوهار

عندمالقى حلف بغداد ظله على الاحداث فى الشرق الاوسط ، كان هم فرنسا ان يفشل الحلف ، أنه طريقة

لنشر السيطرة البريطانية نهائيا على المنطقة كلها ، بعد  
الاجهاز على تفوذ فرنسا المتبقى فى سوريا ولبنان

هكذا توجهت فرنسا - فيمن توجهت اليهم - الى  
اسرائيل تسألها سؤالاً صريحاً : هل أنت مع الحلف ، أم  
ضد قيامه ؟

وردت اسرائيل قائلة : ان خصومها الحقيقيين هم مصر  
وسوريا !

كانت اسرائيل تنظر الى المسألة من زاوية واحدة : ان  
الحلف لا يفيد مصر ، ولكنه يفيد العراق ، وأعداء اسرائيل  
الاساسيون هم أعداؤها الراضون على حدودها مباشرة .  
فكانت اسرائيل ترى فى الحلف صدمة لا شك فيها لمصر  
اساساً وللعرب بوجه عام . ففى الحلف دول معترفة  
باسرائيل مثل تركيا وايران . ودولة اخرى غير معترفة  
باسرائيل ولكن ليس لديها أى عداء نحوها وهى باكستان .  
يضاف الى ذلك ان الحلف يمزق الجبهة العربية ، وكل  
هذا ينطوى على فوائد كبيرة لاسرائيل بصورة او  
بأخرى . . .

ولكن اسرائيل محتاجة الى اسلحة فرنسا فهى تراوغ  
وتناور . . .

واستمر هذا الموقف حتى طلبت فرنسا من اسرائيل  
أن تحدد موقفها نهائياً من الحلف : ضده . أو معه .  
هكذا ، وقد أصبح ظهر اسرائيل الى الحائط ، بحكم  
اعتمادها الاساسى فى التسليح على فرنسا ، قالت بلسان  
موسى شاريت فى الكنيست ، انها ضد الحلف ، ارضاء  
لفرنسا . ولكن هذا الاعلان الكلامى لم يؤثر فى ترحيب  
اسرائيل الحقيقى بالحلف . . .

قال دبلوماسى اسرائيلى فى ذلك الوقت « فى كل مرة ،

كنا نذهب الى وزارة الخارجية الفرنسية في طلب أسلحة،  
كان المسئولون الفرنسيون يزجون السؤال التقليدي :  
ولكن ما هو موقفكم أولا من حلف بغداد ؟ . . وفي نفس  
الوقت كان هناك وعد من بريطانيا بتسليم غواصتين الى  
اسرائيل ، فكنا نخشى ان تؤدي أية معارضة جدية منا  
للحلف الى الفاء هذه الصفقة ! . . . »

المشكلة الاخرى التي ثارت بين فرنسا واسرائيل في  
ذلك الوقت هي مشكلة هجرة اليهود من تونس والجزائر  
والمغرب . فمع اشتداد الحركة الاستقلالية هناك ،  
واحتمال حصول هذه البلاد على استقلالها ، نشطت  
اسرائيل لبث دعاية صهيونية بين يهود تلك البلاد ، بقصد  
دفعهم للهجرة الى اسرائيل . . . الامر الذي اثار حفيظة  
فرنسا . .

قال موسى شاريت للمؤلف « لقد غضبت فرنسا  
لسببين : السبب الاول هو ان هجرة واسعة بين السكان  
اليهود سوف توحى للجميع بأن الوجود الفرنسي هناك  
في طريقه للزوال ، مما يزيد الضغط عليه . والسبب  
الثاني هو ان يهود شمال افريقيا كانوا دائما من العناصر  
الموالية لفرنسا والتي تعتمد عليها فرنسا ولا أحد يحب  
أن يرى العناصر التي يعتمد عليها تهاجر وتترك البلاد »

وفي تصريح أدلى به موسى شاريت وقتها لجريدة الموند  
قال : « ان الضمانات التي تتوافر لليهود في تونس أو في  
المغرب تحت الحماية الفرنسية لا تتوفر بنفس الدرجة  
في تونس مستقلة أو في مراکش مستقلة . ولذلك يجب  
ان تظل اسرائيل مفتوحة الذراعين لليهود شمال افريقيا

\*\*\*

ولكن أحداث الجزائر لم تلبث أن أصبحت القضية

الاولى . بحيث اثبتت ان اثرها على الشرق الاوسط  
سيكون أعمق بكثير من أثر حلف بغداد

ففى سنتى ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، اصبحت القاهرة مركزا  
رئيسيا للنضال ضد النفوذ الفرنسى فى شمال افريقيا .  
وأخذ صوت العرب من القاهرة يثير الخواطر ضد  
فرنسا . . « بشكل صدم حتى مندريس فرانس الذى  
كان يأمل فى الوصول الى حل مع شمال افريقيا ! »

« . . ثم لم يلبث عبد الناصر ان استقبل فى القاهرة  
تحت راية الوحدة العربية ، قادة الثورة الجزائرية ، كما  
بدأ يزود جيش التحرير الجزائرى بكل وسائل المساعدة  
فقد فتح لهم مخازن السلاح ، بغير حد . . »

وأخذت الصحف الفرنسية تنشر صورا تثبت ان  
بعض المقاتلين الجزائريين قد تدربوا فى القاهرة ، وبالتدريج  
بدأ اسم ناصر يستخدم كرمز لعداوة فرنسا . .

وكان من الطبيعى بعد ذلك ان ينتشر العطف على  
اسرائيل بين كل دعاة « الجزائر الفرنسية » وكل  
الفرنسيين وقتها كانوا من دعاة الجزائر الفرنسية ! ولم  
يلبث ان تم التقارب بين الموقفين « فرنسا فى شمال افريقيا  
واسرائيل فى الشرق الاوسط » كل منهما جزيرة من  
الحضارة الغربية ، ورأس جسر للعالم الغربى ، وسط  
بحر من الكراهية العربية «

« وشيئا فشيئا أخذ يتبلور رأى القائل ان مساعدة  
اسرائيل وتسليحها هو الذى يجعلها تقهر عبد الناصر :  
ان ضرب رأس الثورة الجزائرية يقضى عليها . هذه  
الرأس اسمها ناصر ، وتوجد فى القاهرة ، ولا احد يمكن  
أن يضربه هناك سوى اسرائيل «

ثم بدأ هذا الجو يقود الى خطط مشتركة

ففى بيت احد الاصدقاء ، التقى اثنان من الرجال سرا:  
الاول فرنسى ، اسمه « آبل توماس » ويعمل مديرا لمكتب  
« بورجيس مانورى » وزير الداخلية والمستول مباشرة عن  
حرب الجزائر . والثانى اسرائيلى هو « م . ناحمياس »  
المبعوث الخاص لوزارة الدفاع الاسرائيلية

وبسرعة اتفق الاثنان على أنه من مصلحة فرنسا  
أن تتقوى اسرائيل عسكريا ، ثم لم يلبث ناحمياس أن  
قابل بورجيس مانورى ، وفى المرة التالية كان الذى قابل  
مانورى هو شمعون بيريز ، وكيل وزارة الدفاع الاسرائيلية  
وكان اقناع الضباط الفرنسيين ووزارة الدفاع  
الفرنسية سهلا : فالجيش هو الذى يقاتل فى الجزائر  
ويشعر أكثر من غيره بالحاجة الى حليف فى المعركة  
المسلحة ..

كان ذلك فى أواسط سنة ١٩٥٥ ، وهكذا بعد أن  
اطمأن الاسرائيليون لحلفاء اقوياء فى وزارة الدفاع  
الفرنسية فى « الجنرال كوينج » وزير الدفاع الذى قاتل  
معه الضباط الاسرائيليون خلال الحرب العالمية - وجدوا  
فى بورجيس مانورى حليفا آخر بالغ الاهمية ، وقد جاء  
دليل أهميته وولائه لهم سريعا ..



فقد دق جرس التليفون يوما فى السفارة الاسرائيلية  
فى باريس ، وكان المتكلم هو « رجلنا فى مرسيليا » كما  
يقول المؤلف . وكان يقول ان السفن على وشك أن  
تشحن دفعة من الدبابات A MX 13 الى مصر . وكان قد  
تمت قبل ذلك الموافقة على توريد عدد من هذه الدبابات  
الى مصر والى اسرائيل على السواء ، وفى المجلس الوزارى

الذى يجب أن يقر هذه الصفقة ، استطاع «انطوان بيناي» ان يسهل صفقة مصر ويعطل صفقة اسرائيل ، وعلى الفور وصلت الدبابات الى رصيف مرسيليا تمهيدا لشحنها الى مصر . .

وعلى الفور اتصلت السفارة الاسرائيلية « ببورجيس مانورى وبالجنرال ليكونت » مدير مكتب « الجنرال كوينج »

واتصل ماتورى بالجنرال كوينج ، الذى أصدر قرارا بعدم شحن أى سلاح الى مصر ، ووصل الامر الى مرسيليا ، حيث كان يوجد الكولونيل عكاشة « الدكتور ثروت عكاشة الملحق العسكرى المصرى فى فرنسا فى ذلك الوقت » وطار عكاشة على الفور الى باريس . وسأل وزارة الخارجية التى لم تكن تعرف شيئا عن أمر الجنرال كوينج . واستجوبه « انطوان بيناي » نفسه فى الامر ، فرد عليه قائلا : نعم ، انا الذى اصدرت الامر . ولن اعدل عنه الا اذا شحنت دبابات اسرائيل فى نفس الوقت !

يقول المؤلف : ان الجو وقتها فى باريس كان معاديا لمصر ، اذ كانت الصحف بالصدفة هلاشى بصور الاسلحة المصرية فى الجزائر !

واحتدمت الازمة الوزارية . وفى النهاية انتصر « كوينج » فقد شحنت دبابات اسرائيل ، وتلكأت دبابات مصر

وظهرت الدبابات الفرنسية فى عرض عسكرى اسرائيلى فى تل أبيب ، وبدأت الهمسات تترى عن قرب بينخ طائرات ميستير وأوراجان لها ، الامر الذى زاد من قلق البلاد العربية . .

لقد باعت فرنسا بالفعل ١٠٠ دبابة لاسرائيل وعددا

من الطائرات . وفي خطابه يوم ٢ أكتوبر ذكر عبد الناصر هذه الأرقام وهو يبرر عقده لصفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي

وقد ظلت المجموعة الفرنسية المؤيدة لإسرائيل تتزايد باستمرار ، مع تفاقم الحرب في الجزائر « . اليمين الفرنسي ، رغم عدائه التقليدي الفامض للسامية واعتقاده بعدم دوام إسرائيل بدأ يحبها ، والاشتراكيون الفرنسيون بدأوا يتعاطفون مع تجارب إسرائيل في الزراعة والصناعة ومشروعات الهستدروت ، ثم هناك قضية الجزائر التي تضع البلدين في موقف واحد من العرب . » لاكوست مثلاً ، أنه اشتراكي ولكنه أيضا الحاكم العام للجزائر ، فلهذه سبب قوى لكي يصبح مؤيداً لإسرائيل . ثم هناك اليهودية الفرنسية . قال « جيلبير » السفير الفرنسي في إسرائيل وقتها للمؤلف أن اليهود الفرنسيين قد بدأوا يدوبون في المجتمع الفرنسي منذ مطلع هذا القرن ، وبالتالي كانوا لا يحبون أن يعرفوا أي شيء عن الصهيونية ، وبعد وعد بلفور ، عندما أثار وايزمان الأمر أمام مؤتمر فرساي ، وقف سيلفيان ليفي ، ممثل اليهودية الفرنسية ، وهاجم وايزمان والصهيونية هجوماً عنيفاً ، أن اليهودية الفرنسية لم تشأ أبداً أن تقوم إسرائيل . . لماذا ؟ « لأنها لم تكن صهيونية قط ، وإلّاها كانت تخشى من تهمة العدوان المزدوج التي تعرضت لها خلال الاحتلال في الحرب العالمية الثانية »

ولكن هذا كله تغير مع استمرار إسرائيل ونجاحها ، ومع اقتراب سياستها وسياسة فرنسا « ولما كان جزء كبير من الصحافة الفرنسية والسينما الفرنسية مملوكاً



لليهود ، فقد امكنهم ان يوسعوا الشعور المؤيد لاسرائيل  
بنجاح كبير »

في فبراير سنة ١٩٥٥ ، عاد بن جوريون من عزلته في  
سد بوكرا الى الحكم ، عاد بسبب ما سماه ضعف وسائل  
الدفاع الاسرائيلية . ثم لم يلبث ان امر بالهجوم الاسرائيلي  
المشهور على أحد معسكرات الجيش المصري بالقرب من  
غزة ..

وسرعان ما تعددت حوادث الحدود بين البلدين  
هل زادت حوادث التسلل المصرية الى اسرائيل بسبب  
عنف الهجمات الاسرائيلية ؟ أم ان عنف الهجمات  
الاسرائيلية كان بسبب زيادة حوادث التسلل ؟ انها حلقة  
مفرغة في رأى المؤلف ..

المهم .. ان عبد الناصر أصبح في حاجة الى سلاح .  
فرنسا لا تعطيه بسبب الجزائر \* وبريطانيا وأمريكا  
لا تعطياه بسبب حلف بغداد \* وهكذا اتجه الى الاتحاد  
السوفييتي

هذه الصفقة الشهيرة سجلت موت « البيان الثلاثي »  
في الشرق الاوسط ..  
وازداد قلق اسرائيل ..

ان التقارير عن التسليح المصري الجديد مخيفة .  
وسباق التسليح الذي بدأته اسرائيل كما يقول المؤلف  
نفسه - باللجوء الى فرنسا - قد انقلب عليها .. فحرب  
الفناء اذن قد تقع ولا بد لها من اسلحة اخرى حديثة  
سواء لاعادة التوازن او للاستعداد لحرب وقائية ضد مصر  
يقول المؤلف « اسلحة لاعادة التوازن أو للجولة  
الثانية : تلك كانت الفكرة الطاغية على السياسة  
الاسرائيلية في الشهور التالية . وهكذا بسبب المبادرة  
الاسرائيلية الى شراء الاسلحة تفجرت الاحداث حتى

وصلت الى حرب السويس .  
ان استقلال مصر بمصادر اسلحتها أصبح حقيقة كبرى  
قلبت كل حسابات الغرب واسرائيل . .  
وامام الكنيست ، وقف رئيس الوزراء الاسرائيلى  
الداعى الى التهدة موسى شاريت ، يتكلم عن احتمال  
الحرب الوقائية . ويطلب السلاح من الجميع . ثم طار  
على الفور الى باريس حيث قابل وزراء خارجية الدول  
الكبرى وهم يستعدون لمؤتمر جنيف ، قابل ادجار فور  
وهارولد ماكميلان وانطوان بيناى . وتكلم مع مولوتوف  
بالروسية . كما قابل جون فوستر دالاس  
وفى جو الاستعداد للحرب الوقائية ، عاد بن جوريون  
الى تسلم رئاسة الوزارة

قال شاريت انه فى نهاية اكتوبر ١٩٥٥ طلب من ادجار  
فور رئيس وزراء فرنسا ان تسلم فرنسا الى اسرائيل  
طائرات « ميستير ٤ » التى تستطيع ان تقاوم الميج التى  
حصل عليها عبد الناصر . فوافق ادجار فور وبوعبد  
بالمساعدة . ولكنه حين ذهب وقابل انطوان بيناى وجد  
هذا « رسميا ، باردا ، جافا »



ولكن بعد قليل ، عقد فى باريس مؤتمر لسفراء فرنسا  
فى الشرق الاوسط ، برئاسة انطوان بيناى .  
فى هذا المؤتمر ، كان السفراء الفرنسيون فى البلاد  
العربية يتزعمهم دى شايلا سفير فرنسا فى القاهرة ،  
يطالبون بمحاولة جديدة لتحسين العلاقات بين فرنسا  
والبلاد العربية . بينما كان جيلبير السفير الفرنسى فى  
اسرائيل ضد هذا الرأى على طول الخط  
وقرر المؤتمر سلوك الاتجاه الاول ، عاد دى شايلا الى

مصر يقول لعبد الناصر انهم لن يقدموا اسلحة الى اسرائيل  
بل سوف يرسلون اسلحة الى مصر ، نظير ايقاف الحملة  
على فرنسا في شمال افريقيا

\*\*\*

يقول المؤلف : ان بيناي كان مستعدا لاي شيء مقابل  
ان تشترك فرنسا في بناء السد العالي الذي كانت  
المباحثات بصدده قد بدأت بين مصر والدول الغربية

يقول موسى شاريت للمؤلف : « ان وزارة الدفاع (أي  
بن جوريون ) كانت ترفض رفضا مطلقا ان تدخل الظروف  
السياسية في اعتبارها . فعندما كنت افوض دالاس في  
جنيف ، قلّمت هي بهجوم مفاجيء على « الكونتيلة » في  
مصر ، فتغير موقف دالاس . وعندما كنت على وشك  
الحصول على صفقة اسلحة من فرنسا ، هاجم الجيش  
مواقع سورية في طبرية ، فقال لي انطوان بيناي « كيف  
تهاجمون السوريين وهم اصدقاء لنا ؟ . » وأمر بتأخير  
تسليم الاسلحة التي سبق الاتفاق عليها مع اسرائيل

ويقول المؤلف انه من ابرز ملامح هذه الفترة في باريس  
وثل اييب على السواء : الخلاف بين وزارة الدفاع ووزارة  
الخارجية في كل من البلدين

فظروف اسرائيل جعلتها تخضع كل شيء لمشكلة الامن  
وبالتالي لوزارة الدفاع . حتى أصبح المعيار الوحيد  
لصدقة أي بلد لاسرائيل هو مقدار ما تزودها به من  
اسلحة . ونوع هذه الاسلحة ، لا اكثر ولا أقل

ويروي الكتاب كثيرا من القصص التي تشبه احيانا  
اثروايات البوليسية ، عن سعي اسرائيل للحصول على  
الاسلحة من فرنسا

بالنسبة لطائرات ميستير مثلاً :

يقول المؤلف ان اول وعد تلقته اسرائيل ببيع طائرات « ميستير ٤ » لها ، كان من مندیس فرانس رئيس وزراء فرنسا سنة ١٩٥٤

وعندما جاء ادجار فور في رئاسة الوزارة بعد مندیس فرانس ، كرر هذا الوعد ..

وتم بالفعل اعداد الطائرات . ودهنت بألوان دولة اسرائيل ، ووقفت في المطار تنتظر الامر بالطيران الى تل أبيب ، ولكن احدى الصحف نشرت صورة لها ، واذا بالامر يشتهر والصفقة تتوقف ، وأهم يعرف سفير اسرائيل بتوقف الصفقة الا حين ذهب لحفلة توقيع الصفقة !

وقيل له انه ظهر ان الطائرات المستير لا يمكنها ان تطير من باريس الى تل أبيب دون توقف ، ولكن السبب الحقيقي وفق معلومات المؤلف هو أن امريكا تدخلت لايقاف الصفقة

وعاودت اسرائيل بذل الجهود ..

وذهب وزير فرنسي - لا يذكر المؤلف اسمه - الى ادجار فور رئيس الوزارة وقال له : هل ترضى ان تضع طياراتك في طائرات اقل من « ميستير ٤ » ليواجهوا طائرات الميج التي حصل عليها عبد الناصر ؟

وقال ادجار فور : بالطبع لا !

وتمت الصفقة ، في ١٢ نوفمبر ١٩٥٥

كانت هذه نقطة تحول بالنسبة لاسرائيل ، ونقطة تحول في علاقات اسرائيل مع فرنسا

ان « اخوة السلاح » تنمو بين البلدين

ولكن ادجار فور قرر الاستقالة فجأة ، واجراء انتخابات عامة ..

وارتبتك خطط اسرائيل : فمن القادم يا ترى بعد  
الانتخابات ؟...

يروى الكتاب ان شمعون بيريز ، وكيل وزارة الدفاع  
الاسرائيلية ، والرجل المسئول عن هذه الصفقات كلها ،  
عاش في فرنسا شهرا كاملا مع عشرات من معاونيه : اقتحم  
المعركة الانتخابية في فرنسا كما اقتحمها المرشحون .  
طاف بكل زعماء الاحزاب والمرشحين البارزين يشرح لهم  
الموقف ، ويحصل منهم على الوعود ، ويشرح لهم كيف  
ان الطريقة الوحيدة لضرب ثورة الجزائر هي التخلص من  
عبد الناصر ، والقاعدة الوحيدة للتخلص من عبد الناصر  
هي اسرائيل

يروى المؤلف ان اجتماعات بيريز مع المرشحين كانت  
تتم احيانا في سيارة اللورى المكلفة بلافتات الدعاية التى  
يتخذها المرشح مقرا متنقلا له ..

وعندما ذهب بيريز الى جى موليه فى دائرته الانتخابية ،  
وعده موليه بالمساعدة .. ويروى المؤلف ان بيريز قال  
لموليه : ارجو الا تكون مثل اشتراكى اخر هو ايرنست  
بيفن ، كان معنا وهو مرشح فلما تولى الحكم اصبح ضدنا  
.. يشير بذلك الى وزير خارجية بريطانيا السابق فى  
حكومة العمال

فرد عليه جى موليه قائلا : كلا ! سوف اثبت لك اننى  
لست مثل بيفن !

ومن اغرب ما حدث خلال تلك الفترة ، ان الحكومة  
الفرنسية اعطت بيريز ، وكيل وزارة الدفاع الاسرائيلية ،  
مكتبا ومقرا دائما لمدة شهر فى مقر رئاسة الوزارة  
الفرنسية بحجة احتياجه اليه لتنفيذ صفقة الاسلحة ومن  
هذا المقر الرسمى كان بيريز يتصل بشبكات عملاء

اسرائيل المنتشرين فى انحاء فرنسا ويدير « المعركة الانتخابية » الخاصة ، مستخدما مكاتب الدولة وتليفوناتها وتسهيلاتها

ونجح جى موليه فى الانتخابات . .  
يقول المؤلف : ان وصول جى موليه الى السلطة كان نقطة تحول فى علاقة فرنسا باسرائيل . . وفى التمهيد للحرب

\*\*\*

ذهب مئات آلاف المصريين الى الميدان فى الاسكندرية يستمعون الى الحل الذى وعدهم به عبد الناصر لتمويل السد العالى وفى ضحكة قصيرة ، اعلن عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس

وبينما كان الجنود المصريون يحيطون مكاتب الشركة فى الاسماعيلية والسويس وبورسعيد . كان سكرتير انطونى ايدن يفتح عليه مائدة العشاء التى اقامها تكريما لفیصل ملك العراق ونورى السعيد . كان الامر مفاجأة كاملة له .  
أما فى فرنسا فيقول المؤلف ان المخابرات الفرنسية كانت تشك فى الامر منذ اسبوعين

وفى نفس الليلة اجتمع الوزراء البريطانيون الكبار مع قادة اركان الحرب ، مع سفيرى امريكا وفرنسا ، وفى يوم ٢٩ وصل « كريستيان بينو » الى لندن . وفى نفس اليوم وصل « روبرت مورفى » مبعوث ايزنهاور الخاص ، اذ كان دالاس متغيبا فى بيروت . وطلب سلوين لويد وكريستيان بينو من مبعوث ايزنهاور ان تشترك امريكا مع الدولتين فى عمل حربي سريع للاستيلاء على القناة . وبدون انتظار أجلت فرنسا رعاياها عن مصر ، ثم تبعتها انجلترا بعد قليل . .

وبعد يومين كان قد تجمع في ميناء « طولون » اسطول  
مهبط للغزو : يارجتان وحاملتا طائرات و ٢١ مدمرة ،  
وست غواصات . وفي لندن كان يوجد « الاميرال نومي » ،  
قائد الاسطول الفرنسي ، لينسق العمليات الحربية بين  
الدولتين . وكان في حساب الدولتين حتى هذه اللحظة  
ان امريكا سوف تشترك معهما . ان الوقت ثمين .  
والدولتان تضغطان من اجل السرعة . ان الاستيلاء  
على قناة السويس في رأيهما سوف يؤدي  
الى اسقاط عبد الناصر . وفي نفس اليوم الذي كانت  
انجلترا فيه تستدعي الاحتياطي ، كان « الكولونيل بريور »  
يهبط في لندن . ومعه كشف كامل بكل القوات الفرنسية  
التي سوف تشترك في المعركة

قال ضابط فرنسي للمؤلف « . . لمدة ثمانية ايام كانت  
القيادة الفرنسية والانجليزية تعمل في نشاط هائل لبناء  
الهجوم . . ولكن في اليوم الثامن جاءت مذكرة اجلت فكرة  
التدخل فورا ، وبعدها اخذ التعاون الانجليزى الفرنسى  
شكل التمرينات العسكرية « فحسب »

\*\*\*

وهناك تفسير لهذا الذى حدث . .  
ففى اول اغسطس ، اجتمع في لندن ايدن وجى موليه  
وجون فوستر دالاس . وقال دالاس لاول مرة بشكل  
نهائى حاسم ان امريكا لن تشترك فى أى عمل مسلح ضد  
مصر . وعلى الفور قال القادة الانجليز : ان القوة التي  
استعدت للغزو كان فى حسابها اشتراك قوة امريكية  
معه . اما بعد هذا الموقف الجديد ، فهي غير كافية  
لـلغزو . ولذلك لابد من التأجيل ، للاستعداد من جديد ،  
على اساس عدم وجود قوات امريكية

وقد روى انطونى ايدن بعد ذلك فى مذكراته ، ان فكرة التدخل المسلح فوراً تأجلت لسببين : الاول عدم امكان تجميع قوة ضاربة كافية فى وقت قصير ، والثانى هو الامل فى الوصول الى حل سلمى

قال دالاس فى هذا الاجتماع : ان الحكومة الامريكية لا يمكن ان تدخل فى عمل عسكرى بدون موافقة سابقة من الكونجرس ، ثم اطلع الحاضرين على رسالة من ايزنهاور يطلب فيها المفاوضة أولاً قبل البحث فى أى اسلوب آخر . والغريب ان المؤلف يقول ان سلوين لويد انضم اخيراً الى رأى دالاس بينما ظل بينو يلح فى التدخل الفورى

واخيراً قبل الجميع فكرة دالاس فى اقامة مؤتمر دولى لبحث مشكلة قناة السويس \* على ان يتعقد المؤتمر فى ١٦ أغسطس

كان هذا فى رأى المؤلف هو اول انتصار لدالاس . فمئذ تلك اللحظة ، وطوال شهرين بعد ذلك ، ظل يعارض أى محاولة للقيام بغزو مسلح ضد مصر

انعقد المؤتمر فى ١٦ أغسطس وانفض يوم ٢٢ ، بعد ان تبنى اقتراح دالاس بايجاد جهاز دولى يدير القناة . وفى يوم ٣ سبتمبر سافر منزيس الى القاهرة حاملاً هذا الاقتراح الذى قبلته ١٨ دولة من ٢٢ . ولكن عبد الناصر رفض الاقتراح ..

ولم يمن دالاس لضغط انجلترا وفرنسا فخرج باقتراح جديد هو تكوين ما يسمى بجمعية المنتفعين بالقناة ، وقبل ايدن وموليه مرة اخرى الذهاب الى مؤتمر لندن الجديد الذى عقد فى ١٦ سبتمبر . ولكن لما كان دالاس قد رفض مبدأ استخدام القوة فى تمرير سفن الدولة المنتفعة ، فلم يبق لدى المؤتمر فى حقيقة الامر أى



شيء يقوم به . فلم يكذ دالاس يترك العاصمة البريطانية الى جزر برمودا لقضاء بضعة أيام من الراحة ، حتى كانت انجلترا وفرنسا قد قررتا الذهاب الى مجلس الامن

ولم تكن انجلترا وفرنسا تشكان في أن الفيتو الروسى سيقف فى وجهيهما فى مجلس الامن . ولكن ، كان هذا الاجراء مقصودا به فتح الباب لاستخدام القوة بعد ذلك ، ولهذا كان دالاس يعارض حتى فى الذهاب الى الامم المتحدة . .

وقبل ترك هذه المرحلة ، اذكر ان الكاتب هرمان فيز قال ان آيدن اقترح على دالاس ان يسافر هو على رأس البعثة الى مصر لمقابلة عبد الناصر بدلا من منزيس . اراد بذلك أن يرى دالاس بنفسه « تعسف » عبد الناصر ، وان يعود - اذا رفض عبد الناصر - ثائرا لكرامته . ولكن دالاس اعتذر بحجة أن لديه اعمالا كثيرة فى واشنطن . . ووقع الاختيار على منزيس

فى خلال هذا كله ، كانت الاستعدادات الحربية قائمة على قدم وساق ، فطوال هذه المباحثات والمفاوضات لم يغير الانجليز والفرنسيون رأيهم لحظة واحدة فى ضرورة التدخل المسلح . غاية ما فى الامر ، انهم بعد ان تأكدوا من ان أمريكا لن تشترك ، اعادوا الخطة القديمة الى القيادة العليا لتضع خطة جديدة ، تقوم بها الدولتان بمفردهما

وفى « البدروم » المحفور عميقا تحت ارض وزارة الحرب البريطانية ، حيث توجد قيادة العمليات الحربية ، ممتدة الى ما تحت ارض نهر التيمز ، عكف الجنرالات الانجليز والفرنسيون بغير انقطاع على وضع الخطة الجديدة

واطلق على القيادة المشتركة اسم سرى هو Terrapin

وكان أعلى المسؤولين يجهلون الأمر كله ، باستثناء رئيسي وزارتي الدولتين وعدد قليل جدا من الوزراء . كانت هذه القيادة السرية ساهرة تضع الخطة تلو الخطة ، وعلى بعد امتار منها مؤتمرات ومفاوضات ومباحثات وساسة لا يعرفون شيئا

ومنذ البداية ، قال الجنرالات انه يلزمهم ستة أسابيع على الأقل لاعتماد الحملة العسكرية ووضعها في وضع الاستعداد للحركة ، وعلى ذلك فالغزو يمكن ان يبدأ في منتصف سبتمبر

كانت الخطة الاولى التي اقيمت على اساس اشتراك امريكا فيها قد اطلق عليها اسم Hamikar أما هذه الخطة الثانية فقد أطلق عليها اسم موسكتير وتم وضعها في وقت سريع جدا : آخر اغسطس



وكانت خطة موسكتير تقضى بالنزول في الاسكندرية ، ثم شق الطريق رأسا الى القاهرة ، على اساس ان اسقاط عبد الناصر هو الهدف الاساسي . وفي دوسسبيات ال Terrapin الى الان المشروع الكامل للحكومة المصرية التي كانت ستحل محل عبد الناصر . وقد قام بعض عملاء فرنسا وانجلترا المجهولين باتصالات ببعض العرب المقيمين في القاهرة . وتم طبع منشورات باللغة العربية لتلقى على مصر ، وتم في فرنسا طبع بنكنوت مصري لتستخدمه قوات الاحتلال ، وتم تخزين كل هذا في مخازن سرية جدا . . قصة غريبة تعيد الى الازهان نفس خطة الانجليز القديمة ضد ثورة عرابي

ولكن خطة الموسكتير لم يقدر لها ايضا ان تعيش طويلا ،

ففى سبتمبر بدأ اعداد خطة أخرى هى : الموسسكثير المنقحة . ذلك ان الساسة حكموا على الخطة الاولى بأنه سيصعب تبريرها امام الرأى العام ، اذ ستجرى العمليات الحربية فيها بعيدا جدا عن القناة ، التى هى ذريعة التدخل العسكرى . أما الخطة الجديدة فكانت تقضى بالنزول فى بورسعيد ، ثم الزحف على طول القناة الى السويس ، مع اندفاع قوة اخرى من القناة الى القاهرة لاستقاط عبد الناصر

وتبريرا للحملة ، كان المفروض ان تسافر قافلة من السفن الى القناة ، ثم ترفض دفع الرسوم للادارة الجديدة . وهنا سوف يمنعها المصريون من العبور ، فينفجر الخلاف ويبدأ الغزو . وللتأكد من ان المصريين سوف يمنعون القافلة ، رثى أن تكون من بين سفن القافلة سفينة اسرائيلية . وان المصريين حتما سوف يمنعون أى سفينة اسرائيلية من العبور . وفى تلك الاثناء كانت قوات الغزو تتجمع فى صمت فى قبرص ، ومالطة ، وبعض موانئ شمال افريقيا . . والغريب ، انه رغم كل الجهود البريطانية والفرنسية فى حشد « ارمادا » بحرية ، وتجميع اعداد ضخمة من الجنود وفرق الباراشوت والطائرات وسفن النقل حتى اصبحت قبرص كلها ترسانة مسلحة . . رغم هذا كله فقد كانت القوات دائما غير مستعدة تماما للقتال لماذا . . ؟

المؤلف يرجع السبب مرة اخرى الى امريكا . فجون فوستر دالاس - كما قال كريستيان بينو بعد ذلك - كان يريد أى شىء الا ان يقع غزو مسلح فرنسى انجلىزى قبيل انتخابات رئاسة الجمهورية فى امريكا . وكان هذا يفت فى عضد الحشد العسكرى ، اذ يضطره الى انواع من السرية تعطله

وكانت انجلترا بالذات هي التي بدأت يداها ترتعشان ،  
كلما فكرت في موقف امريكا . الامر الذي غاظ فرنسا ،  
التي مضت في حشدتها بنفس النشاط واخذت تلوم  
الجانب البريطانى على تأخره في تنفيذ خطة الحشد  
العسكرية والتعلل بهذا السبب أو ذاك ..

\*\*\*

اذن ، فما الحل ؟  
قال الفرنسيون : « اذا كان يبدو ان الانجليز يترددون  
فلنجرب اسرائيل ! »  
ولكن . متى ذكر اسم اسرائيل لأول مرة ، في هذه  
العملية كلها ؟ ..

في غرفة العمليات الحربية ، بعيدا في اعماق الارض ،  
تحت مبنى وزارة الحرب البريطانية ، وبينما دخان  
السجائر منعقد ومختلط بالمناقشات . ثارت مشكلة ان  
عملية الغزو كلها ، ليس لها « قاعدة » قريبة من مصر  
قريبا كافيا ..

وقال جنرال فرنسى ، شاء المؤلف ان يحتفظ باسمه  
سرا « ان اسرائيل هي اقرب ارض الى منطقة العمليات  
المقبلة ، فلماذا لا نجرب الاستفادة منها ؟ » ..

كانت هذه اول مرة ..

وعندما عاد الجنرال الفرنسى الى باريس ، وراجع  
رؤسائه في الامر ، دهش حين وجدهم يوافقونه على المضي  
في الاقتراح ! ..

وقد لامه بعض زملائه بعد ذلك بزمان ، اذ قالوا له لاشك  
انه كان يعرف ان اسرائيل في العملية من قبل .. وان  
اقتراحه لم يكن بريئا !

والواقع ، كما يقول المؤلف الاسرائيلي ، انها كانت موجودة . .

ففى اول اغسطس عقد اجتماع بالغ السرية بين بعض الاسرائيليين وبعض كبار رجال وزارة الدفاع الفرنسية . وفى يوم ٧ اغسطس اجتمع هؤلاء الاسرائيليون مع هيئة اركان حرب الجيش الفرنسى ، بحضور آبل توماس ، مدير مكتب جورجيس مانورى . وفى هذا الاجتماع تمت صفقة اسلحة ضخمة بالغة الاهمية . وتلك كانت الخطوة الاولى الاكيدة . .

فقد كانت فكرة التعاون بين فرنسا واسرائيل فى « موضوع السويس » بصيغة عامة تنمو بسرعة فى اجتماعات القادة الفرنسيين والاسرائيليين . بل ان فكرة شن هجوم على مصر ، اثيرت مرة فى اجتماع تم بين جورجيس مانورى وزير الداخلية وشيمون بيريز فى يونيو السابق . . ثم ترددت الفكرة اكثر من مرة ، ولكن دون ان تتبلور فى صورة « عملية » محددة

فبعد ان أبرمت صفقة الاسلحة الروسية التى قلبت ميزان القوى ، بدأت اسرائيل تفكر فى « حرب وقائية » سريعة . ولكن حتى بعد أن تسلمت اسرائيل الاسلحة الفرنسية الحديثة ، لم يكن فى مقدورها أن تضمن نجاح مثل هذه الحرب . كانت اسرائيل توازن التفوق المصرى فى العدد بتفوقها فى النوع . فلما حصلت مصر على الاسلحة الحديثة ، أصبحت متفوقة على اسرائيل كما وكيفا . . .

لهذا أصبحت اسرائيل تنظر الى فكرة الحرب الوقائية على انها ضرورة حتمية . وكلما سافر شاريت اوبريز الى أوروبا لشراء اسلحة ، خلال سنة ١٩٥٥ ، كان كل منهما يمر بفرنسا ليسأل حكامها : ماذا يكون موقفهم

بالضبط ، فى حالة قيام اسرائيل بحرب مسلحة ضد مصر ؟ .

ولم يكن الفرنسيون يربطون أنفسهم بشيء ، ولكنهم كانوا يشجعون الفكرة . فالجنرال جيوم شجع الجنرال ديان . وجى موليه ، عشية الانتخابات العامة ، وعد بيريز بكل مساعدة ، وبورجيس مانورى وكل رجاله كانوا مع اسرائيل مائة فى المائة : اليمين الفرنسى كان يشجع اسرائيل بسبب دور عبد الناصر فى الجزائر ، واليسار كان يشجع اسرائيل على أساس أن عبد الناصر هو هتلر آخر ، ولا يجب أن تقع ميونيخ أخرى ، هكذا قال جى موليه بالضبط . كذلك قال « أننى أساعد اسرائيل لأنها دولة اشتراكية توشك على الزوال كما زالت أسبانيا الاشتراكية فى وجه فرانكو . سنة ١٩٣٦ لم تكن أقوىاء ولهذا زالت أسبانيا ، أما سنة ١٩٥٦ ، فأننا أقوىاء ، ولهذا لن تزول اسرائيل »

هكذا كان حكام الجمهورية الفرنسية الرابعة يشجعون اسرائيل : وبعضهم شجعها الى أبعد من هذا ، الى حد الاشتراك معها فى أى خطة ضد مصر . . . ولكن أمريكا كانت ، كما سبق ، تعرقل تسليم الاسلحة الى اسرائيل . .

كذلك كان موسى شاريت - فى رأى المؤلف - ضد أى محاولة غزو عسكري . صحيح أنه طرق كل الابواب لشراء الاسلحة . وانه اقترح مؤتمر جنيف لفتح ملف اسرائيل أمام مولوتوف وايدن وماكميلان وبيناي وادجار فور . . . للدفاع عن اسرائيل التى تعرضت للهجوم : فشاريت كان يعتقد دائما أن الامم المتحدة والقانون الدولى والرأى العام العالمى تشكل كلها عقبة خطيرة فى وجه مثل هذا العمل . . وان الدول الاسيوية الافريقية بالذات سوف

يكون رد فعلها غاية في السوء . وشاريت يعتقد دائما أن العالم الاسيوى الافريقى يمكن أن يكون عالما صديقا لإسرائيل « مسألة » لا محاربة ، وانه يمكن أن يسهم فى تحويل علاقة اسرائيل بالعرب

ولكن شاريت كان الاضعف . فكان عليه أن يرضخ لبن جوريون أو يرحل . وقد آثر أن يرحل ، فاستقال يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

قال بن جوريون يومها : ان المخاطر الجديدة توجب خلق انسجام كامل بين وزارتى الخارجية والدفاع . ان وزارة الخارجية فى حاجة الى قيادة جديدة تماما . ولهذا يجب على شاريت ان يستقيل

وبهذا بدأت اسرائيل تستعد جديا لشن الحرب : حرب وقائية صغيرة اما أن تفرض بها الصلح على العرب واما أن تضمن لها الهدوء بضع سنوات أخرى

وفى هذه الظروف جاءت أزمة السويس

يؤكد المؤلف هنا : ان الازمة لم تغير موقف اسرائيل . فاسرائيل كانت ستشن هجومها المسلح على مصر على أى حال . ولكن أزمة السويس سهلت لها أصعب مهمة وهى الحصول على الاسلحة بكميات وفيرة . .



ليلة ٢٦ يوليو . . نفس الليلة العجيبة التى أعلن فيها عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس كان شيمون بيريز فى باريس . .

وفى اليوم التالى ، وأسم مصر يملأ كل الصحف ، ذهب بيريز الى وزارة الخارجية الفرنسية وفى ذهنه سؤال واحد : هل يغير هذا الحادث ، أخيرا ، برود وزارة الخارجية الفرنسية تجاه اسرائيل ، ورغبتها المستمرة

في التفاهم مع العرب ؟

ولكنه خرج بلا نتيجة ..

ومن يومها ، لم يطرق بيريز باب وزارة الخارجية . بل ان اتصالات اسرائيل كلها برئيس الوزارة ووزير الحربية والقيادة الفرنسية جرت في سرية تامة عن وزارة الخارجية . من يومها لم تعترف وزارة الخارجية الفرنسية شيئا

قال كريستيان بينو « كانت الكاي دورسيه تعارض السويس . ان احدا فيها لم يعرف السر أبدا . بل اننى كنت اذهب الى الاجتماعات الخاصة بهذا الموضوع بمفردى ، وأنا أقود سيارتى بنفسى ، وأنظر خلفى حتى أتأكد من ان احدا لا يتبعنى »

فاذا اجتمع بينو بأحد في بيته . . اجتمع به في الشقة الخاصة . . وفي حجرة نومه بالذات . . حتى لا يثير الشبهات !

ولكن ، حتى ذلك الوقت لم تكن فكرة التعاون العسكرى في عملية حربية قد طرحت . صحيح أن خطوات خطيرة كانت قد اتخذت ، ولكن عدا هذه الخطوة

من هذه الخطوات الخطيرة : انشاء « قيادة عسكرية سرية » تختص بموضوع العلاقات الفرنسية الاسرائيلية ! ولكن فرنسا ، طوال هذا الوقت ، كانت ماضية في السر في تخطيطها المشترك مع انجلترا ، محتفظة باسرائيل في يدها الاخرى . لربما تحتاج اليها اذا فشل تخطيطها مع انجلترا لسبب أو لآخر . واسرائيل نفسها لم تكن تفكر في عمل عسكرى مشترك : انها تريد فقط الاسلحة لتتابع حربها الخاصة بها

كل ما كان يعرفه بينو هو : ان اسرائيل تريد الاسلحة



لتقوم بحرب منفردة ضد مصر . عندما يهمل انشغال  
أمريكا بانتخابات الرئاسة الى اقصاه

وهكذا تمت الصفقة الكبرى للأسلحة في ذلك الاجتماع  
السري ، يوم ٧ أغسطس ..

وعرف أن إنجلترا تؤيد هذه السياسة ..

وبعيدا عن أى أجهزة أخرى في الدولة كان جى موليه  
وبينو ، وبورجيس مانورى ، والقيادة العسكرية ..  
يفاوضون الاسرائيليين رأسا ، ويعطونهم كل ما يشاءون  
من سلاح . « وأصبح هذا الأمر روتيننا عاديا . ان فرنسا  
براسرائيل لهما الآن هدف موحد تماما ، هو : « قهر  
مصر » . فلم تعد هناك أى عقبة على الإطلاق ، تعرقل  
تسليم الأسلحة الى اسرائيل

وفي سبيل تسهيل تسليم الأسلحة الى اسرائيل ،  
لجأت الحكومة الى أساليب لا سابق لها ولا مثيل في  
تاريخ الدول ..

فاذا كان الاتفاق الاول ينص على تسليم ٢٤ طائر  
مستير .. فتزوير بسيط في الاذن ، يتحول الرقم الى  
عشرات ومئات ..

أو يستخدم نفس الاذن ، أكثر من مرة ، وفي كل مرة  
تسلم مصانع « مارسيل داسو » - الرجل الذى خطفت  
احدى العصابات زوجته في باريس منذ مدة - ما تحتوى  
عليه الاذن المزورة . بناء على تعليمات صريحة من  
الحكومة الفرنسية ..

وكانت الطائرات تهبط في شمال افريقيا ، أو في برنديزى  
في ايطاليا . بعد أن أغضت حكومة ايطاليا عيونها على  
« هجرة هذه الطيور النفثة الى اسرائيل » على حد تعبير  
المؤلف .. !

يروى السفير الفرنسى فى اسرائيل « جليبير العقيد »  
أنه كان يقف فى مطارات اسرائيل مع بيريز ، ومع ليفى  
أشكول رئيس وزراء اسرائيل الحالى ووزير المالية فى  
ذلك الوقت ، يرقصون طربا لمشهد وصول الطائرات  
« المستير » .. وكلما هبطت طائرة . صاح بيريز فى  
وزير المالية : وهذه ربع مليون دولار أخرى وفرتها  
عليك ! ..

وعلى أمواج البحر ، تأتي سفن حربية فرنسية لتعزيز  
السلاح البحرى الاسرائيلى ، ثم يرتدى بحاراتها  
الفرنسيون ثيابا مدنية ويتركونها فى تل أبيب ، ويعودون  
من طريق استانبول ، الى فرنسا ..  
وخلال ليال طويلة ، تشحن الناقلات الضخمة الرابضة  
فى موانئ فرنسا بالدبابات ، والمدافع ، وصناديق قطع  
الغيار ، ثم تبحر تحت جناح الليل الى اسرائيل ..  
أما على شواطئ اسرائيل ، فكانت السرية تتم بطريقة  
أخرى ..

كانت إحدى فرق دبابات الجيش الاسرائيلى تأتي الى  
منطقة معزولة على الشاطئ وتعسكر فيها . وتقوم طول  
النهار بمناورات حامية ، حتى اذا جاء الليل ، اقتربت  
من الشاطئ تلك السفن الفرنسية المشحونة بالدبابات  
والمدافع . وتتم عملية التفريغ طول الليل ، وتبحر  
السفن . وتتحرك الاسلحة الجديدة الى النقب . دون  
ان يعرف أهالى القرى الفرق بين اسلحة المناورات  
والاسلحة الجديدة ..

ومن أهم الاسلحة التى نقلت بكميات ضخمة ، مدافع  
10 — S.S. الصاروخية المضادة للدبابات ، التى أراد  
الغرب أن يجربها فى الدبابات السوفيتية خلال معركة  
سيناء ..

وقد بلغ من سرعة نقل الاسلحة ، وكثرة كمياتها ، ان فرنسا لم تسأل اسرائيل عن الرقم الحقيقي للأسلحة التي وردتها اليها ، الا بعد انتهاء حرب السويس كلها بشهور! ولم تكن فرنسا حتى ذلك الوقت تفكر في تحالف طويل المدى مع اسرائيل : ففي حالة ما اذا تقرر القيام بهجوم مع بريطانيا من قاعدة قبرص ، فساعاتها كانت فرنسا سوف تشرح الامر لحلفائها البريطانيين - أي أنها كانت تفضل أن يتم الامر بدون اسرائيل . وهذا ما كان يقلق اسرائيل جدا ، التي كانت تريد ان تشترك في الحرب ، لحساب نفسها

ولما يضيق صدر فرنسا باعتراضات دالاس ، وبتردد انجلترا ، كانت تميل بشدة الى فكرة القيام بحرب منفردة مع اسرائيل

كانت الاحتمالات هي : هجوم فرنسي اسرائيلي على حدود مصر من النقب . وهجوم اسرائيلي منفرد على الأردن لايقاف الانتخابات التي كانت على وشك الاجراء والتي كانت ستقرب ما بين الاردن ومصر . وارسال سفن الى القنصة ، لتعرض مصر على مرورها ، وتكون الحرب الشاملة

كانت الخطط تتباور في بطن ، وفي ارتباك أحيانا . .

وفي ٢٠ سبتمبر هبط في مطار تل أبيب وفد فرنسي رسمي ، من بين أعضائه بالتأكيد آبل توماس والكولونيل مانجان ومع الوفد خطة عامة : ان تقوم اسرائيل بهجوم مباشر على مصر . أما مساعدة فرنسا فلن تقف عند حد الاسلحة « والتأييد الدبلوماسي فقط » بل ان سلاح الطيران الفرنسي والاسطول الفرنسي يمكنهما المشاركة في تأييد الجيش الاسرائيلي وحماية اسرائيل من رد الاسلحة

المصرية وقاذفات ناصر . ثم يصحب هذا التدخل مباشرة تدخل انجليزى فرنسى على أرض مصر ، مع انزال قوات مشتركة . أما الموعد التقريبي المحدد ، فهو أول نوفمبر»

وتكوّلت في فرنسا « حكومة داخلية » لهذه الحرب من : جى موليه رئيس الوزراء ، بورجيس مانورى وزير الحربية ، كريستيان بينو وزير الخارجية ، لاكوست حاكم عام الجزائر « ! » وشابان دالماس رئيس مجلس النواب . وفي رواية أخرى أن دالماس كان يجرى أخطاره بالخطوط العامة فقط ، بسبب علاقته بديجول ، حتى يكون الجنرال على معرفة بالأمر

كانت « حكومة الحرب » هذه قد اقتنعت بعد فشل مهمة بعثة منزيس وفكرة جمعية المتفعين بالقناة أن التدخل المسلح بحجة القناة أصبح صعبا ، فلم تبق حجة لهذا التدخل إلا قيام حرب بين مصر وإسرائيل . .

وتأكيدا للخطّة ، قام جسر جوى بين باريس وتل أبيب : أسفار يومية يقوم بها الجنرالات الفرنسيون والإسرائيليون لدراسة الخطّة واستكمالها . أبرز هؤلاء كانوا الجنرال شال وجوهر من فرنسا نفس الجنرالين اللذين قادا العصيان المسلح في الجزائر ضد ديغول ، ثم حكم عليهما بالسجن بعد ذلك وموشى ديان وبيريز وبن ناثان من إسرائيل

وفي مبنى وزارة الدفاع الفرنسية ، شارع سان دومينيك ، اقيمت محطة إرسال تكون على صلة دائمة بتل أبيب

وفي يوم ١٠ أكتوبر ، تم الاتفاق على كل التفاصيل : بما في ذلك نقل ورشة فرنسية كاملة لأصلاح الطائرات من « ريمش » إلى إسرائيل . .

كل هذا وفرنسا واسرائيل يؤرقهما شيء هام هو :  
موقف انجلترا . .

ان عدم اشتراك انجلترا في الهجوم معهما يعطيها حرية  
تصرف تسمح لها بعرقلة كل شيء ، لو أرادت

ثم ان اسرائيل كانت تضع في مقدمة شروطها للهجوم  
على مصر : تدمير كل المطارات المصرية من أول يوم ، منعا  
لحركة طائرات عبد الناصر . . وفرنسا ليس لديها قنابل  
حديثة ، في حين ان بريطانيا تملك قاذفات « كانبيرا »  
الشهيرة . .

وكانت انجلترا تعرف بأن ثمة مفاوضات بين اسرائيل  
وفرنسا . ولم تكن تعترض . ولكن بقي أن تلتقي أطراف  
المثلث الثلاثة وجها لوجه انجلترا وفرنسا واسرائيل

وانطلق كريستيان بينو يعمل !

كانت هناك اذن عمليتان منفصلتان ، كل منهما تستعد  
لفزو مصر . عملية اسرائيلية - فرنسية وعملية فرنسية  
- انجليزية وقد حاول الانجليز أن تنفذ العمليتان  
منفصلتين ، حتى لا تتهم بالتآمر مع اسرائيل ، بينما  
صممت اسرائيل على أن يلتقى الثلاثة وجها لوجه ،  
ويعملون معا . . وهذه هي القصة . .

\*\*\*

في نهاية سبتمبر ، وصل الى اسرائيل ضابط انجليزى  
يهودى اسمه الكولونيل روبرت هنريك . وعلى الفور  
ذهب الى لقاء بن جوريون

كان يحمل رسالة سرية جدا من الحكومة الانجليزية  
تقول : ان انجلترا تحذر اسرائيل من أى هجوم على  
الأردن . وهى تبلغ اسرائيل أنه لا مانع لديها ، فى حالة

هجوم انجلترا على مصر ، أن تبادر اسرائيل بدورها  
بالهجوم . في هذه الحالة سوف يكون على انجلترا أن  
تستنكر - علنا - هجوم اسرائيل على مصر ، وتستنكره  
بكل شدة . . ولكنها ساعة ابرام الصلح تتعهد بأن تحصل  
على احسن شروط ملائمة لـ « اسرائيل !! »

استمع بن جوريون الى هذه الرسالة وسكت  
ان انجلترا تعرف تصف الحقيقة . تعرف أن هناك  
تحالفا مسلحا بين فرنسا واسرائيل ، ولكنها لا تعرف  
أكثر من ذلك . . لا تعرف أن التحالف يشمل « القيام  
بعمل عسكري مشترك » . . فقد كان الجانب الفرنسي  
يخاف أن تفضل انجلترا في اللحظة الأخيرة عدم المغامرة  
بمصالحتها في البلاد العربية فتعدل عن الحرب ، لهذا آثر  
أن يبيتها في الظلام

\*\*\*

وقد صدق ظن الفرنسيين . .

فبعد فشل شكوى انجلترا وفرنسا ضد مصر في  
مجلس الأمن ، طار ايدن وسلويد لويدي الى باريس يوم  
٢٦ . كان يبدو أنهما تراجعا عن فكرة الحرب وأخذا  
يبحثان عن مخرج كريم من الازمة كلها

وكان لدى ايدن اقتراح محدد :

ان هناك انتخابات على وشك أن تجرى في الاردن .  
وكل التقارير تدل على أن أصدقاء عبد الناصر سوف  
يكتسحونها . والحل هو أن تدخل القوات العراقية ،  
قوات توري السعيد الاردن ، وتمنع الانتخابات وتخلق  
ظروفا جديدة تسمح بضم الاردن الى حلف بغداد ، ان  
هذا سيكون ضربة قاصمة لعبد الناصر. ذهب ايدن الى

حد القول بأنها قد تسقطه في مصر . أو على الأقل تستقر  
من تأمين شركة القناة . وفي ظل هذا يمكن التفاوض معه  
بشأن القناة . .

ولكن هذه الخطة تحتاج الى مساعدة فرنسا . .  
كيف ؟ . . ان فرنسا عليها أن تقنع اسرائيل بعدم  
الاعتراض على دخول القوات العراقية الى الاردن

ولكن جى موليه رد على طلبات ايدن ردا عنيفا . .

قال له : ان هذا كله حل لا تجنى فرنسا أو اسرائيل  
من ورائه شيئا . ولو ضغطت فرنسا على اسرائيل على  
هذا النحو فلن تقبل اسرائيل أن تشترك مع فرنسا مرة  
أخرى في عمل ضد عبد الناصر . ثم ان القيام بانقلاب في  
الاردن لا يؤدي الى إسقاط عبد الناصر ، واسقاط عبد  
الناصر هو الهدف الرئيسى للسياسة الفرنسية الان

وبعد مناقشات دامت عشر ساعات ، لم يصل الطرفان  
الى شيء . ولكن هذا الحوار كان له أثر واحد : هو اندفاع  
فرنسا أكثر ، وأكثر في طريق الاعتماد على اسرائيل ، حتى  
وصلت الى اتفاق ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ . . الذى سبق  
ان اشرت اليه

أما اسرائيل ، فمضت في تحرشاتها على طول الحدود  
الأردنية : لقد اكتشفت أن هذا يساعد على تحويل الأنظار  
عن ترتيباتها لغزو مصر . وفي منتصف أكتوبر ، سككت  
انجلترا بدورها على هذه التحرشات ، اذ كانت قد  
انضمت الى فرنسا واسرائيل ، واكتمل المثلث

وطار بينو ومعه الجنرال شال الى لندن يحاولان اقناع  
انجلترا مرة أخرى . ولكن الذى اقنع انجلترا نهائيا في  
رأى المؤلف هو تأكدها ان اسرائيل مصممة نهائيا على  
الهجوم على مصر . ففي يوم ١٥ أكتوبر ، وفي وسط

اتجاه الانظار الى الاصطدامات على حدود الاردن ، قال بن جوريون : « لا يجب أن ننسى أن العدو الاول لنا هو مصر » . وبعد ساعات من هذا التصريح ، كان ايدن يتصل تليفونيا بموليه ويخطر به أنه آت الى باريس في اليوم التالي

وفي غرفة مغلقة ، اجتمع ايدن ولويد وموليه وبينو . وبعد انتهاء الاجتماع طارت الى بن جوريون برقية سرية تقول له « تستطيع أن تثق تماما من موقف بريطانيا »

لقد نشر في الصحف صبيحة هذا الاجتماع ، ان موضوعه كان أزمة الحدود بين الاردن واسرائيل . وهذا غير صحيح . ففي هذا الاجتماع اتخذ قرار خطير : الهجوم على السويس !

ففي هذا الاجتماع ، أخطر الفرنسيون ايدن ولويد عن نية اسرائيل الحاسمة للهجوم . وبعد تردد طويل ، ورفض من جانب لويد ، قبل ايدن الاشتراك في الغزو .

أما حجة الغزو ، وهي ارسال سفينة اسرائيلية الى القناة تقوم مصر بمنعها من المرور ، فقد رفضها الانجليز بتاتا . ثم قبلوا أن تكون ذريعة التدخل هي « حماية القناة من القتال بين مصر واسرائيل »

واتفق الطرفان على ان يتم في هذه الحالة تنفيذ الهجوم طبقا لخطة « موسكتين المعدلة » وقد أشرت اليها أيضا في الأسبوع الماضي

واشترط الانجليز ، ألا يقوم أي تنسيق بينهم وبين اسرائيل ، إنما تنفرد فرنسا في التآمر مع اسرائيل ، وتظل انجلترا بعيدة تماما عن المؤامرة ، إنما تشترك مع فرنسا فقط في القسم الثاني وهو : التدخل في القناة لحمايتها من القتال !



كان هم الانجليز : ألا يتورطوا في اى عمل يقيم الدليل على تأمرهم مع اسرائيل ، خشية ان يعصف هذا بمصالحهم في العالم العربى

ولكن مع تقدم الخطة ، وضرورات التنسيق ، لم يكن هناك مفر من انغماس انجلترا مع اسرائيل في المؤامرة ذاتها ..

صاح وزير فرنسى فى المؤلف « الانجليز لا يعرفون عن اتفاقنا مع اسرائيل ؟ .. كيف ؟ .. اننا لم ننفرد باسرائيل بعد ذلك فى اى اجتماع الا نادرا ! »

قال بول جونسون مؤلف كتاب « حرب السويس » : ان البرقيات الفرنسية الاسرائيلية التى التقطتها المخابرات الامريكية تؤكد علم انجلترا بكل التفاصيل ..

منذ ١٦ اكتوبر ١٩٥٦ ، بدأت اداة الحرب المثلثة تدور بسرعة .. فى مقر القيادة البريطانية ، يعاد النظر فى خطة « موسكتير » لتلائم المنظر الجديد : منظر التدخل « للفصل » بين قوات مصر واسرائيل . اجراءات أمن هائلة . برقيات الشرق الاوسط تنقل من الخارجية وتصبح فى يد السكرتارية الخاصة لرئيس الوزراء بمفرده . دبلوماسيون كثيرون انجليز تنقطع عنهم كل المعلومات عن الشرق الاوسط . خبير فى الوزارة فى الشئون العربية يمنح اجازة طويلة .. عدد آخر من الرسميين تأتيم دعوات مفاجئة للسفر الى الخارج وترك العاصمة البريطانية حتى لا يعرفوا ويعارضوا . سير والتر مونتكتون وزير الدفاع يستقيل يوم ١٨ اكتوبر لانه عارض فى الغزو ، فيحل محله انطونى هيد المتحمس للقتال ..

وفى يوم ١٧ اكتوبر تستلهم اسرائيل سفراءها من

لندن وباريس وموسكو وواشنطن . ويقوم حاجز من  
الكتمان حول سفراء أمريكا وملحقها العسكريين في لندن  
وباريس وتل أبيب . . الملحق العسكري الأمريكي في تل  
أبيب يكتب الى حكومته ملاحظا ان الملحقين الانجليزى  
والفرنسى قد انقطعاً عن رؤيته وبدءا يتشاوران  
ويسافران بمفردهما . بعد ان كان الثلاثة على اتصال  
دائم . . المخابرات الأمريكية في روما تلاحظ زيادة غير  
عادية في البرقيات الشفوية المتبادلة بين باريس وتل  
أبيب . .



من واشنطن ، يصف المؤلف الآخر ، هيرمان فينر  
نفس اللحظة في العاصمة الأمريكية : دالاس غاضب ثائر  
على توقف انجلترا وفرنسا عن تداول معلوماتهما مع  
أمريكا كالعادة . لا تقارير قط تأتي من سفرائه في لندن  
وباريس . . وهو لا ينقطع عن ابداء شكوكه في الامر

وفي نفس الوقت بدأت تحركات كبرى لتركيز القوات  
الفرنسية الانجليزية في قبرص ومالطة : في وضع استعداد  
حاسم أمام بور سعيد . .

ويسأل الضباط الانجليز : ما هو موعد الغزو ؟ فيقول  
لهم الساسة : سنخطركم قبله بأسبوعين !

والواقع ان الموعد ظل يتأرجح زمنا طويلا . كان الموعد  
المفضل هو يوم ٦ او ٧ نوفمبر ، أى يوم انتخابات  
الرئاسة في أمريكا بالضبط . ولكن تحديد الموعد في النهاية  
تم بطريقة درامية مثيرة . .

في احدى الليالى هبطت في مطار اسرائيل الطائرة  
الضخمة «DC 4» التى كان الرئيس ترومان قد

أهداها للجنرال ديغول . ونزل منها الكولونيل مانجان .  
وبعد ساعات كانت الطائرة تعود إلى فرنسا وتهبط في  
مطار « فيلا كوبلاي » الحربي بالقرب من باريس ، وينزل  
منها ثلاثة إسرائيليين ..

وصاح جى مولىه الواقف عند سلم الطائرة : كيف  
لا يعرف الناس بن جوريون بشعره المنكوش الأبيض  
وموشى ديان بالعصابة السوداء على عينيه !

وكان معهما أيضا سيمون بيريز ، وعلى الفور ، توجه  
الجميع إلى بيت قريب منعزل ، تحت كتمان مطلق  
وحراسة مشددة ..

\*\*\*

لماذا جاء بن جوريون إلى باريس في هذا الوقت ،  
وبهذه الطريقة التي دمغت المؤامرة كلها أمام التاريخ ؟ ..  
لماذا وقد أصبح كل شيء معدا للعمل ؟ ..

قال جى مولىه بعد ذلك مرة : « لم يكن ممكنا أن  
أقدم على هذا العمل الخطير دون أن أرى بن جوريون  
وجهها لوجه »

وقال مرة أخرى : « لقد جاء بن جوريون يقول لى  
أن عبد الناصر لديه ١٢٠ طائرة ميج و ٨٠ طائرة اليوشين  
ومعنى هذا أن إسرائيل ستضيع ! لقد أنقذت إسرائيل  
في سنة ١٩٥٦ » !

ولكن ألم ترسل فرنسا طائرات الميستير إلى إسرائيل  
بكميات وفيرة من قبل ؟ ..

الواقع أن بن جوريون قد وجد في اللحظة الأخيرة أن  
هذا كله ليس كافيا ! أن مصر تملك قاذفات قنابل مخيفة

أسرع من الصوت . في دقائق تستطيع ان تكون فوق تل  
أبيب وحيفا وبئر سبيع وتدمرها دون ان يكون لدى  
اسرائيل أى دفاع ضدها ..

وقرر بن جوريون ألا يتحرك قبل أن يضمن « مظلة  
جوية » تحميه . ان انجلترا وفرنسا ستتدخلان حقا بعد  
ان يشتبك هو مع القوات المصرية بقليل ولكن ماذا عن  
الساعات الاولى ، التى ستكون فيها اسرائيل بمفردها  
ضد مصر ؟ . ماذا عن « الصدمة الاولى » للقتال مع  
مصر ، واسرائيل وحدها ؟ ...

ثم .. الانجليز ؟ هل يضمنهم بن جوريون حقا ؟ ..  
أو أنهم يمكن ان يتخلوا عنه في اللحظة الاخيرة ؟ ..

وبسرعة تأكد بن جوريون من جى موليه واطمان :  
ستزوده فرنسا بمظلة جوية وبحزام بحرى

ومع ذلك لم يطمئن . بل طلب طلبا آخر : طلب تدمير  
كل المطارات المصرية فى الساعات الاولى للقتال ..

ولكن فرنسا ليس لديها طائرات من قاذفات القنابل  
البعيدة المدى . لا بد من الحصول على طائرات « كانبيرا »  
الانجليزية . فهل يرضى الانجليز ؟ ..

بعد ساعة ونصف ، وصلت المؤامرة الى قمتها ، فقد  
انطلقت السيارات بالفرنسيين والاسرائيليين الى بيت  
قريب فى منطقة « سيفر » فى ضواحي باريس ، حيث  
التقى الكل بسلوين لويد وعدد من أقرب مساعديه ..

فى اول أكتوبر تم اتفاق فرنسا واسرائيل

فى نصف أكتوبر تم اتفاق فرنسا وانجلترا

الآن ، يتم لقاء الثلاثة معا ، فى مكان واحد ..

أخيرا ، التقى الانجليز ، أساتذة فن المراوغة ، وجهها

لوجه مع بن جوريون ، الامر الذى كانوا لا يريدونه  
قط . .

كان ذلك يوم ٢٣ أكتوبر . وبعد اللقاء مباشرة طار  
سلوين لويد الى انجلترا وترك مساعديه . وبقي  
بن جوريون في فرنسا يومين ، حتى جاء رد لويد الى  
مساعديه . .

لقد تم الاتفاق فعلا على تدمير المطارات المصرية في  
الساعات الاولى حتى تتوفر الحماية لاسرائيل . . وتم  
الاتفاق على صيغة الانذار الفرنسى البريطانى الذى سيوجه  
الى مصر واسرائيل . وعلى موقف الدولتين في الامم  
المتحدة . واتفق أيضا على تقديم موعد الغزو : فروسيا  
مشغولة بحكم أحداث المجر وأمريكا مشغولة بحكم  
انتخابات الرئاسة . وعلى هذا تقرر انتهاز الفرصة وان  
يكون الموعد هو ٢٩ أكتوبر . .

تم الاتفاق من ٣ نسخ . ولا شك ان انجلترا وفرنسا  
قد أحرقتا الآن نسختيهما اللتين تدلان على أغرب مؤامرة  
في التاريخ الحديث

ولكن المؤكد ان بن جوريون يحتفظ بنسخته الثمينة ،  
عليها توقيع سلوين لويد ، في مكتبه !

وفي اليوم التالى عاد بن جوريون الى تل ابيب ،  
وأعلنت اسرائيل التعبئة العامة ، وأخطرت القيادة  
الفرنسية البريطانية بموعد الغزو . وتحركت فعلا عجلة  
الحرب . .

وقفة قصيرة ، قبل استئناف القصة مع المؤلف عند  
هذه اللحظة التاريخية الرهيبة . اللحظة التى تورط  
فيها المتآمرون حتى قمة رعوسهم . .

## يتساءل المؤلف :

— ما هي الأهداف التي يريد الغزاة تحقيقها بهذه الحرب التي يستعدون لها ؟ ما الذي دفعهم الى هذا الموقف البالغ الخطورة ؟

## يجيب المؤلف :

— بالنسبة لاسرائيل الهدف بسيط وواضح :

ضرب قوة الجيش المصرى . وتدمير الاسلحة الروسية المقدسة . والقضاء على مواقع « الفدائيين » الذين يتسللون منها الى اسرائيل ، وقتل القيادة العسكرية المشتركة « المصرية السورية الاردنية » وهى فى المهمل ، تلك القيادة التى كان يجب ان تصبح قائمة ابتداء من يوم ٢٨ اكتوبر الى قبل الغزو بيسوم واحد . كذلك كانت اسرائيل تريد كهدف بعيد المدى : اسقاط حكم عبد الناصر واقامة حكم أكثر اعتدالا . .

ويزعم المؤلف أن اسرائيل ، لهذه الاسباب ، لم تكن مرتاحة الى اشتراك انجلترا وفرنسا معها فى الحرب . فهذا سوف يوسع المسألة . ويسلب اسرائيل ميزة احراز النصر بمفردها . فضلا عن ان هذا يربطها بقضية الدول الاستعمارية . انها كانت تفضل أن تخوض الحرب بمفردها ، وانجلترا وفرنسا تساعدانها عسكريا وسياسيا من وراء ستار فحسب . ومع ذلك ، فهى ازاء المزايا الكبرى التى كانت تعود عليها من الغزو الثلاثى ، مستحيل ان ترفض هذه الشركة . .

وقد بقى أمر الحرب سرا ، إلا بالنسبة لعدد قليل من وزراء حزبى « مايبى » و « احدث افودا » . أما الباقون فلم يعرفوا الا يوم ٢٨ اكتوبر ، أى ليلة الغزو . وزارة

الخارجية باستثناء جولدا ماير لم تكن تعرف . السفير الاسرائيلي في باريس كان يعرف عن أمر التسليح لا غير يروى المؤلف ان بن جوريون عقد اجتماعا لسفراء اسرائيل في انجلترا وفرنسا وأمريكا يوم ١٧ أكتوبر . وفي أثناء المناقشة سألهم بن جوريون عرضا : « وماذا تظنون يكون رد فعل الدول الكبرى لو اضطرت اسرائيل الى مهاجمة مصر ؟ »

ورد السفراء جميعا قائلين ان هذا سوف يكون كارثة ! وسوف تعترض كل الدول الكبرى على موقف اسرائيل وكتب بن جوريون على ورقة أمامه « هل نقول لهم ؟ » وأعطى الورقة لجولدا ماير الجالسة معهم ، فردتها اليه بتعليق يقول « قطعاً لا » . فلم يقل لهم شيئا . . . أما موسى شاريت ، رئيس الوزراء السابق ، فلم يعرف إلا من نهرو ، اذ كان مجتمعاً معه في نيودلهي ساعة جاءت أول أنباء الغزو !

هذا عن اسرائيل ، فلماذا ذهبت فرنسا الى الحرب ؟ . .

يعدد المؤلف الاسباب بترتيب أهميتها كالآتي :  
أولاً - الجزائر . فقد ظن الفرنسيون ان اسقاط عبد الناصر هو الطريقة الوحيدة لاختتام ثورة الجزائر  
ثانياً - ان التأميم كان انتصاراً « عربياً » . .

والعروبة في رأى بعض الفرنسيين هي الخصم الاول لفرنسا في العالم الاسلامي

ثالثاً - شركة قناة السويس ومساهموها الاقوياء والصغار على السواء ، وقد برتهم على الضغط على الحكومة

رابعاً - حاجة فرنسا النفسية الى نصر عسكري بأى شكل بعد هزائمها الطويلة فى ساحات القتال من الهدنة الصينية شرقاً الى المغرب العربى غرباً

ان ايدن فى رأى المؤلف لم يكن متحمساً أول الامر . وحين اندفع فى المغامرة تشققت من حوله الجبهات : فى داخل الوزارة ، كان يؤيده دنكان سسانديز وماكميلان وانطونى هيد ، بينما كان يعارضه ناتنج ، ويعارضه بشدة ريتشارد بتلر « ولى العهد » داخل حزب المحافظين فى ذلك الوقت ، فى حين ظل سلوين لويد متردداً

وفى الجيش البريطانى أيضاً كله ثمة أكثر من رأى . فريق يتزعمه لورد مونتباتن ويعارض الغزو أصلاً . وفريق يتزعمه الجنرال تمبلر يؤيد فكرة الحرب ولكن يعارض فى الذهاب الى الحرب جنباً الى جنب مع اسرائيل . .

فماذا كانت العلاقة بين « الحلفاء الثلاثة » ؟

يقول المؤلف ان التحالف والتفاهم بين فرنسا واسرائيل كان قويا للغاية . أما انجلترا فكانت هى العنصر القلق فى الحلف الثلاثى . كانت تشعر أن بين فرنسا واسرائيل روابط لا تعرفها كلها . وكان هذا يقلقها . وفى نفس الوقت كانت لا تريد أن تدفع ثمن المعرفة ، وهو الاشتراك الكامل ، لأنها ظلت مهتمة بأن تتحاشى أى شئ ينم عن تأمرها مع اسرائيل مقدما خشية رد الفعل لدى العالم العربى

لهذا التقى الساسة الانجليز والاسرائيليون واتفقوا . ولكن العسكريين لم يلتقوا قط . فكان هناك حربان : حرب فرنسية انجليزية فى بور سعيد . وحرب اسرائيلية فى سيناء والانجليز مرتبطون بالاثنتين . . ولكنهم



يحاولون ألا ينم أى شىء عن هذه الرابطة . .  
ثم يقف المؤلف عند نقطة بالغة الاهمية : هل كانت  
أمريكا تعرف أن ثمة هجوما على سبيل اليقين ، وبالتالي  
كان فى امكانها ايقافه ، أم أنها لم تكن تعرف ؟  
يروى المؤلف ان وزيرا فرنسيا قال له :

— ان دالاس كان يعرف بالتأكيد : لقد حرصنا على ان  
نجعل الامريكان يعرفون . . بشرط الا يعرفوا بشكل  
رسمى ، حتى لا تكون لديهم ذريعة رسمية لتعطيل  
الهجوم : لقد كان ألن دالاس ، أخوه ، يعرف بأن هناك  
ترتيبات ضخمة تتخذ للحرب ، هل معقول انه لم يقل  
له ؟ . .

اذن ، هل يكون ايزنهاور هو الذى قلب الامور على  
الحلفاء ؟ . .

ازاء هذه الاسئلة ، أعود مرة أخرى الى الكتاب الاول  
« دالاس والسويس » ، الذى يروى القصة من الجانب  
الآخر للمحيط ، من الولايات المتحدة الامريكية . .

يقول المؤلف « هيرمان فيشر » ، ان أنباء الاستعدادات  
العسكرية المربية كانت تتسرب بالفعل الى أمريكا . .

ففى باريس ، أسر وزير فرنسى بالانباء الى دوجلاس  
ديلون وزير مالية أمريكا حاليا ، وسفيرها فى باريس فى  
ذلك الوقت . .

كما ان اشاعات الحرب ترددت ليلة فى ردهات البرلمان  
الفرنسى ، فأسرع نواب من « أصدقاء » السفارة  
الامريكية الى التليفونات ، يخطرونها بالامر

كما ان بعض ضباط المخابرات الفرنسية عملوا على  
« تسرب » السر الى زملاء لهم فى المخابرات الامريكية . .  
وفى نفس الوقت ، لاحظت المخابرات الامريكية فى ايطاليا

زيادة هائلة في برقيات الشفيرة المتبادلة عبر البحر  
الابيض بين باريس وتل أبيب !

فكيف لم يتصرف دالاس في الوقت المناسب ، لايقاف  
العملية ؟ ..

هناك رأى يقول ان دالاس كان يعتقد ان المحاولة لن  
تم الا بعد ٦ نوفمبر ، أى بعد انتخابات الرئاسة  
الامريكية . وبالتالي فمن مصلحة الحكومة الامريكية ان  
يبدو كل شيء هادئا سلميا حتى يوم الانتخابات ، خشية  
التورط في مشاكل عاتية قبلها ، بما قد يتركه هذا من  
اثر على نتيجتها ...

ولكن دالاس ، ابتداء من يوم ١٦ أكتوبر ، بدأ الفأر  
يلعب في عيبه . فقد انقطعت فجأة التقارير السرية  
الانجليزية والفرنسية المعتادة . وأحس السفراء الامريكان  
انهم في ظلام دامس وان المسئولين في باريس ولندن وتل  
أبيب يتهربون منهم ..

ثم توالى الاحداث بسرعة مذهلة ..

ففى يوم ١٩ أكتوبر جاءت أخبار أزمة بولندا مع  
روسيا . وجاءت تقارير تشير الى بوادر اضطرابات فى  
المعسكر الشرقى

هذا هو اليوم الذى كان دالاس يحلم به ، ويعمل له ،  
ويتنبأ به ! انه هو صاحب الرأى القائل : ان المعسكر  
الشرقى سينهار من الداخل ، وها هى نبوءته توشك ان  
تتحقق ..

ثم جاءت انباء ضبط الاسطول الفرنسى لباخرة يونانية  
اسمها « آثوس » كانت تنقل أسلحة مصرية الى ثوار  
الجزائر ! وباسم مراقبة شواطئ مصر ، ابصر الاسطول  
الفرنسى الى شرق البحر الابيض ، والواقع انه اتخذ الامر

ذريعة لكي ينفذ احد شروط الحرب المقبلة : حماية شواطئ اسرائيل !

وفي يوم ٢٢ أكتوبر ، نجحت فرنسا في خطف أحمد بن بيللا ورفاقه من قادة الثورة الجزائرية ، في حادث الطائرة الشهير ، وطار الفرنسيون فرحا : انه فال حسن لحربهم المقبلة في مصر ..

وبينما كان الفرنسيون ينقلون بن بيللا الى السجن ، يوم ٢٣ ، كان بن جوريون يصل الى باريس سرا ، في رحلته التي سبقت الإشارة إليها ، ليلتقى بموليه وسلوين لويدي ويوقع اتفاقية « سيفر » السرية

وفي ٢٣ انفجرت الاضطرابات في المجر ! ونشب القتال المسلح في بودابست نفسها !

هذا أسعد يوم حقا في حياة جون فوستر دالاس ! ان وزارة الخارجية كما يقول المؤلف تفيض بالغبطة والحبور ! يا لها من أيام مثيرة !

واغتبط أيضا المتآمرون .. فهذه الاحداث سوف تشل يد روسيا كما أن الانتخابات تشل يد أمريكا ! لم يكن ممكنا ان تشن حرب ضد مصر وعبد الناصر في ظروف أحسن من هذه !

وبقدر ما اغتبطت لندن وباريس ، اكفهر الجو في وزارة الخارجية الأمريكية !

فقد جاءت رسالة من السفير الأمريكي في اسرائيل تقول ان التعبئة العامة قد أعلنت سرا هناك ! هذا آخر علامة كانت منتظرة !

واستدعى دالاس سفير اسرائيل ابا ايان وسأله عن الامر فقال له هذا : لابد أنها عملية دفاعية !

واستدعى الدريتش السفير الانجليزى وسأله عن  
التعبئة العامة الاسرائيلية ، فقال له انه لا يعلم . وكل  
ما يعرفه ان حكومته حذرت اسرائيل من أى عمل ضد  
الاردن . فسأله دالاس : ومصر ؟ . فقال السفير .  
لا أعرف عنها شيئاً !

وأرسل ايزنهاور رسائل سريعة الى بن جوريون  
يحذره من أى عمل مسلح . .

ولكن بعد مضي ساعات ، من آخر رسالة كتبها  
ايزنهاور ، عبرت قوات اسرائيل حدود سيناء

\*\*\*

لقد بدأت الحرب !

فماذا نفذ من تفاصيل الاتفاق السرى . . وماذا لم  
ينفذ ؟

يقول « ميشيل بار زرهار » مؤلف كتاب « السويس :  
سرى جدا » ان التفاصيل التى اتفق عليها فى باريس  
ولندن وسيفر للهجوم على مصر ، تم تنفيذها حرفيا ، بما  
فى ذلك الانذار الذى وجه من إنجلترا وفرنسا يوم ٣٠  
اكتوبر الى مصر وإلى اسرائيل ! ذلك الانذار الذى اشترك  
فى كتابته : جى موليه وسلوين لويد . . وبن جوريون !

وكما سبق : كان فى مقدمة هذه التفاصيل : حماية  
اسرائيل حماية مطلقة من بطش القوات المسلحة المصرية !

فقبل بدء الهجوم الاسرائيلى على مصر بأيام ، وصلت  
الى المطارات المجاورة لتل ابيب قوة من طائرات الميستير  
وطائرات سابر ف - ٨٦ ، الفرنسية . . بطياريهها

الفرنسيين وجنودها ٠٠ بل وبعدد كبير من الميكانيكيين ،  
وكمية هائلة من قطع الغيار ٠٠٠

جزء من هذه القوة لم يشترك في الهجوم على مصر ،  
إنما كانت مهمته فقط حماية مدن إسرائيل من الطائرات  
المصرية : وفي كل مرة أطلقت فيها صفارات الإنذار ، كانت  
هذه الطائرات تسرع محلقة في الجو ٠٠

فلما دخلت إنجلترا وفرنسا الحرب رسميا بعد الإنذار  
المزيف ، والتسع نطاق هجمات الطيران البريطاني على  
المطارات المصرية ، استطاعت هذه القوة الفرنسية أن  
تتحرر من مجرد الدفاع عن المدن الإسرائيلية ، وتشترك  
اشتراكا إيجابيا الى جانب قوات إسرائيل ضد الجيش  
المصري في سيناء

وكانت مهمة الطيران الفرنسي الأساسية ضرب خطوط  
الإمداد المصرية الى سيناء

\*\*\*

وفجأة ، تلقى الطيران الفرنسي في إسرائيل برقية عاجلة  
من القيادة الفرنسية في قبرص تقول « اضربوا الأقصر ! »  
فقد علم الغزاة أن المدينة التاريخية فيها ممرات جوية  
حديثة للطائرات الأسرع من الصوت ، وأن الطائرات  
« اليوشين ٢٨ » المصرية رابضة هناك

وصرخت إسرائيل تطلب تدمير مطار الأقصر ووقعت  
مشادة عنيفة بين إنجلترا وفرنسا ٠٠ لماذا ؟  
السبب هو أنه كان قد تم قبل العدوان تقسيم دقيق  
لاختصاص كل دولة في المناطق التي تضربها بقنابلها ،  
فلما طلبت فرنسا السماح لها بضرب الأقصر ، اعترضت

انجلترا ، وأخيرا ، سمحت انجلترا للطيران الفرنسى بأن  
يخترق « مجال اختصاصها لمدة يوم واحد ، يقوم خلالها  
بضرب الإقصر !

ولم يكن هذا هو كل ماتلقته اسرائيل من عـون من  
الطيران الفرنسى فى حربها ضد مصر ، فقبل القتال وبعده  
كانت طائرات النقل الفرنسية تقيم جسرا جويا لنقل  
الاسلحة الى اسرائيل . . كذلك فإن الطائرات التى انزلت  
فرق الباراشوت الاسرائيلية فى قلب سيناء كانت طائرات  
فرنسية . ثم جاءت طائرات فرنسية اخرى من قبرص  
رأسا لتسقط لهم معداتهم فى وسط سيناء

هكذا كانت القوات الاسرائيلية تقاتل فى سيناء  
والامدادات الفرنسية تهبط عليها من السماء بما فى ذلك  
الماء والبتروول وقطع الغيار والسيارات الجيب المصفحة .  
وقد رأى راندولف تشرشل ، الذى طار الى اسرائيل  
بمجرد بدء القتال ، بنات تل ابيب يرفهن علنا عن ضباط  
الطيران الفرنسيين الذين يشتركون فى القتال . . كما  
يقول المؤلف . .

وبنفس الطريقة ، يصف الكتاب كيف ان السفن  
الحربية الفرنسية الثلاث « كيرسانت » و « بوثيه »  
و « سيركوف » تصدت للمدمرة المصرية ابراهيم الاول  
وضربت امام شاطئ اسرائيل . .

كما ان السفينة الحربية « كيرسانت » مع سفينة اخرى  
حربية فرنسية اسمها « جورج ليجى » قامت بضرب رفع  
وشاطئ سيناء من البحر لتمهيد الطريق امام الهجوم  
الاسرائيلى . وكان هذا يتم ليلا ، حتى لا يعرف احد اى  
سفن تقوم بالضرب

وتفاصيل هذه القصص غريبة . . .

ففى يوم ٢٩ اكتوبر ، عصرا ، اتصل الكولونيل «نيسرى»  
الملحق العسكرى الاسرائيلى فى باريس بالاميرال الفرنسى  
بارجو قائد الاسطول الفرنسى الرابض فى شرق البحر  
الابيض ، وطلب منه ضرب رفح والعريش

وكان هناك فى ذلك الوقت اسطولان فرنسيان متصلان  
فى المنطقة : اسطول مرابط باسرائيل رأسا ، ومهمته حمايتها  
من البحرية المصرية ، ومساعدة حملتها ضد مصر . .  
واسطول مرتبط بالانجليز ويكون جزءا من القوة التى  
تستعد للنزول فى بور سعيد بالاشتراك مع القوات  
الانجليزية . .

ورد الاميرال بارجو قائلا ان سفن الاسطول الاول ليس  
لديها الا مدافع ١٣٧ هلميترا وهى لا تكفى لضرب رفح  
والعريش ، فلا بد من ضم البارجة « جورج ليجى » المزودة  
بمدافع عيار ١٥٢ ملميترا حتى يتسنى القيام بالضرب  
ولكن البارجة « جورج ليجى » كانت جزءا من القوة  
التي تستعد لغزو بورسعيد مع الانجليز يوم ٦ نوفمبر !  
لهذا كان لابد من استئذان الجنرال كيتلى الانجليزى ،  
القائد العام للقوات الفرنسية الانجليزية التى ستغزو مصر  
ورد كيتلى قائلا : « لا مانع . بشرط الا اعرف هذا رسميا  
فكانكم لم تطلبوا منى شيئا ، وكأننى لم أسمح لكم بشيء ! »  
ومن اطراف اللحظات التى مرت بها المؤامرة ، ما حدث  
يوم ٤ نوفمبر

ففى ذلك اليوم ، لم تكن القوات الفرنسية والانجليزية  
قد بدأت بعد فى النزول فى بورسعيد ، ويومها اراد اباييان

ان يوهام الامم المتحدة ان اسرائيل قد قضت على المقاومة  
المصرية فقلنا : لقد توقف القتال فعلا في سيناء !

وذعرت لندن وباريس !

انهما ستغزوا ان مصر بحجة وجود القتال ! فماذا يريد  
ابا ايوان ؟ هل غدرت اسرائيل بهما ، وتلقت مساعدتهما  
حتى تحتل سيناء ، ثم تقول ان القتال قد انتهى ؟ ..  
وكيف تدخل الدولتان الان ؟

واهتزت اسلاك التليفون بين لندن وباريس تبحث عن  
بن جوريون شخصيا وتساءله تفسر هذا الموضوع ..  
حتى هدا بن جوريون من روعهم وقال انه لم يقصد بذلك  
الى قبول قرار وقف اطلاق النار وبالتالي ايقاف الغزو  
فالفزوا اذن يستطيع ان يستمر .

\*\*\*\*

يعتقد المؤلف ان من اكبر اخطاء الغزو تردد الانجليز ،  
وعدم جراتهم في « التآمر » مع اسرائيل بنفس الصراحة  
التي تأمر بها جى موليه معهم

كان الانجليز يستعدون للقتال وفرائصهم ترتعد من  
احتمال واحد : ان ينكشف تأمرهم المسبق مع اسرائيل !

ولكن المعركة كانت تقتضى مزيدا من التعاون وجهها لوجه  
بين العسكريين الانجليز والاسرائيليين ، اذ لم يكن وقت  
المعركة يسمح بتوسط الفرنسيين بين الاثنين في كل عملية  
حتى يظل الانجليز يزعمون انهم غير مشتركين مع اسرائيل !!

ومن اخطر اللحظات التي ترتبت على هذا الجو ، قصة  
غريبة يرويها المؤلف ...



فقد كان المفروض ان يبدأ انزال قوات فرنسا وانجلترا في بورسعيد يوم ٦ نوفمبر ، ولكن ازاء تفاقم الجو الدولي لخطر لفرنسا واسرائيل اتفقد موعيد الغزو الانجليزى الفرنسى من ٦ الى ٣ نوفمبر ، كسبا للوقت . . كما اقترحوا أن يتم الغزو بانزال قوات براشوت على طول القناة في نفس الوقت ، لا في بورسعيد وحدها ، ثم التقدم الى الداخل كما تقضى الخطة الاصلية : لان هذا اصبح للخطيطا بطيئا جدا ازاء سرعة الاحداث وتطورات المعركة

وسأل الانجليز ، ولكن من الذى يمون هذه القوات ، التى ستنزل دفعة واحدة على طول القناة ؟

وكان الرد : اسرائيل . . من سيناء

وعرض الامر على القيادة البريطانية العليا في لندن كان معنى هذا انكشاف التآمر علنا وبقي عز المعركة . . . وانقسم الانجليز . .

ولكن ضابطا معيننا في القيادة ، رأى ان هذا معناه الذهاب بعيدا في المغامرة ، والتورط في عمل جديد سوف يجعل انكشاف التآمر محققا . . هذا الضابط هو اللورد مونتباتن

انه ليس ضابطا عاديا . . انه قائد عام الاسطول ، وقريب الملكة ، وحاكم الهند السابق ، واكبر اسسم عسكرى في القيادة البريطانية

ولم يضيع مونتباتن لحظة واحدة ، فقد خرج من القيادة العامة رأسا الى القصر الملكى حيث طلب أن يقابل الملكة فورا

وفي لهجة دراماتيكية احاط الملكة بالامر : وقال لها ان  
انجلترا على وشك ان تكشف اوراقها في اخطر مقامرة  
اقدمت عليها ، وان نتيجة انكشاف المؤامرة مع اسرائيل  
هي : انهيار كل مصالح انجلترا في الشرق العربي بضربة  
واحدة

وازاء هذا التحذير ، اتصلت الملكة اليزابيث تليفونيا  
بأنطوني ايدن وطلبت منه الحضور فورا الى القصر . .  
وعندما وصل ايدن الى القصر ، قالت له الملكة : انها  
قد أحيطت علما بكل ما يدور وخصوصا بالخطوة  
الجديدة التي توشك الحكومة أن تقدم عليها . ونظرا  
لخطورة هذه الخطوة الجديدة على مصالح الدولة ، فهي  
تطلب من انطوني ايدن أن يستشير مقدما زعيم المعارضة،  
هيو جيتسكيل !

وأدرك ايدن أن هذا الكلام معناه مطالبتة بالتراجع عن  
المغامرة الجديدة داخل المغامرة الجارية بالفعل ! ذلك أن  
جيتسكيل كان على رأس حزب العمال يعارض العملية  
كلها علنا ويشن عليها حربا شعواء . . .

هكذا طلب ايدن العبدول عن الفكرة الفرنسية  
الاسرائيلية ، والالتزام بالخطة القديمة : خطة الغزو يوم  
٦ نوفمبر ، في بور سعيد ، حتى لا ينكشف تأمر انجلترا  
مع اسرائيل !!

الى هذا الحد كان حرص انجلترا على أن يبقى تأمرها  
المسبق مع اسرائيل سرا لا ينكشف ! الى هذا الحد  
كانت تعتقد أنه من السهل خداع العالم !

ان تقديم قصة الحرب ذاتها ليست مهمة بقدر أهمية قصة الترتيبات التى سبقت الحرب : فهذه المؤامرات والترتيبات هى التى تكشف أعماق المصالح الاستعمارية، وإبعاد التآمر السياسى ، تكشف الكراهية الاستعمارية العميقة لظهور أى قوة مستقلة فى المنطقة العربية.

قصة عمرها مئات السنين ، ولكنها تتبدى فى حجمها الحقيقى من خلال قصة الشهور التى سبقت بدء العدوان المشترك على مصر ، بهدف واحد هو ضرب الثورة فى مصر . . . وبأمل واحد هو أن يؤدى ضرب الثورة فى مصر الى انهيار كل الحركات الثورية التحررية فى كل أنحاء العالم العربى . . .



قال ميشيل بارژوهار ، المؤلف الإسرائيلى ، فى ختام الكتاب :

« لقد ولد الغزو ميتا ! أما الانتصار الحقيقى فقد كان انتصار عبد الناصر ، الذى خرج من المعركة وهو بطل العالم الثالث ، أى عالم اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ان كل عملية السويس ، التى أرادت أن تقضى عليه ، قد كلته فى النهاية بأكاليل الغار ! »



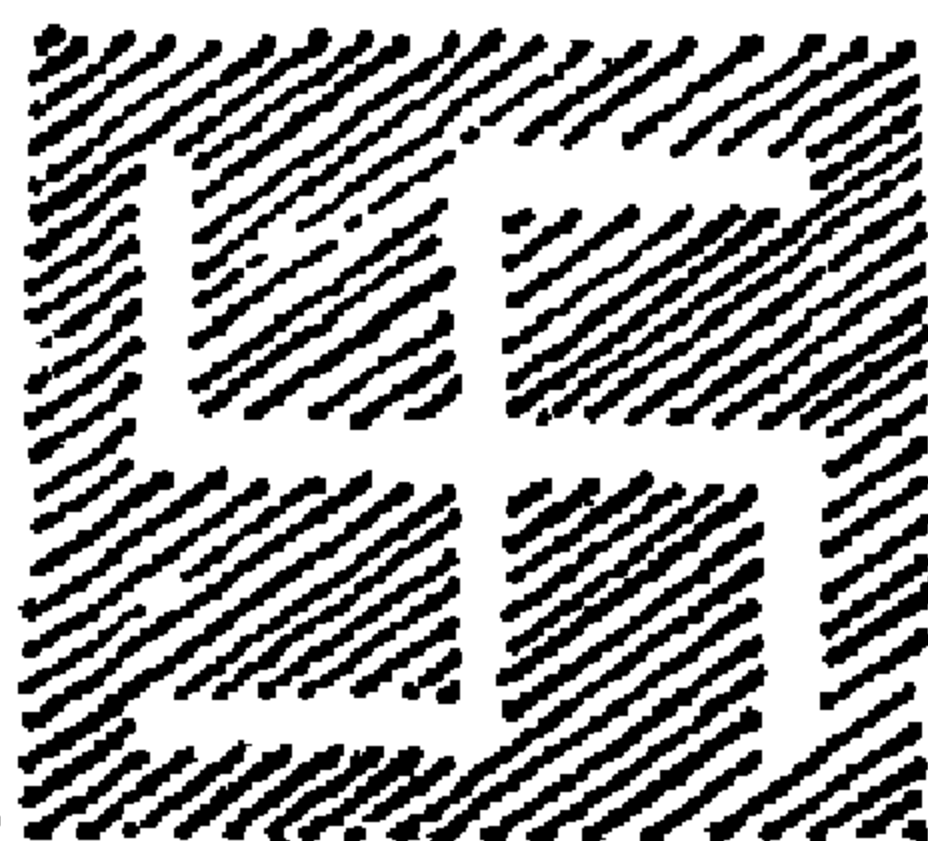
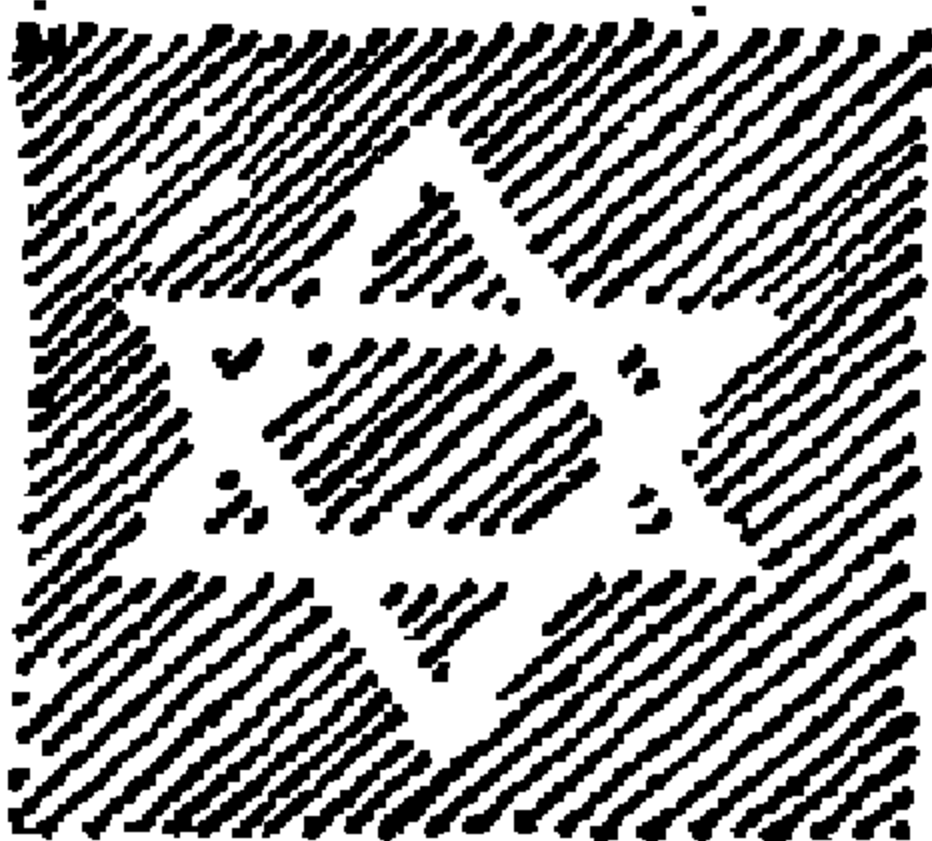
## الفصل الثامن

### الصهيونية.. والنازية

إن أشد الذين يزعمون أنهم شعب  
مختار لهم اليهود

إن الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيها  
أشوأ ما في الحضارة الغربية

أرنولد توينبي



« أن أشهر الذين يزعمون أنهم شعب مختار هم اليهود . فالحركات الصهيونية النازية سواء في ادعاء هذه الصفة العنصرية غير الصحيحة »  
« ان الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبها أسوأ ما في الحضارة الغربية: القومية العمياء، والاستعمار ! فان استيلاء الحركة الصهيونية على بيسوت وأراضى وأملاك ٩٠٠ ألف عربى في فلسطين ، هم الآن لاجئون ، ليس أرقى من الناحية الاخلاقية من أبشع الجرائم التى ارتكبت خلال الخمسة قرون الاخيرة بواسطة الغزاة والمستعمرين . وهذا هو حكمى الاخير على تاريخ الصهيونية في فلسطين .. »

« ان اليهود من بين كل شعوب العالم ، لهم أطول تاريخ في التعرض للاضطهاد . وقيام اليهود بتحميل طرف ثالث مسئولية الاضطهاد الذى الاقوه على يد الغرب يشكك المرء في الطبيعة الانسانية كلها »  
ارنولد توينبى



قبض البوليس فى نيويورك مرة على شاب يرسم شارة الصليب المعقوف واذا به طالب يهودى ! وقد كشف هذا عن رغبة الصهيونية في ايهام العالم بأن بذور النازية مازالت باقية تهدد اليهود .. لكى تستفيد من ذلك !  
ان كراهية اليهود ، فى العالم المسيحى قديمة . فى حين لم تكن هناك كراهية قديمة بين اليهود والمسلمين ، ولا بين اليهود والعرب

وسبب كراهية العالم المسيحى الغربى لليهود ..

يرجع الى الدين • فاليهود هم الذين قاوموا المسيح واضطهدوه وتآمروا عليه • وفي التاريخ المسيحي أن اليهود هم الذين قتلوه وصلبوه ! وهذه قصة يقرأها كل تلميذ مسيحي في كل مكان من العالم ، خصوصا اذا كان كاثوليكيا وتستطيع ان تحس هذا بوضوح في روما بلد البابا • • وعاصمة الكاثوليكية ! وتستطيع ان تحسه بوضوح أكثر اذا علمت بالجهود الجبارة التي تبذلها اسرائيل لكي تجعل الفاتيكان يعترف بها !

والمؤرخ اليهودي الفرنسي « جول ايزاك » يقول : انه من المؤلف اذا طلب طفل يهودي في المدرسة من طفل مسيحي ان يلعب معه « ان يرد عليه الطفل المسيحي قائلا : كلا • لانكم قتلتم المسيح !

وقد روى لي شاب ايطالي أنه كان يسكن وهو طفل مع أهله في عمارة كبيرة في روما • • وفي الدور الاول من العمارة كانت تسكن أسرة يهودية • • فكان أهله يقولون له : « اياك أن تعرف سكان الدور الاول اليهود أو تدخل شقتهم • • والا خطفوك وذبحوك كما فعلوا بالمسيح ! » وانه عاش سنوات يسرع في صعود السلم عندما يعبر الدور الذي تسكنه الاسرة اليهودية !

وبصرف النظر عن الاسباب التاريخية أو الاجتماعية • فمن المؤكد ان اليهود ، على مر الزمن ، أصبحوا مجتمعا مغلقا على نفسه يقف موقف العزلة ، وحيانا العداء ، مع شعور بالتفوق ، ازاء سائر اجناس الارض وشعوبها • • وهذه النزعة العنصرية ، تبلورت في شكل سياسي عنصري سافر بظهور الحركة الصهيونية • • ان الحركة الصهيونية لا تؤمن بأن الناس كلهم سواء •

وبأن كل انسان ينتمى الى الشعب الذى ولد فيه ويعيش فيه . انما تؤمن بأن هناك صفات خاصة تجمع بين اليهود كعنصر واحد من دم واحد وعرق واحد وأصل واحد وان الرابطة بين اليهود أسمى من رابطة الوطن أو أى رابطة أخرى . . . ولذلك فهى تدعو الى اقامة وطن قومى يكون سكانه يهودا وشعبه يهودا وجنسيته اسرائيلية ! . . . ومعنى هذا أيضا أن اليهودى فى المانيا أو فرنسا أو امريكا يجب أن يشعر أن ولاءه الاول لدولة اسرائيل وليس لالمانيا أو فرنسا أو امريكا !

ولا يجب أن ننسى ان الحركة الصهيونية ولدت فى أوروبا ولم تولد فى البلاد العربية . انها وجدت فى أوروبا بالولادة . . . ولكنها وجدت فى الوطن العربى بالغزو الخارجى والهجرة . والسبب هو أن كراهية اليهود لم تكن موجودة بين العرب ، فلم تنجم عندنا حركة صهيونية متعصبة ، كما نجمت فى أوروبا . . . ولكنها جاءت بالهجرة والغزو مع اليهود الذين عاشوا فى أوروبا وتربت عندهم عقدة العداة والكراهية والتعصب العنصرى هناك . . . وبن جوريون وموشى ديان وكل أقطاب اسرائيل ليسوا من أبناء فلسطين ولكنهم مهاجرون من روسيا وبولندا والمانيا وغيرها ! انما ولدت كراهية الصهيونية عندنا من حضورها الى بلادنا واغتصابها فلسطين لاقامتها وطننا عنصريا على أشلاء شعب عربى ! . . .

ومن الاشياء الطبيعية والمنطقية ان ظهور حركة عنصرية لابد ان يودى الى اصطدامها بحركات عنصرية أخرى . فاذا كان هناك شعب يزعم أنه أرقى الشعوب وأنقاها . . . فمن البديهي أن يصطدم مع أى شعب آخر يقول أنه أرقى الشعوب وأنقاها !



ومن هنا . . كان اصطدام الصهيونية بالحركة العنصرية  
الالمانية ، أى النازية أمرا طبيعيا بل وحتميا ! . .

أن النازية كانت تقوم على أساس ان الالمان عنصر  
ممتاز خلق لكى يسود ويقود سائر الشعوب والاجناس  
والالمانى بناء على هذه الفكرة يجب أن يكون من سلالة  
ألمانية ظاهرة لم تلوث بأى عنصر آخر . ولذلك كان  
على عضو فرق الشباب الهتلرى مثلا . . اذا أراد أن يتزوج  
أن يحصل على موافقة الحزب على زواجه . وكان الحزب  
يتحرى عن الزوجة ويتعقب أجدادها وسلالتها لكى يتأكد  
من انها سلالة المانية سليمة قبل ان يوافق على أن تتزوج  
أحد أعضاء فرق الشباب الهتلرى !

واليوم . . نرى إسرائيل تقرر أن الاسرائيلى يجب أن  
تكون أمه اسرائيلية . . وأم أمه اسرائيلية . . لكى يثبت  
أن دمه يهودى خالص !

نشرت جريدة النيويورك تايمز الامريكية ، المشهورة  
بعطفها القوى اسرائيل ، رسالة لمراسلها فى اسرائيل ،  
فى عدد ١٩ يناير ١٩٦٥ تقول :

« تحت المظهر اللامع لهذه الدولة » تختفى معتقدات  
شديدة التعصب

« وقد تجلت هذه الحقيقة اخيرا فى قضية السيدة «رينا  
عيتانى » التى تقطن فى الناصرية . فبعد ان عاشت هذه  
السيدة كل حياتها على أنها يهودية ، فوجئت بهم هنا  
يقولون لها انها ليست كذلك . .

« لقد كان ابوها يهوديا . وشبت فى المانيا كيهودية  
وقد اضطهدوا النازيون لانها يهودية . واعتقلها الانجليز

فى قبرص لانها يهودية • وجاءت الى اسرائيل كيهودية ،  
فمن الذين تسالموا اليها بالهجرة غير الشرعية • وعاشت  
رينا فى احد المعسكرات اليهودية ، وساهمت فى بناء  
اسرائيل بيديها ••

« وتزوجت رينا يهوديا فى اسرائيل ، وعاشت تمارس  
الشعائر اليهودية • ولكن فجأة ، منذ بضعة اسابيع ،  
اعلنت وزارة الداخلية - بناء على بلاغ سرى قدم لها -  
ان هذه السيدة ليست يهودية ، لان الوزارة علمت ان  
امها لم تكن يهودية

» والقوانين اليهودية تعتبر السلالة من ناحية الام هى  
السلالة التى يعتمد بها فى نقاء الدم اليهودى • وهكذا  
وجدت رينا ان القانون يعتبرها « غير نظيفة » طبقا  
لنصوص العهد القديم ••

وقد فجرت هذه القضية مناقشة حادة اختلفت فيها  
الآراء حول تعريف : من هو اليهودى

يقول المراسل « لا احد يسأل هذا السؤال اكثر من  
يهود اسرائيل نفسها •• ولا توجد بعد اجابة ترد على كل  
جوانب هذا السؤال بما فيها الاجابة العامة التى تقول :  
ان اليهودى هو الذى يقبل اعتراف اليهودى ويعيش طبقا  
له • فهم يعتقدون ان انواع التراث قد اختلفت بحيث  
اصبح التراث لا يكفى لهذه التفرقة

وتمتد مظاهر التعصب هذه الى ابسط الاشياء • فاذا  
كان هناك زوجان يهوديان يسكنان غرفة واحدة فى فندق  
فلا يستطيعا أن يطلب احدهما « ساندوتش » دجاج والآخر  
ساندوتش جبن فى نفس الوقت « لانه يجوز وضع اللحوم  
والألبان فى مطبخ واحد !

هذه هي الصهيونية .. وهذه هي النازية !  
دعوتان تقومان على نفس الاساس .. ولذلك فهما  
تتصارعان وتتبادلان أبشع العداء !

والتاريخ يقول : ان الصهيونية ظهرت قبل ظهور  
النازية ! واذا كان النازيون قد ذبحوا يهود وليس  
اليهود هم الذين ذبحوا النازيين .. فهذا لا يرجع الى أن  
الصهيونيين طيبون والنازيين رديئون .. ولكن يرجع الى  
ان النازيين الألمان كانوا أقوى وأكثر من اليهود . ولو  
تصورنا ان وضع القوة كان عكسيا لقام الصهيونيون  
بنفس المذابح ضد النازيين

هل هذا دفاع عن النازية ؟

كلا بالطبع . فالنازية صفحة سوداء في تاريخ الفكر  
العالمى والحضارات العالمية . ولكن الصهيونية أيضا  
صفحة سوداء . وكل منهما تستند الى نفس المنطق  
والفلسفة العنصرية المقيته التى يجب محوها من الارض .  
وهذه نقطة هامة جدا ، علينا أن نوضحها لانفسنا  
وللعالم جيدا .. حتى لا تحاول اسرائيل الاستفادة من  
سخط العالم على النازية وعدائه لها ! وحتى لا تبدو  
أمام العالم كأنها نقيض النازية وعكسها .. والواقع أنها  
تقاتلها لأنها شبيهتها ومنافستها !!

وليس معنى هذا أن النازية ظهرت نتيجة لظهور  
الصهيونية والتعصب اليهودى العنصرى . ولكن النازية  
عندما وجدت وظهرت .. كان طبيعيا أن تصطدم باليهود  
.. للأسباب التى سلف ذكرها ..

ولكن ظهور النازية يرجع الى أسباب كثيرة ، بعضها  
خاص بألمانيا نفسها ، وبعضها الآخر خاص بتطورات  
المجتمع العالمى بوجه عام ..

فالامان - باستثناء روسيا التي ظلت أوروبا تعتبرها دولة أسيوية الى عهد قريب - وجدوا أنهم أكبر شعب فى القارة الاوروبية كلها . . وهو شعب غنى نشيط منتج قوى مبال للانتظام . . ومع ذلك فقد تأخرت نهضة ألمانيا السياسية زمنا طويلا ، بحكم تمزقها الى ولايات كثيرة ، وبحكم تحالف سائر دول أوروبا على منع وحدة ألمانيا خوفا منها . فبريطانيا والنمسا وفرنسا وروسيا تحالفت طويلا لمنع وحدة الدويلات الألمانية فى دولة واحدة . وكل هذا من شأنه أن يخلق حركة قوموية متعصبة كرد فعل ، وقد حثقت ألمانيا وحدتها فعلا بالحرب على يد « بسمارك » . حاربت امبراطورية النمسا ثم امبراطورية فرنسا قبل أن تحقق وحدتها كشعب ، فظلت هذه الروح كامنة فى نفوس كل هذه الاطراف زمنا طويلا

يضاف الى ذلك أن الثورة الصناعية عندما اكتملت فى ألمانيا وأصبحت قوة هائلة . . وجدت أن بلادا أخرى قد سبقتها فى مجال التطور الطبيعى للرأسمالية فى ذلك العصر ، وهو الاستعمار . . فبينما كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا وهولندا وبلجيكا تمرح فى مستعمرات شاسعة ، كانت ألمانيا محرومة الا من القليل ، فلهذا تفاقم العداء بينها وبين هذه الدول وانفجر هذا العداء فى الحرب العالمية الاولى

والاذلال الذى أنزله الحلفاء بألمانيا بعد الحرب الاولى ، هو الذى أعطى شهادة الميلاد لحركة عنصرية أقوى وأعتى ، اذ ظهر هتلر على مسرح السياسة الألمانية برسالة أساسية هى استعادة الاراضى المفقودة من ألمانيا . . ثم ما تلى ذلك من نشر دعوة التفوق الالمانى ونقاء

العنصر الالمانى والدكتاتورية السوداء التى ذبحت من  
الالمان أنفسهم مثلما ذبحت من سائر بلاد أوروبا !  
لقد قال المؤرخون عن « بسمارك » الذى حقق وحدة  
ألمانيا : انه جعل ألمانيا كبيرة .. والالمان صغاراً !  
وبنفس المنطق يمكن أن نقول عن هتلر والنازية :  
انه جعل ألمانيا مخيفة .. ولكنه جعل الالمان  
خائفين !!

وقد اندثر هتلر ..

فما الذى بعث النازية اليوم ؟ ..  
كنت فى فرانكفورت يوماً فلاحظت أن المكتبات وأكشاك  
الصحف مليئة بالكتب التى تهاجم النازية واليهودية وتصور  
فظائعها وجرائمها ! لا توجد واجهة مكتبة أو كشك  
صحف تخلو واجهته من كتاب عليه رسم جماجم وخرائب  
ونيران وفوقها عنوان عن النازية أو اليهودية !  
ومع ذلك فالمراقبون الاجانب يقولون ان النازية تبعث  
فى ألمانيا الغربية اليوم ..

ان ألمانيا الغربية تنتشر فيها جمعيات ومنظمات  
للشباب وللطلبة .. منظمات تظهر عليها بوادر النازية ..  
فأعضاؤها يلبسون الاحذية الطويلة وقمصانا عسكرية  
وأحياناً خناجر كخناجر الكشافة ! والالمانى يقبل بطبيعته  
على من ينظمه فى طوابير واستعراضات وفرق ترفع الرايات  
وتلبس الخوذات وبعض هذه الجمعيات تنظم مواكب  
بالمشاعل على الطريقة النازية ! وفى حانات البيرة ظهر من  
يسكر فيصيح : عاش هتلر ! ولو حكم عليه بالحبس  
سنة ! ..

وبعض هذه المنظمات يحمل أسماء قادة الحرب الاخيرة  
من الجانب الالمانى مثل « جودريان » و « دونيتز » ..

ومنذ بضعة شهور فوجيء الناس برجال وشباب يملأون بعض الحانات يغنون ويشربون ويتبادلون التحية .. ثم ظهر أن اليوم هو ٢٠ ابريل .. عيد ميلاد هتلر !! ..

وبعض زعماء هذه المنظمات بدأوا يصبحون في مصاف الزعماء البارزين الذين لهم أتباع وعابدون ! كل واحد يرشح نفسه لان يكون هتلر آخر .. ولان يكون نجما عالميا خلال سنوات قليلة .. مثل : جنتر هيسلر .. والفريد زيتزمان .. وبيتر برناو وكل منهم كان من أعضاء فرق العاصفة الهتلرية القديمة ! ..

وفي نفس الوقت تقول التقارير الالمانية أن بين كل عشرة مدرسين يوجد ثلاثة على الاقل يؤمنون بالنازية لانهم من تلاميذها القدامى .. ودروسهم للصبيان والشبان مشحونة بالدعاية الظاهرة والخفية للنازية وهتلر .. فكيف يعتنق عدد كبير من شباب ألمانيا مثل هؤلاء الفكرة النازية العنصرية المتعفنة ، رغم الدعاية المركزة ضدها ؟

ربما بسبب هذه الدعاية المركزة ذاتها ! ..

فبعد الحرب الاخيرة ، وقف كل الحلفاء من الشعب الالماني موقف الاساتذة الذين يريدون تأديب الشعب الالماني وتهذيبه . وكان هناك اتجاهان : اتجاه يحاول تصوير المأساة كلها لالمانيا على أنها جريمة حزب معين وزعيم معين هو الذي جر شعب ألمانيا الى هذا الموقف .. واتجاه آخر يحاول أن يجعل الجريمة جريمة الشعب الالماني كله

ولا يوجد شعب على وجه الارض يمكن أن يقبل فكرة دمغه - كشعب - بالاجرام ، ولو فترة قصيرة جدا من حياته ! .. وهذا الاسلوب لا يؤدي الا الى الاستفزاز ،

واستشارة كوامن الكبرياء خصوصا فى شعب متقدم  
ممتاز فخور كالشعب الالماني . . لا يمكن أن يقبل طويلا  
أن يقف بين الآخرين موقف المذنب الخاطيء الذى يجب أن  
يؤكد توبته كل يوم !

وفى هذه الاسابيع بالذات ، نجد أن صحافة بريطانيا  
عادت تتجه هذا الاتجاه ، أى اتجاه ادانة الشعب الالماني  
كله ، لان بريطانيا مختلفة مع ألمانيا اختلافا شديدا فى  
الاتجاه السياسى والاتجاه الاقتصادى فى أوروبا . . فسياسة  
ألمانيا تحول دون الغاء خطر الحرب بالتفاهم مع روسيا  
فى أوروبا ، وألمانيا هى حجر الاساس فى السوق الاوروبية  
المشتركة التى تهدد بطرد الاقتصاد الانجليزى من القارة  
الاوروبية !

وقد أشارت الصحف الانجليزية من جديد الى قضية  
معهد الوثائق الأمريكى الذى يشغل بيتا فى ضواحي برلين  
ان هذا القصر فيه كل أوراق وأرشيف الحزب النازى ،  
وقد سقطت فى يد الجيش الأمريكى قبل أن تحرق . .  
وهذه الوثائق تضم أسماء عشرة الملايين الالماني وألمانية الذين  
كانوا أعضاء فى الحزب النازى . . وتضم كل أوراق  
المحاكمات الجائرة التى أعدم فيها ٦٤ ألف مواطن خلال  
حكم هتلر ! وهذه الوثائق توضع عليها حراسة مسلحة  
قوية ، ولا يسمح لاي مخلوق بالاطلاع عليها الا بأذن من  
حكومة أمريكا أو من حكومة ألمانيا !

ان الصحف الانجليزية تطالب بنشر هذه الوثائق . .  
وبكشف كل رجل أو امرأة أو شاب أو فتاة كان عضوا  
فى حزب هتلر . . وكل قاض حكم فى قضية من قضايا  
هتلر السياسية . . الى آخره ! ومعنى هذا ادانة الشعب  
الالماني كله ! لان الشعب كله كان خاضعا بطريقة أو

بأخرى لحكم هتلر ، وكان مضطرا أن يعيش في موكبه  
شيبا وشباننا وجنودا وضباطا وقضاة ومحامين !

ثم ان الشعب الالماني يرى أن هؤلاء الحلفاء الذين  
يهاجمونه ويدمغونه بالجريمة ، ليسوا ملائكة ، ان أيديهم  
جميعا ملوثة بدماء شعوب المستعمرات ! انهم يحمون الحرب  
الاستعمارية في الجزائر والتفرقة العنصرية في أفريقيا !  
ثم انه اذا كان الالماني قد دمروا وقتلوا في البلاد التي  
احتلوها ، فان الحلفاء قد دمروا ألمانيا تدميرا وشردوا  
أهلها تشريدا . وهذا كاف لكي ينتهي الحسـسـاب !  
والقاء كل المسئولية في الحرب على ألمانيا فيه تجـسـاهل  
للحقيقة الانسانية وهي أن الحرب كانت حربا استعمارية  
الى حد ما من الطرفين . . حرب نظامين رأسمـالـيين  
يتنافسان على سيادة العالم ! فما كان يخطر ببال انجلترا  
وفرنسا ، أن تنتهي الحرب بتشـسـديد قبضتهما على  
المستعمرات واحتكارهما للأسواق

ولا شك في أنه يضاف الى هذه الاسباب النفسية سبب  
آخر أسامى . . هو أن تقسيم ألمانيا يشعر الشعب الالماني  
بهوان عميق ! فبرغم كل النجاح الذي احرزته  
ألمانيا بعد الحرب من جديد ، فإن استمرار تقسيمها  
وتوزيعها وتبعيتها يجعل الالماني يشعر انه ما زال يعيش  
في مستوى أقل من أي مواطن من أي وطن آخر !  
وهو نفس الموقف الالماني في الفترة التي ظهر فيها  
هتلر ! لان هذه الظروف كلها تؤدي الى رد فعل حتمي في  
صورة نزعات قومية متطرفة تقوم على العدوان ومقابلة  
الاحتقار بالاحتقار والاستعلاء بالاستعلاء !

كل هذه الاسباب . . النفسية والسياسية . . توجد  
تربة خصبة لكي تزدهر فيها بعض بذور النازية في نفوس



الشباب الالماني ! ان شباب أى شعب يحب مجده بلاده  
ويأبى اذلالها ! واذا اتجه حب المجد وجهة خاطئة ..  
كانت الكارثة !

والحل العميق لهذه المشاكل ليس فى تطهير المدارس  
من المدرسين ولا فى اعتقال هؤلاء الشباب  
وانما الحل هو الحل السياسى الكبير ، هو انهـاء  
وضع ألمانيا الشاذ والعمل على توحيدها ، ونشر منطق من  
السلام على أوروبا .. يجعل أى نزعة عدوانية غير ذات  
موضوع .. !

وانه لمن المهم - استكمالا للصورة - ان نذكر ان هذه  
النزعات النازية ، اليمينية ، قد تكون اشتدت فى ألمانيا  
نتيجة أيضا لظهورها فى بلد مجاور ملاصق ، هو فرنسا !  
فالعصابات السرية الارهابية فى فرنسا .. والجمعيات  
الفرنسية التى تتعقب الجزائريين وتقتلهم فى ألمانيا  
نفسها .. وخطر استيلاء فرق الباراشوت على الحكم ..  
وظهور نعمة عظمة فرنسا وقيادتها لأوروبا ورسمـالتها  
الخالدة .. كل هذه أشياء حركت ولا شك عوامل المنافسة  
التقليدية بين البلدين \* وان كان القادة الرسميون مثل  
ديجول وأديناور على وفاق ! ..

\*\*\*

ونعود الى اليهودية والصهيونية !  
ان اليهودية فى ألمانيا بالذات لم تعد مشكلة !  
ففى أيام هتلر كان اليهود فى ألمانيا يحسبون بالملايين ..  
أما اليوم فان عدد اليهود فى ألمانيا الغربية هو ٤٣ ألفا  
فقط فى شعب تعدادة أكثر من خمسين مليوناً !  
وعلى العكس .. فقد زاد عدد اليهود زيادة كبيرة فى

أماكن أخرى . . . ففي الولايات المتحدة خمسة ملايين وفي الاتحاد السوفييتي ثلاثة ملايين وفي بريطانيا نصف مليون وفي فرنسا ٣٣٠ ألفا وفي رومانيا ١٨٠ ألفا وفي المجر ٨٠ ألفا وفي استراليا ٤٣ ألفا !

فعدد اليهود في ألمانيا الغربية اليوم أقل عددا وأقل نسبة إلى عدد السكان ! ومركز الثقل اليهودي لم يعد في ألمانيا . .

ولكن الصهيونية العالمية . . . اقتنصت هذه البسادة الصغيرة في ألمانيا . . . بادرة ظهور بعض منظمات نازية الطابع . . . لكي تعيد استثمار القصة القديمة . . . فانطلقت القوى الصهيونية في البلاد الاخرى تثير الخواطر ، وتزيف العلاقات كمحاولات لاستعادة عطف الرأي العام العالمي . . . وهذا يفيدنا في خلق نوع من الالتفاف العاطفي والمعنوي حول اسرائيل من جهة ورفع سبيل التبرعات والمساعدات لها من جهة أخرى

وليس أعجب ، في هذا المجال ، من قصة ايخمان مع اسرائيل . .

وقد أذاع القصة مستشار بن جوريون الخاص لشئون العلاقات العامة . . « موشي بيرلمان » الذي نشرها كاملة في كتاب أصدره بعنوان « خطف ايخمان »

تقول القصة : ان يوم ٢١ مارس هو أول أيام الربيع . ولكنه كان يوما مشئوما بالنسبة لايخمان . ففي يوم ٢١ مارس سنة ١٩٣٥ تزوج ايخمان . . . ويوم ٢١ مارس سنة ١٩٦٠ ، كان اليوم الحاسم في مصيره ، اليوم الذي تقرر فيه اختطافه نهائيا !

لقد كان ايخمان - بعد فراره من أوروبا - يعيش في ضاحية « سان فرناندو » القريبة من مدينة بوينس

ايريس عاصمة الارجننتين . كان يسكن هو وزوجته وأولاده الثلاثة فيلا متواضعة منعزلة . وكان يعمل في مصانع مرسيدس بنز في الطرف الاخر للمدينة . . فكان عليه أن يسير كل يوم حوالي ٣٠٠ متر الى محطة الاوتوبيس الواقعة على الطريق الزراعي المهجور ، ليركب الاوتوبيس الذي يوصله الى محل عمله

ولم يكن أحد يعرف أن هذا هو ايخمان . كان المعروف فقط ان السيدة ربة البيت هي « أرملة ايخمان » . وأن ايخمان نفسه مات . أما الرجل الذي يعيش معها فهو زوجها الثاني ويدعى « ريتشارد كليمنت » . هذه هي القصة التي كان الناس يعرفونها . والتي عاشت هذه الاسرة بها ثمانى سنوات كاملة ، من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٦٠ ، دون أن يقلقها أحد !

ولكن في تلك الشهور الاولى من سنة ١٩٦٠ ، كان هناك من يراقب ايخمان ، دون أن يشعر . . .

لقد استأجرت مخابرات اسرائيل بيتا يقع على بعد ٢٠٠ متر تقريبا من بيت ايخمان . لا تفصله عنه إلا الحقول . وخلف نافذة مفتوحة لا تنسدل عليها الستائر المعدنية ، كان يوجد « تليسكوب » قوى جدا ، يستطيع أن يرى كل شيء في بيت ايخمان . . ويستطيع الناظر فيه أن يسجل كل حركة يقوم بها ايخمان من لحظة أن يستيقظ من النوم صباحا الى أن يركب الاوتوبيس الذي يحمله الى المصنع صباحا . . ومن لحظة نزوله من الاوتوبيس عصرا ، الى ان يأوى الى فراشه ! . .

كان الذي يجلس وراء هذا التليسكوب يدعى « جاد » ، وهو ليس اسمه الحقيقي طبعا ، ولكنه اسمه المستعار .

فاذا انطلق الاوتوبيس حاملا « ايخمان » الى المصنع . ترك « جاد » التليسكوب . ليدق التليفون لرجل آخر من مخابرات اسرائيل اسمه « دوف » ليقول له كلمة واحدة هي « كاراجيل » وهي كلمة عبرية معناها « كالعادة ! » اما « دوف » هذا الذى يتلقى هذا التليفون فهو يقيم فى شقة أخرى استأجرتها مخابرات اسرائيل امام المصنع الذى يعمل فيه ايخمان، ومعنى ذلك أن يبدأ فى مراقبته من لحظة نزوله من الاوتوبيس امام المصنع الى أن يدخل فيه . . ثم فى أثناء خروجه منه آخر النهار !

ولم يكن دوف يراقبه من تليسكوب . . انما كان يأخذ فى يده حقيبة أوراق عادية وينزل الى الشارع ، ويقف على محطة الاوتوبيس التى سينزل عندها ايخمان . وعندما ينزل ايخمان يحاول دوف أن يتبعه دون أن يثير شكوكه . ان فى حقيبة اليد التى يحملها دوف توجد كاميرا حساسة جدا ، عدسة الكاميرا هى زرار الحقيبة . وبينما دوف يسير فى براءة ، يضغط دوف بأصبعه على زرارين فى يد الحقيبة ، فتلتقط صورا متوالية لايخمان من جميع الزوايا !

ولكن . . لماذا كانوا يحاولون التقاط صورته كل يوم . . ويرسلون هذه الصور الى تل أبيب ؟

السبب هو انهم لم يكونوا متأكدين مائة فى المائة ان هذا الرجل هو ايخمان بالفعل !

فمنذ سنة ١٩٥٢ ، عندما اختفت زوجته وأولاده من النمسا فجأة، انقطع خيط المطاردة الاسرائيلية لايخمان . كانوا لا يصدقون أن الرجل قد مات . ولكنهم لا يعثرون له على أثر . .

ويقول المؤلف : ان اهم عناصر المطاردة في هذه المسائل هم افراد الجاليات اليهودية في شتى بلاد العالم .. ومعنى ذلك أن كثيرا من افراد الجاليات اليهودية في كل بلاد العالم يتجسسون مباشرة لحساب اسرائيل ، ولو على البلاد التي ينتمون اليها . وفي سنة ١٩٥٩ كان هناك تاجر يهودى استطاع ان يدخل المجتمع الارجنتينى دون ان يعرف أحد انه يهودى . وعلى هذا الاساس اختلط بمجتمع الالمان الذين يعيشون في بوينس ايريس . وعلى اساس هذه الثقة سمع يوما أن أرملة ايخمان تعيش في أطراف المدينة مع زوج جديد اسمه ريتشارد كليمنت . وارسل اليهودى الارجنتينى المتكرر برفقة سريعة بذلك الى مخابرات تل أبيب .. فبدأت المطاردة من جديد لمعرفة هل هذا الزوج حقا اسمه كليمنت ، أم أنه ايخمان نفسه ؟ ..

ان ايخمان برغم خطورة مركزه أيام هتلر، فان صورته قليلة . الذين يعرفونه شخصيا قليلون جدا . فقد كان حربصا دائما على ان يبقى فى الظل . ومن هنا كانوا يلتقطون له سرا ، عشرات الصور من كل الزوايا ويرسلونها الى تل أبيب ، حيث يجرى عرضها على كل من عرفه أو رآه أو لديه صور له

وقد كان المرجح انه هو ايخمان .. ولكن الدليل القاطع لم يكن متوافرا

ومضت مراقبة ايخمان فى دقائق حياته يوما بعد يوم واسبوعا بعد اسبوع ، لتسجل كل حركة له . كان منتظما فى حياته جدا . لاشيء يتغير أبدا . وفى يوم من الايام .. حدث تغير بسيط .. لقد اشترى ايخمان عند عودته من المصنع باقة فاخرة من الورد ، حملها

معه .. وعندما وصل الى البيت فتحت له زوجته ..  
واعطاها باقة الورد في اعزاز كبير !

واخذ الذين يراقبونه يفكرون فى السبب . ما هى  
المناسبة التى تجعله يشتري هذا الورد اليوم ؟ . واخذوا  
يراجعون ما لديهم من أوراق تضم كل المعلومات عن حياة  
ايخمان .. واكتشفوا السر !

ان اليوم هو يوم ٢١ مارس سنة ١٩٦٠ ! ..  
وقد تزوج ايخمان من زوجته يوم ٢١ مارس سنة  
١٩٣٥ !

اذن فلا بد ان هذا الرجل هو ايخمان نفسه . من  
المستحيل - اذا كان زوجا ثانيا لارملة ايخمان ان يحضر  
لها باقة ورد فى ذكرى زواجها الاول ! ومن المستحيل ان  
يكون شراء الورد يوم ٢١ مارس بالذات ، بعد ٢٥ سنة  
على الزواج ، مجرد مصادفة

لنمد ارسلا تلك الليلة برقية الى تل ابيب نصها :  
« الرجل هو الرجل » وعلى الفور بدأ التفكير فى  
الخطوات التالية ..

كيف يمكن - أولا - ان يتم خطفه ؟ واين - ثانيا -  
يوضع ايخمان فى بوينس ايريس حتى يتم اخراجه من  
البلاد ؟

وكيف يمكن - ثالثا - تهريبه من الارجنتين الى  
اسرائيل ؟ ..

وكان لابد من حل المشكلتين الثانية والثالثة قبل  
تنفيذ عملية الخطف ! ..

أما عن المكان الذى يمكن أن يسجن فيه ايخمان بعد  
خطفه ولو لبضعة ايام .. فكان هناك اقتراحان : الاول

هو وضعه في فيلا من الفيلات المنعزلة التي يملكها أحد يهود الأرجنتين وهم كثيرون وأغنياء . والاقتراح الثاني هو استئجار فيلا تكون ملائمة لهذا الغرض ، حتى لا يورطوا أحدا من أفراد الجالية اليهودية في مغامرات قد تنكشف ..

ويقول المؤلف انهم اختاروا الحل الثاني واستأجروا بالفعل بيتا معزولا أعدوه لهذا الغرض . وقد لا يكون كلام المؤلف صحيحا . ولعلمهم ، وهذا مرجح بسبب السرعة وضيق الوقت ، استخدموا بالفعل بيت أحد يهود الأرجنتين ولكن المؤلف، وهو مستشار بن جوريون للشئون العامة ، يريد أن يبعد عن جاليات اليهود في شتى البلاد شبهة قيامهم بأعمال غير مشروعة لحساب دولة أجنبية .. هي إسرائيل !

أما عن وسيلة نقله الى الخارج فهي إما البر أو البحر أو الجو ..

ان نقله بالبر سهل جدا .. ولكن الى دول أخرى في أمريكا اللاتينية وهذا لا يقترب به من إسرائيل ...

ان أنسب طريقة هي البحر . بشرط أن تكون الباخرة اسرائيلية . لان قبطان أى باخرة من جنسية أخرى لو ارتاب في الامر فسوف يطلق سراح ايخمان وينزله في اول ميناء تمر به السفينة . كذلك يجب أن تكون الباخرة الاسرائيلية باخرة بضاعة لا باخرة ركاب . لان باخرة الركاب سيكون فيها ناس كثيرون من جميع الجنسيات وقد يكتشفون الامر ويشورون

ولا شك أن الباخرة أسلم من الطائرة . لان الطائرة لا يمكن أن تطير رأسا الى مطار اللد في إسرائيل . بل انها ستوقف في عدة مطارات . وأحيانا تجرى عمليات

تفتيش الطائرات . . ولكن ميزة الطائرة انها تصل  
بايخمان بعد ٢٤ ساعة فقط . أما الباخرة فانها  
تستغرق اسابيع . وقد يذيع نبأ اختفائه وتحدث ضجة  
قبل ان يصبح ايخمان في اسرائيل فعلا . ثم ان حراسته  
خلال هذه الاسابيع في الباخرة صعبة جدا . فمن الممكن  
ان يقذف بنفسه الى البحر في أى لحظة !  
وتقرر استخدام الطائرة، رغم كل ما فيها من مخاطر .  
ولا يمكن طبعاً ان تكون طائرة ركاب عادية . لابد ان تكون  
طائرة خاصة

وتم اعداد كل شيء . تم استئجار طائرة لا يكشف المؤلف  
عن شركة الطيران التي قدمتها لهم . . وتم استئجار  
بيت واعداد غرفة فيه كزنزانة ليس فيها أى أثاث . وتم  
رسم خط الطيران . فالطائرة ستطير رأساً الى مطار في  
غرب أفريقيا ، لا يكشف المؤلف عن اسمه ومن غرب  
أفريقيا الى اسرائيل . وبقاء ايخمان في البيت بعد خطفه  
لا يجب أن يزيد على ثلاثة أيام . لن تذهب زوجته  
خلالها الى البوليس والا فمعنى ذلك انها تعترف بأن  
زوجها هو ايخمان . وهى لن تفعل هذا الا بعد زمن . .  
أى بعد أن تيأس !

وقصة الخطف نفسها عادية . وقفوا له بسيارة  
بالقرب من محطة الاوتوبيس التي ينزل فيها . وتظاهروا  
بأن في السيارة عطل حتى لا يثيروا شبهات العابرين .  
واختاروا ساعة عودته الى البيت لانها ساعة ما بعد  
الغروب والنور باهت والطريق لا يمر به أحد . وعندما  
اقترب منهم ايخمان هجموا عليه مرة واحدة ، وقفزوا  
به الى حفرة على جانب الطريق الزراعى حيث اتمسوا  
ضربه وربط يديه دون أن يكونوا عرضة لان تراهم سيارة



عابرة ، ثم صعدوا به الى السيارة .. التى انطلقت  
بسرعة .. و « اذا تحركت حركة واحدة فسوف تضرب  
بالرصاص ! » .. وكانوا قد عصبوا عينيه حتى لا  
يعرف مقر السجن الداهب اليه ..

وعندما دخلوا به الى البيت .. وأغلقوا الابواب ..  
أضاءوا الانوار القوية ورفعوا العصابة عن عينيه . وسأله  
واحد منهم : من أنت ؟ ..

وكان قد أدرك كل شيء . فقال : أنا أدولف ايخمان  
وجعلوه يخلع ملابسه كلها .. ويقف تحت الضوء  
عاريا تماما .. وفتشوه وفتشوا ثيابه تفتيشا دقيقا ..  
خشية ان يكون معه أى شيء يمكن أن ينتحر به !



وهنا يروى المؤلف قصة مضحكة ساذجة . انه يحاول  
ايهام العالم أن ايخمان ذهب الى اسرائيل طائعا مختارا ..  
فهذا ما قالت له حكومة اسرائيل فى تقرير عملها الذى  
هزأ بكل قانون دولى أو قانون خاص . فالمؤلف  
يقول انهم قالوا له انهم سيأخذونه الى اسرائيل حيث  
تجرى له محاكمة عادلة فهل لديك اعتراض ، فقال : لا  
ثم يقول المؤلف ان ايخمان رحب بالمحاكمة لكى  
يتخلص من العبء الذى يثقل ضميره !

ومن المضحك طبعاً أن نتصور أن ايخمان كان مختاراً!  
وان اسرائيل بعد جهود وترتيبات ومغامرات ونفقات  
سنة كاملة ، كانت مستعدة أن تتركه لو قال انه يرفض  
المحاكمة !

وبالمثل - يحاول المؤلف أن يوهمنا أن الوثيقة التى  
كتبها ايخمان تبرر - قانونا - عملية الخطف .. وثيقة

قال فيها « أنا الموقع أدناه ، أدولف أيخمان أعلن بملء  
حريتي ( ! ) حيث أن شخصيتي الحقيقية قد عرفت .  
فلا أجد داعيا لمواصلة تجنب العدالة ، وأعلن رغبتى فى  
الذهاب الى اسرائيل لواجه المحاكمة ! وانى أكتب هذه  
الوثيقة بملء حريتى ، دون تهديد أو ترغيب ، لانى أريد  
أن أحصل أخيرا على سلام النفس ! »

وتحت ذلك توقيع ايخمان وتاريخ « بوينس ايرس  
فى مايو ١٩٦٠ »

وغرض اسرائيل من ذلك واضح ..

ان محاكمة ايخمان فى أساسها غير شرعية لان اسلوب  
خطفه غير شرعى . ولان القانون الذى يحاكمونه به غير  
شرعى . انه عمل انتقامى سافر متجرد من كل تبرير  
شرعى . وقد حاولوا تغطية ذلك بارغام ايخمان طبعاً  
على كتابة هذا الاقرار . ومن المؤكد أنه كتبه فى سجون  
تل ابيب .. ولكنهم أرخواه بتاريخ وجوده فى الارجنتين  
ليقولوا انه سافر الى اسرائيل بارادته وليس خطفاً  
ولكن .. اذا كان الامر كذلك ففيم اذن كان كل هذا  
لمحاولة نقله سرا ؟ ..

وجاء يوم نقله ..

أعطوه فى الليل قهوة فيها مخدر قوى فنام على الفور  
ثم خلعوا ملابسه وألبسوه بيجاما وروب دى شامبر  
وعلى الباب كانت تنتظره سيارة فارهة .. فقد قالوا  
انه رجل غنى مريض جداً ومسافر الى الخارج ليعرض  
نفسه على طبيب عالمى . وهذا يفسر انه فاقد الوعي .  
وانه فى ملابس النوم . وانه يستأجر طائرة خاصة ! فى  
المطار اجتازوا به الجمرك بأوراق مزيفة . ونقلوه فى  
« نقالة » الى الطائرة وهو مخدر تماماً وغائب عن الوعي

.. ومعه اثنان من مخابرات اسرائيل في ثياب المرضى!  
... ومعهم كميات من القهوة المزودة بالمخدر ، يسقونه  
منها كلما لاح انه على وشك ان يفيق ! ..  
وقال بن جوريون في البرلمان الاسرائيلي ان ايخمان  
جاء بملء ارادته

شيء هام يلوح في كل سطور القصة .. ولا يمكن  
تصورها بغيره هو : العدد الهائل من العملاء الذين  
يساعدون مخابرات اسرائيل ويعملون لها .. كلهم يهود  
مواطنون في بلاد اخرى .. يظهرون الولاء للبلاد التي  
تطعمهم وتؤويهم .. ولا يبطنون الا الولاء لاسرائيل !



وقد اشار محامى ايخمان الى ان المتهم لديه قصة  
غريبة قديمة تعرف في الدوائر السرية باسم قصة  
اللوريات !

وخلصة قصة « اللوريات » كما ذكرت الصحف هي :  
ان ايخمان خلال الحرب عرض على الوسطاء الصهيونيين  
ان يسلمهم مليون يهودى من معسكرات الاعتقال في مقابل  
ان يسلموا ألمانيا عشرة الاف سيارة لورى عسكرية  
تساعد الجيش الالماني في حربه ضد الاتحاد السوفيتى !  
وان الوسطاء الصهيونيين رفضوا هذه الصفقة !

والمفهوم ان ايخمان سوف يروى هذه القصة لكى يوضح  
انه لم يكن متعصبا لاعداء اليهود .. وانما كان ينفذ  
الاوامر فقط .. بدليل انه اقترح مثل هذا الاقتراح !  
وقد رجعت الى احد الكتب التي احتفظ بها عن  
اسرائيل .. ذكرت اننى سبق ان قرأت فيه هذه القصة  
الغريبة ..

الكتاب اسمه « الطرق السرية Secret Roads » وهو من تأليف الكاتبين الصهيونيين الانجليزين جون كيمش ودافيد كيمش ..

والكتاب يروى التاريخ السرى للهجرة اليهودية من أوروبا الى فلسطين خلال الفترة بين ١٩٣٨ و ١٩٤٨ . وهو مطبوع سنة ١٩٥٤ . أى قبل أن يتوهم أحد أنه من الممكن القبض على ايخمان أو العثور عليه .. بل كان الراى السائد أن ايخمان قد قتل ..

وليست قصة اللوريات هى السر الوحيد الغريب الذى يرويه الكتاب .. بل انه يلقي الضوء على علاقات كثيرة بين ألمانيا النازية وبين قيام دولة اسرائيل !

والقصة التى يرويها الكتاب لقضية اللوريات تتلخص فى أن ألمانيا كانت تحارب فى جبهتين فى وقت واحد .. ضد السوفييت شرقا وضد الحلفاء غربا .. وفى خلال ذلك كانت هناك علاقات قوية بين الجستابو الالماني وفرق العاصفة النازية من جهة وبين بعض ممثلى الحركة الصهيونية من جهة أخرى ..

وكان ايخمان هو ضابط فرق العاصفة المختص بشئون اليهود ، وقد اتخذ مقرا له فى قصر روتشيلد فى فينا . واستدعى ايخمان يوما ممثل الحركة الصهيونية السرية

وطلب منه ان يسافر الى استانبول ليقدم هذا العرض: أن يحرر لهم مليون يهودى مجرى من نزلاء معسكرات الاعتقال . ويسلمهم اليهم ليعتقوا بهم الى فلسطين فى مقابل أن يقوموا بتسليم ألمانيا الاتى : ٢٠٠ طن من الشاى — ٨٠٠ طن من البن — مليوناً علبة صابون — عشرة آلاف سيارة لورى

وطار المبعوث الى استانبول ، ثم طار الى سويسرا

ليتصل بزعماء الصهيونية هناك . وكان لابد من حمل هذا العرض الى الانجليز ، فوصل المبعوثون الصهيونيون الى القاهرة ، وعرضوا القصة على اللورد موين ، وزير الدولة البريطانى المقيم فى القاهرة خلال الحرب . ولكن لورد موين رفض الدخول فى أية مباحثات مع الالمان . . . وعلى الفور ذهب الدكتور حايم وايزمان ، الذى أصبح أول رئيس لدولة اسرائيل ، الى لندن وقابل تشرشل وعرض عليه الفكرة . ولكن تشرشل رفض . وقال تشرشل ان الاتحاد السوفيتى يشك فى ان الدول الغربية تحاول عقد صلح منفرد مع ألمانيا ليتفرغ هتلر لمحاربة الاتحاد السوفيتى ، ولذلك فان أية مفاوضات أو تسليم مهمات الى ألمانيا سوف يؤكد شكوك الاتحاد السوفيتى فى حلفائه الغربيين . .

على ان هذه القصة ليست أهم ولا أغرب ما فى الكتاب . .

ان فى الكتاب صفحات كثيرة تروى قصة التفاهم التام بين النازية الالمانية وبين الحركة الصهيونية على تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين . . وتأيد فكرة قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين !

ومن سخرية القدر أن ايخمان نفسه كان فى بعض المراحل من أبطال حركة هجرة اليهود الى فلسطين !

واترك الكتاب لمؤلفيه الصهيونيين يرويان القصة :

فى سنة ١٩٣٨ ، قبيل الحرب العالمية . . كان الكابتن كارل أدولف ايخمان يجلس الى مكتب فى مبنى يحمل لافتة تقول : « المكتب المركزى للهجرة اليهودية » . . وكان يستقبل بانتظام شابا صهيونيا اسمه « بارجيلاد »

ان بار جيلاد صهيونى قادم من فلسطين . انه يرأس

٤٠٠ صهيوني يسكنون مستعمرة يهودية اسمها « كفار جيلادي » ، بالقرب من الحدود بين سوريا وفلسطين كان الاثنان يدرسان فكرة هامة ..

الفكرة هي اقامة « معسكرات تدريب » في ألمانيا ، يتدرب فيها الشبان اليهود لفترة مؤقتة ، تمهيدا لهجرتهم الى فلسطين . ولما كانت الهجرة الى فلسطين ممنوعة ، فسيكون على الحكومة النازية لا مجرد السماح باقامة معسكرات التدريب فقط ، بل تسهيل خروجهم من البلاد سرا بأوراق مزورة ، تسهل لهم الوصول الى فلسطين !

وكان كل ما طلبه ايخمان هو أن يدفع اليهود مبالغ كبيرة للدولة الألمانية نظير ذلك . وفي مقابل ذلك سوف يحطم ايخمان كل روتين خاص بالهجرة .. لكي يسهل لهم ارسال أكبر عدد ممكن الى فلسطين ..

أما عن معسكرات التدريب ، فقد قال ايخمان لمحدثه « بارجيلاد » : ان ألمانيا النازية مستعدة لأن تعطيهم بعض المزارع الواسعة لكي يقيموا فيها مراكز تدريب وتجميع الشبان اليهود تمهيدا لتدريبهم الى فلسطين .. وكانت الحركة الصهيونية لا ترحب بهجرة اليهود المسنين الى فلسطين .. وهم اليهود الذين يملكون نفقات السفر .. وكانت تفضل استقدام الشبان الاقوياء الاصحاء فقط !

ويقول المؤلفان : وقد حافظ ايخمان على كلمته فيما يتعلق بكل التعهدات التي تعهد بها . فقد منحهم المزارع والادوات اللازمة للتدريب الزراعي ، بل انه في احدى المرات طرد عددا من الراهبات من أحد الاديرة ، لكي يوفر لليهود كل وسائل التدريب التي تلزمهم في احدى المزارع !

ويتساءل المؤلفان : ما هو السر وراء هذه الخطة النازية ؟ ..

ثم يقولان ردا على ذلك : ان هتلر نفسه وافق على هذه الهجرة السرية الى فلسطين لاسباب كثيرة ، فهو أولا يفضل أن يهاجر اليهود الالمان لا الى البلاد المحيطة بألمانيا مثل فرنسا وإيطاليا وغيرهما، بل يفضل أن يراهم يتعدون عن ألمانيا .. الى مكان مثل فلسطين .. يضاف الى ذلك أن هجرة اليهود الى فلسطين وقيام دولة صهيونية هناك سوف يوقعان الانجليز في متاعب مع العرب واليهود على السواء .. وكل متاعب تحدث لبريطانيا هي فوائد لألمانيا !

ولهذا فان ايخمان - كما يقول المؤلفان - اشترك في وضع حجر الاساس الذي قامت عليه بعد ذلك دولة اسرائيل !

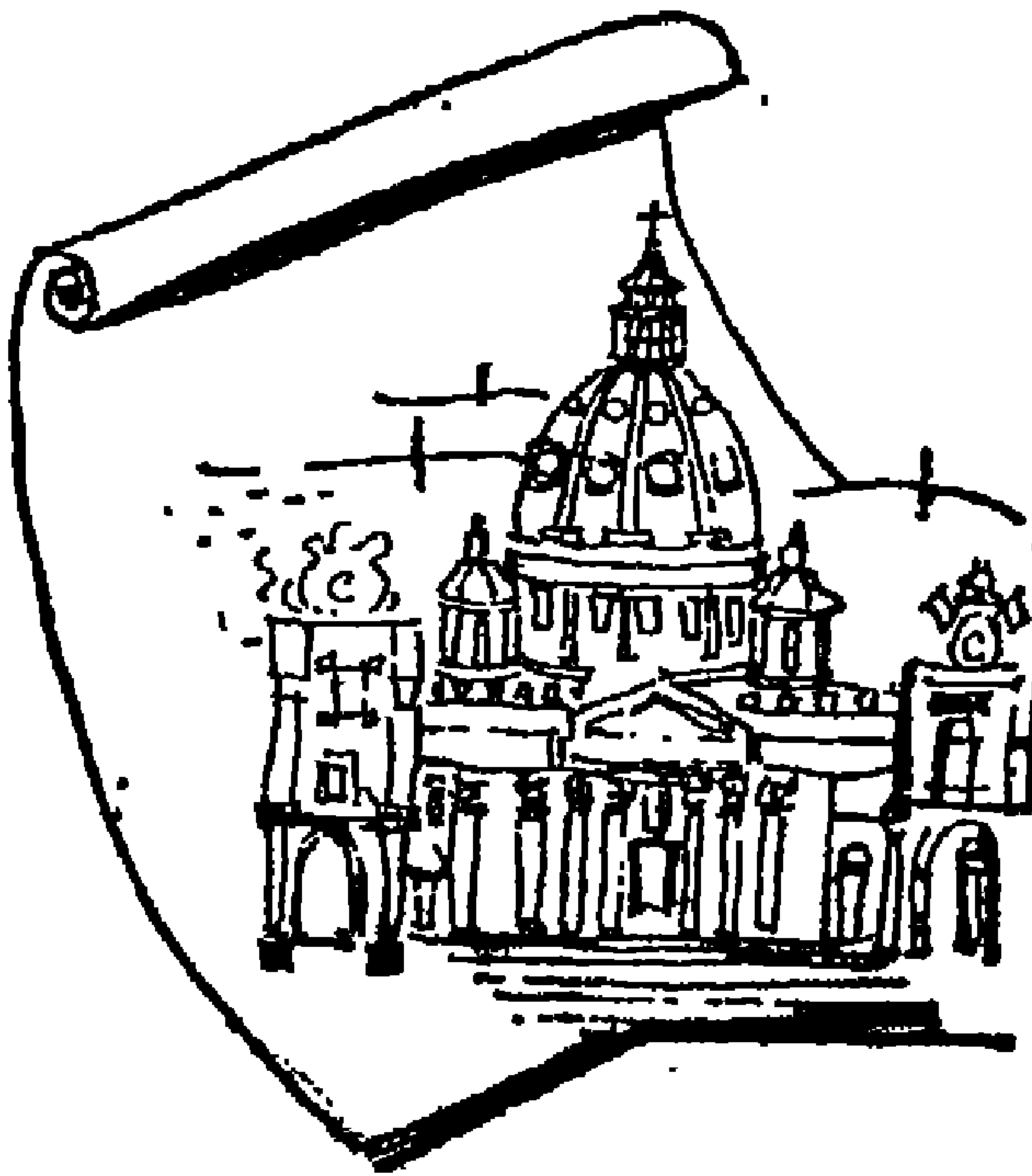
وفي مارس سنة ١٩٣٩ سافر من برلين أول فوج من الشبان اليهود الالمان .. بناء على هذه الخطة .. واعطاهم النازيون قطارا خاصا .. وجمعوهم في القطار الى فيينا حيث انضم اليهم فوج اخر تحت اشراف ايخمان شخصيا ! .. ثم يستمر الكتاب في وصف الرحلة الاولى حتى وصلوا الى شواطئ فلسطين .. وهبطوها سرا .. وتسלلو الى المستعمرات اليهودية المتفرقة !





## البابا.. والكنيسة وثيقة تبرئة اليهود

- قصة العداقة بين البابا بيوس  
الحادي عشر والنازية
- هل هناك لدى إسرائيل ما تضيف  
به على الفاتيكان ؟



قصة البابا ، والمؤتمر الكاثوليكي العالمى والوثيقة التى أصدرها لتبرئة اليهود الحاليين من دم المسيح ، وما يشاع عن وجود ضغط صهيونى على الكنيسة الكاثوليكية .. كل هذه خيوط تتجمع منها قصة من أعجب القصص السياسية فى هذا العصر !

ولعل الكتابة التحليلية الواقعية فى هذا الموضوع تكون بالغة الحرج ، لأنها تصدم كثيرا من المشاعر فى كثير من الجبهات

هل هى قصة دينية تدور حول صلب المسيح ؟

هل هى قصة عنصرية تتصارع فيها النزعات السامية والمعادية للسامية والصهيونية وغيرها ؟

هل هى قصة سياسية تحتدم فيها مواقف الشيوعية والنازية والراسمالية وما إليها ؟ .. انها كل هذا !

ولست أظن أن من مهمة هذا الكتاب أن يتصدى لهذا الجانب أو يتعمق فيه . ان المسيحية تقول ان اليهود هم الذين صلبوا المسيح ثم قالوا ان دمه عليهم وعلى ابنائهم من بعدهم فهم مسئولون عن هذا الجرم حتى اليوم ، والتعديل الذى أراد الفاتيكان ان يدخله هو ان يهود اليوم ، بعد ما يقرب من الف سنة ليسوا مسئولين ولا ملعونين على هذا الجرم . أما الدين الاسلامى فهو يعلن ان الجريمة

ذاتها لم تقع قط ، وبالتالي فلا مسؤولية هناك ولا مسئولين !

الموضوع الدينى اذن قديم . والجدل فيه قديم . ولو كان ما استجد من رأى الفاتيكان مسألة دينية فحسب ، لما أثار هذا الضجيج كله

ولكن أول امتداد لهذه القضية هو : الإمتداد العنصرى ان الاضطهاد العنصرى ظاهرة قديمة ، عرفتها أوروبا بالذات عبر القرون الوسطى وحتى العصر الحديث .. كما جاء فى الفصل السابق

والحروب الدينية والعنصرية ، والمذابح الدينية والعنصرية ، تشغل جانبا باهظا من تاريخ القارة الأوروبية كلها ..

ومن بين المظاهر العنصرية القديمة فى أوروبا : نزعة معاداة السامية التى كانت تجد التعبير عنها فى اضطهاد اليهود ، جيلا بعد جيل ، على يد النظم الأوروبية الدينية والدنيوية ..

فما انزله هتلر باليهود ، لم يكن أول ما انزل بهم فى ظل الحضارة الأوروبية بشتى تقلباتها ..

هذه العنصرية ، والنزعة المعادية للسامية ، لم تعرفها المنطقة العربية قط . أولا لان العرب ساميون . وثانيا لان الدين الاسلامى لم يقل بنظرية صلب المسيح . وان كان العرب قد أصبحوا فجأة وفى القرن العشرين ضحايا لعدوان صهيونى يهودى متعصب ، يتمثل فى احتلال فلسطين وتشريد العرب واقامة دولة اسرائيل ..

وكأن العرب المتسامحين يدفعون بذلك ثمن قرون من التعصب العنصرى الأوروبية ، كانت قمتها هى ما ارتكبه هتلر فى منتصف القرن العشرين !

وعندما كان الباحثون والمؤرخون ينقبون عن أسباب اضطهاد اليهود المستمر في أوروبا ، كانوا يصطدمون دائما بسبب كبير بين الاسباب هو : ما يسجله التاريخ عن جريمة اليهود في صلب المسيح !

ودائما .. كان هناك حلان متصارعان للمشكلة اليهودية ..

حل يقول بتجميعهم في دولة واحدة ، تكون وطنيا قوميا لهم . وهذا الحل كان يتفق عليه المتعصبون ضد اليهود ، أولئك الذين يريدون لهم أن يختفوا من حياة بلادهم ، والمتعصبون من اليهود ، أولئك الذين تكونت منهم الحركة الصهيونية ، التي وصلت الى اقامة دولة اسرائيل على اشلاء شعب عربى !

وحل ثان يقول بان انتشار روح التحرر والتسامح والمساواة ، واختفاء نزعات التعصب الدينى والعنصرى ، سوف تؤدى الى ذوبان اليهودى فى البلاد التى يعيش فيها حين يحس أن له ما لابنائها من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات . وهو الحق الذى يسمى بال Assimilation وقد سبق الحديث عنه فى فصل سابق

والخلاف ، فى العالم اليهودى نفسه ، ما زال حتى الان حادا بين الاتجاهين ، حتى بعد قيام دولة اسرائيل . . . فيصرف النظر عن أن كل يهودى - بالتأكيد - يتمنى ان تظل وتزدهر دولة اسرائيل ، وهذا امر طبيعى ، فان هذا الخلاف يتمثل فى قضايا اخرى ، كقضية الهجرة الى اسرائيل ..

وكلنا نذكر الانفجار العنيف الذى حدث منذ سنتين تقريبا ، حين ندد بن جوريون بكل يهودى يعيش خارج اسرائيل ويرفض الهجرة اليها ، ذاهبا الى حد اتهامه

في يهوديته ذاتها .. فتصدى له يهود انجليز وفرنسيون وامريكان ، ممن لا يريدون بالطبع التضحية بحياتهم في تلك البلاد والهجرة الى اسرائيل . فيومها ايضا كان رأى اصحاب بن جوريون ان ما يراه اليهود اليوم من موجة تسامح في الغرب أمر عارض ويمكن ان يتحطم في اى مناسبة . وبالتالي فليس لليهودى الا دولته . في حين كان من رأى خصومه ان الاتجاه الى الاندماج والـ Assimilation قوى ونهائى . والتطور الانسانى لا يسمح برجعة الى الوراء في مجال التمييز العنصرى والدينى ..

المهم هو : ان مصلحتنا الواقعية والسياسية تكمن بالتاكيد في الاتجاه الثانى الذى يهدف الى اندماج اليهود في بلادهم المختلفة ، وليس في الاتجاه الذى يرمى الى التمييز ضدهم وبالتالي الى تجميعهم في دولة اسرائيل ، وتدعيمها بالملايين فوق الملايين عن هذا الطريق ..

وحين نجد اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية تعملان من أجل تحويل موقفنا نحن العرب من اسرائيل ، من موقف سياسى وطنى الى موقف عنصرى تاريخى ، يجب ان ننتبه ، وان نكشف هذه المحاولات في مهدها

اولا ، لان النزعة المعادية للسامية غريبة - تاريخيا - عنا وهى نزعة اوروبية فى الدرجة الاولى

وثانيا ، لان مصلحتنا السياسية هى فى انتشار موجة التحرر الاوروبية ، التى تجعل اليهود يجسدون مكانهم الطبيعى في مختلف بلاد العالم ، لا في دولة اسرائيل القائمة غصبا على ارض عربية هى فلسطين !

ووثيقة الفاتيكان الاخيرة ، من هذه الزاوية غير الدينية يمكن ان تخدم دعاء هذا الاتجاه الثانى .. ولكن هل المسألة بهذه الساطة ؟ ..

هل المسألة كل المسألة هي ان هذا الاتجاه الى التحرر والقضاء على الحزازات العنصرية اتجاه سليم ويناسب في منطقة تاريخنا ومصالحنا .. وخلص ؟ ..

ان السياسة - مع الاسف - لا تعرف هذه المثاليات . ولذلك فعلينا ان ننقب عما وراء هذا من ظلال . وهذا ينقلنا الى الجانب الثالث من جوانب القضية الغربية .. ان الحركة الصهيونية - بفروعها المتشعبة - تعمل في الواقع على مستوى عدة جبهات واتجاهات ..

حيث تستطيع تحريك الشكوك القديمة ، والتلويح باحتمالات عودة الاضطهاد ، لتدفع مزيداً من اليهود الى الهجرة الى اسرائيل .. تتحرك ..

وحيث لا تستطيع ، ان تعتمد الى استغلال الاتجاه المتحرر الداعي الى ازالة كل اسباب التمييز : بان تربط هذا التحرر لا بقضية اضطهاد اليهود الاوروبية القديمة ، ولكن بقضية اسرائيل والدولة الصهيونية الجديدة . حتى انها ، بنشاطها في مجال الفكر بالذات ، تنجح أحيانا في ان تجعل تأييد اسرائيل والصهيونية ، علامة من علامات الفكر والتمدن ..

وحيث لا يسعها التعصب ولا يسعها التحرر ، تعتمد الى سلاح عجيب خطير ، هو سلاح عقدة الذئب ، وابتزاز هذه العقدة ..

كيف ؟

.. أمامنا نموذج شهير في أسلوبها تجاه المانيا الغربية : فالنظام الهتلري قد أباد من السسوفيت الملحدون والبولنديين الكاثوليك والبلغاريين الارثوذكس أكثر مما أباد من اليهود . ولكن حسابات كل هذه المذاهب ختمت واغلقت ، وبقي حساب اليهود مفتوحا .. لان هناك من يحرك عملية استغلاله باستمرار ، وتحويله الى عقدة يكفر

عنها بالتعويضات والاعانات

فهل هناك « عقدة » تبتز بها الصهيونية الفاتيكان ؟  
نعم . . . !

وهذا ما كشفت عنه الوثائق الخطيرة التي نشرت أخيراً . .  
فقد أزيح الستار لأول مرة عن جزء جديد من أرشيفات  
الأوراق الخاصة بالدولة النازية الهتلرية ، وكان الجزء  
الجديد خاصاً بالعلاقة بين ألمانيا النازية والبابا الأسبق ،  
بيوس الثاني عشر . .

ان « النازية » هي إحدى الخطايا الكبرى للحضارة  
في القرن العشرين . خطيئة يتنصل منها الآن كل فرد وكل  
مؤسسة ، كما يتهرب السليم من الاجرب . .

فهل يمكن ان يكون البابا نفسه ، بمركزه الروحي  
الـهـائل ، قد أنزلق ، أيام المد النازي الرهيب ، الى  
تأييده ؟ . .

لعلنا نذكر مسرحية « المندوب » التي اثارت ضجة  
كبيرة في العالم سنة ١٩٦٤ ، والتي دارت حول البابا  
بيوس الثاني عشر ، وسكوته خلال الحرب العالمية الثانية ،  
بينما جنود هتلر يجمعون أنيهود من الشوارع المحيطة  
بـالفاتيكان ذاتها ، الى حيث كانوا يبادون في غرف الغاز  
. . سكوته رغم معارضة بعض رجال الكنيسة له ، سكوته  
رغم ان الامور وصلت في أوروبا الى درجة لا تسمح  
لاحد بالسكوت أو الحياد السلبي . .

وكانت الطريقة التي استغلت بها المسرحية تتم عن  
ابتزاز واضح للكنيسة الكاثوليكية وتهديد لها بكشف  
هذه الصفحة . .

وقد جاءت الوثائق الرسمية التي أذيعت أخيراً -

ولعل أذاعتها أيضا ليست مصادفة - لتؤكد ان ما ذهبت  
اليه المسرحية ، فى أساسه صحيح ..

ولكن ماهو « المنزلق » الذى انزلق منه البابا بيوس  
الثانى عشر الى تأييد هتلر أو السكوت عنه ؟ ..  
ان البابا بيوس الثانى عشر ، قضى سبعة عشر عاما من  
حياته فى الكنيسة ، يعمل فى المانيا ، قبل ان ينتخب  
للبابوية . وشهد هناك فترة العشرينات والثلاثينات حين  
كادت الحركة الشيوعية تستولى على الحكم فى المانيا  
ثم لم يقهرها الا لجوء الرأسمالية الى دكتاتورية هتلر  
لتدميرها ..

والذى يبدو لى ، من قراءة الوثائق المنشورة ، انه منذ  
ذلك الوقت تكون لديه اقتناع مبسط : ان الشيوعية  
بوصفها دعوة الحادية ، هى الخصم الاعظم للكنيسة ،  
والنازية هى الاسلوب الوحيد الذى نجح فى وقف  
الشيوعية . وبالتالي فعلى الكنيسة ان تقف من النازية  
موقفا مؤيدا .. أو موقفا غير معاد على الاقل  
هذا التفسير ، يؤكد تصرف البابا بعد ذلك خلال  
الحرب العالمية الثانية . فمن بين الوثائق المنشورة ، على  
سبيل المثال :

فى يوم ٢ مارس ١٩٣٩ ، انتخب بيوس الثانى عشر بابا  
على الكنيسة الكاثوليكية . وفى يوم ٦ مارس أرسل  
خطابا الى هتلر ، ينبئه بهذا الامر

والخطاب نفسه أجراء روتينى ، يرسله أى بابا جديد  
الى رؤساء الدول المختلفة لدى انتخابه . . ولكن الباحثين  
فى أرشيف الدولة الهتلرية وفى أرشيف الفاتيكان نفسه  
لاحظوا أمرين : الاول ان الخطاب المرسل الى هتلر هو  
أطول الخطابات المرسلة الى رؤساء الدول وأكثرها حرارة ،  
والثانى ان البابا قد وقع بيده ، لا على الخطاب الاصلى



المكتوب باللغة اللاتينية كالعادة ، ولكن أيضا على الترجمة المرفقة بالخطاب

وبعد ارسال الخطاب بأسبوع تقريبا ، ارسل «بيرجن» السفير الالماني في الفاتيكان رسالة الى وزير خارجيته في برلين « فون ريبنتروب » يقول فيها ان البابا تعمد أن يشعره بأن أول خطاب أرسله الى رئيس دولة كان خطابه الى هتلر

ولم تكذ تمضى أسابيع على انتخاب البابا ، حتى كانت الازمة التي ساقطت الى الحرب العالمية الثانية قد انفجرت، وهي ازمة مطالبة هتلر بضم اجزاء من بولندا الى بلاده ماذا كان رد فعل البابا خلال هذه الازمة ، مع ملاحظة ان بولندا حتى ذلك الوقت كانت أكثر دول أوروبا كاثوليكية تقريبا ؟

أرسل الى « بيك » رئيس بولندا يقترح عليه اعطاء الاقليات الالمانية مزايا جديدة . ثم أرسل اليه مرة أخرى يقول له « ان اعطاء دانتزيغ ويويلنيا الى المانيا قد ينقذ السلام » ويومها ثار « بيك » ورد عليه قائلا : ان نشر رسائل البابا سوف يصدّم الرأى العام البولندى الكاثولى واشتعلت الحرب ، اذ اجتاحت هتلر بولندا كما هو معروف فى سبتمبر ١٩٣٩ ، أى بعد ستة أشهر فقط من انتخاب البابا السيىء الحظ !

وبتاريخ أول يناير ١٩٤٠ ، أى بعد نشوب الحرب واجتياح بولندا وتحطيمها بأربعة أشهر ، أرسل القائم بأعمال سفارة المانيا فى الفاتيكان رسالة يسجل فيها مقابله الاخيرة للبابا ، ويروى فيها ان البابا أبقاه لديه أكثر من الوقت الرسمي المحدد للزيارة ، وانه قال له خلال المقابلة أن ما يشـعـاع عن نفور البابا من النظم الشيوعية « الدكتاتورية » غير صحيح . بدليل علاقاته

الطبعة مع النظام الايطالى القائم « وهو نظام موسولينى  
الفاشستى »

وقد كان البابا يصدر بيانات يعرب فيها عن أسفه ،  
بوجه عام ، على الدم المراق ، عندما هاجمت المانيا  
بولندا ، وبعد ذلك هولندا ، وبلجيكا ، وفرنسا . ولكن  
لوحظ انه لم يصدر حتى مجرد بيان عام عندما هاجم  
هتلر النرويج والدانيمارك . ولوحظ ان جريدة « اوسر  
فاتورى رومنو » الناطقة بلسان البابا ، كتبت فى اليوم  
التالى لهذا الهجوم الاخير تقول : « انه لا يوجد فى النرويج  
سوى ٢٠٠٠ كاثوليكي فقط . واذا كان البابا له رايه فى  
الموقف من الناحية الاخلاقية ، الا انه ، من الناحية  
العملية ، يجب ان يفكر فى مصر ٣٥ مليون كاثوليكي  
يعيشون فى المانيا »

وفى ارشيف المانيا الهتلرية ، ان المندوب البابوى فى  
المانيا كان يقابل مدير ادارة البروتوكول فى وزارة الخارجية  
الالمانية يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ ، خلال اجتياح  
القوات الالمانية لفرنسا ، فقال له انه مسرور للغاية من  
الانتصارات العسكرية الالمانية ، وانه يتمنى الا تتأخر  
ايطاليا فى دخول الحرب الى جانب هتلر ، وكان هذا  
الحديث قبل دخول ايطاليا الحرب بساعات !

الوثائق التى نشرت أخيرا حافلة بهذا النوع من  
التقارير . لا أظن ، بعد تقديمها كنماذج ، انه من المهم  
سرد الكثير منها . ولكن من المهم القفز الى الوثائق  
الخاصة بسنوات الحرب الاخيرة ، عندما بدأت المانيا  
النازية تنهار ، وبدأت القوات السوفيتية تزحف من  
اطراف آسيا الى قلب أوروبا . .

ففى سنة ١٩٤٣ ، توجد خطابات - نشرت - كتبها  
السفراء الالمان لدى الفاتيكان ، خلاصتها : ان البابا يقول

ان هناك أرضا مشتركة بين الكنيسة والمانيا هي محاربة الشيوعية . وانه لذلك لا يمكن العمل من أجل اعلان هدنة بين الحلفاء الغربيين وهتلر ، تسمح له بتركيز كل قوته ضد الاتحاد السوفييتي بل يجب ان يقوم بين هتلر والحلفاء الغربيين تحالف ايجابي ضد الاتحاد السوفييتي وعندما أخذ الحلفاء موقفا ، عدم التفاهم مع المانيا الا بعد التسليم بدون قيد ولا شرط . . . . . ثقلت التمارير المنشورة ان البابا كان معترضا على هذا الموقف من هتلر وفي تلك الاوقات بالذات ، اشتدت حركة النازية ضد اليهود ، وتمت واقعة القبض على يهود روما بالذات ولم يتحرك البابا : لانه كان لا يريد أن يسهم في اضعاف موقف المانيا ، اننى ظل يعتقد انها الحاجز الوحيد ضد غزو الشيوعية لاوروبا

ومن يقرأ الوثائق المنشورة سوف يلاحظ ان هذا « التفاهم المتبادل » بين البابا وهتلر ، ليس معناه ان العلاقات بينهما كانت « سمنا على غسل » . فقد كانت تمر بفترات بالغة الصعوبة والتوتر ، واكن هذا كله كان يقف عند حد معين لا تتعداه : محافظة على اقتناع البابا بفكرة ان المانيا الهتلرية هي الحـاجـز الوحيد ضد الشيوعية . . .

والذى زاد وضع البابا صعوبة ، ان رايه هذا لم يكن يوافقه فيه كل رجال الكنيسة الكاثوليكية ، خصوصا الذين تعرضوا لمحنة الاحتلال النازي في فرنسا وبولندا وغيرها . وهنا ايضا تنم الوثائق عن انه كان هناك صراع حاد داخل الكنيسة الكاثوليكية حول الموقف من النازية بوصفها عدوانا على كل الشعوب والاجناس وحين نعود الى أسماء أقطاب الكنيسة الكاثوليكية التى ظهرت على السطح فى مؤتمر الفاتيكان الاخير ، والتى

اشتهر بينها الجدل حول وثيقة تبرئة اليهود وغيرها من الوثائق ، نجد انها نفس الاسماء تقريبا ، التي اختلفت حول قضية الموقف من النازية ، منذ خمس وعشرين سنة . وكلهم كرادلة فوق السبعين من العمر !

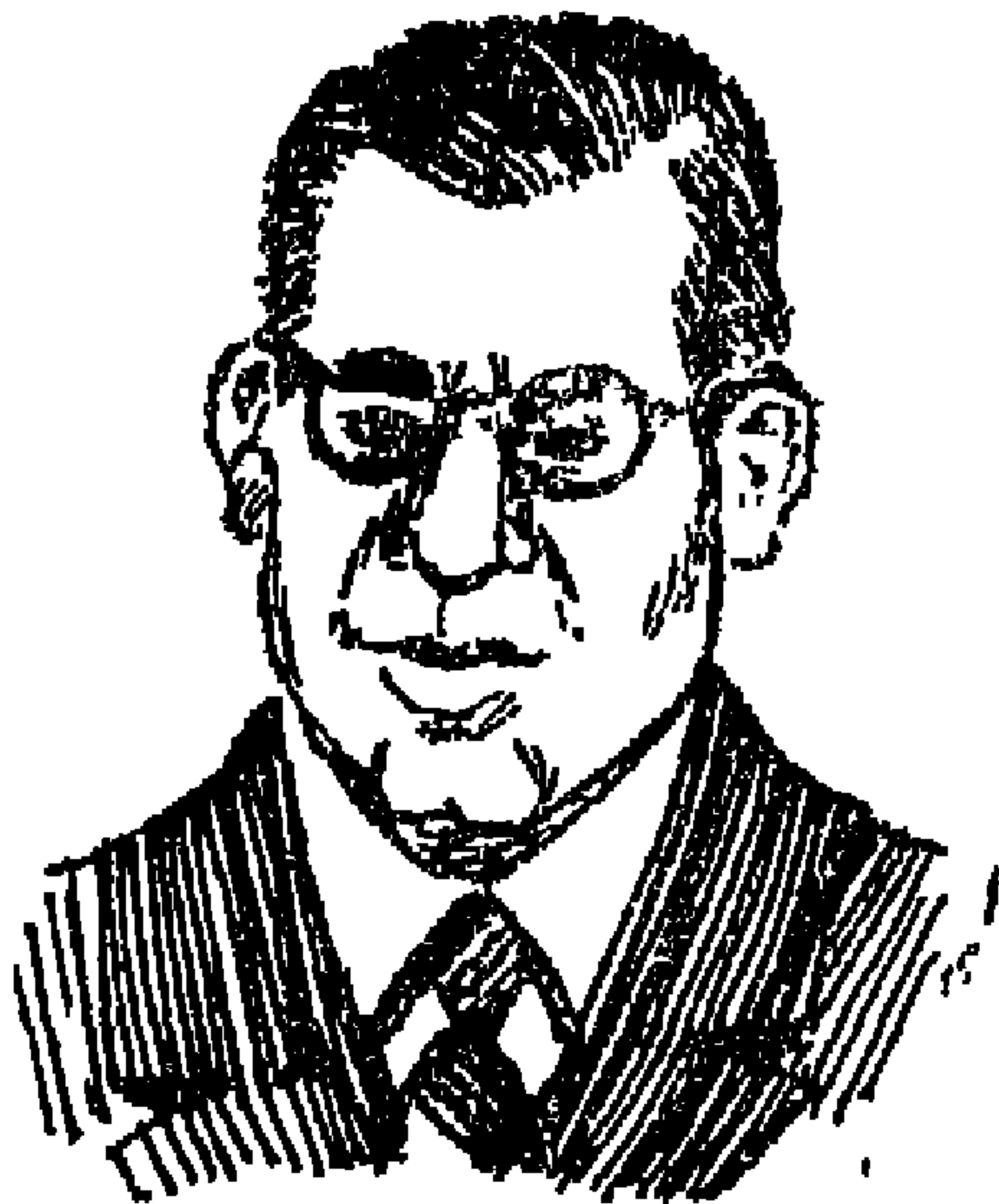
وهذا كله بالطبع غير خاف على اسرائيل ولا على الصهيونية العالمية ، ومن هذه الثغرة تستطيع بالتأكيد ان تمارس داخل الفاتيكان افعالا من نوع الارهاب الذي تمارسه علنا في المانيا الغربية : بتهديد كل سياسى وكل موظف كبير بكشف علاقته القديمة مع النازى للتشهير به وتدمير مستقبله . . فى الوقت الذى تمارس فيه جهدها على مستوى آخر ، للربط بين قضية « التحرر » بوجه عام وقضية « اسرائيل » السدولة ، والصهيونية الحركة ، لا اليهودية كدين فحسب . .

تلك هى طبيعة الارض التى نواجهها فى هذه المشكلة . بتعقيداتها المختلفة وابعادها الواقعية : وتصرفنا - خصوصا الدعائى - ازاءها يجب ان يكون شئنا آخر غير مجرد رد الفعل الصارخ العصبى ، تصرفنا يجب ان يؤكد على عدة معان هامة لتطورنا القومى والاجتماعى كله - ان مبادئ التحرر والتسامح والبعد عن العنصرية هى مبادئنا ، وان اسرائيل هى مظهر حركة عنصرية رجعية هى الصهيونية ، وهى تركلة اضطهادات اوروبية غير عربية ، وان الفهم الحقيقى لقضايا التحرر والمساواة هو الى جانب العرب لا ضدهم ، وعلى العرب اخذ زمام المبادرة فى هذا المجال . .

- اننا مستعدون دائما لنكشف كل محاولة اسرائيلية لاستغلال الدين والهيئات الدينية فى قضايا سياسية فنحن لن نقبل ان تسوى أوروبا تركتها العنصرية والسياسية الثقيلة . . على حسابنا !

## أبا إيبان والقومية العربية

أبا إيبان ، اليهودي الفلسطيني ، الذي  
يجيد اللغة العربية ، وتعمق في دراسة  
التاريخ العرب والتراث العرب ، وتقدم  
مؤلفاته توفيق الحكيم إلى اللغة العبرية  
يشعر بأنه في القومية العربية .  
والوحدة العربية



الكتاب الذى اقدمه فى هذا الفصل يوضح لنا نقطة الارتكاز التى يقف عليها التفكير الاسرائيلى والدعوة الاسرائيلية فيما يتعلق بنا . انه كتاب يتحدث عنا نحن العرب وعن حركة القومية العربية ، كتاب يحاول ان يفلسف الماضى والحاضر والمستقبل . اما مؤلفه فهو من أبرز الاسماء السياسية والفكرية فى اسرائيل

ان المؤلف هو « ابا ايبان » اليهودى الفلسطينى الذى يجيد اللغة العربية ، ويتعمق فى دراسة التاريخ العربى والتراث العربى والذى شغل منذ سنوات منصب مندوب اسرائيل فى الامم المتحدة ثم سفيرها فى أمريكا

كان ابا ايبان قبل الحرب العالمية الثانية يقوم بتدريس اللغة العربية والادب العربى فى جامعة كامبريدج ، ويومها نشرت صحفنا اسمه لاول مرة عندما ترجم رواية توفيق الحكيم الشهيرة ( يوميات نائب فى الارياف ) . ولما قامت الحرب العالمية ، عملت المنظمات الصهيونية على تعيينه ضابط اتصال لدى قيادة القوات البريطانية فى القدس لينظم علاقتها بالمتطوعين الصهيونيين . واشترك ابا ايبان بعد ذلك فى كل الاحداث التى أدت الى ظهور اسرائيل . ثم ارسلته اسرائيل ليكون اول ممثل لها فى الامم المتحدة ثم ليكون سفيراً لها فى واشنطن . . .

والكتاب اسمه « موجة القومية »

فى البدء ، يدافع ابا ايبان عن فكرة القومية بوجه عام . فيقول ان البلاد التى تتهم الحركات القومية بالتعصب وضيق الافق هى البلاد التى اكتملت حركتها القومية . فكل بلد كان دائما يتحمس لقوميته ، ولكنه يتهم قومية الاخرين بالتعصب ! ثم يقول ان محاولة احلال ( العالمية ) محل القومية خطأ . لان القومية والعالمية ليستا شيئين متعارضين . فالعالمية هى مجموع من الوحدات القومية . وتعدد اللغات والثقافات وتنوع التراث الفنى ، وغير ذلك من مميزات القوميات المختلفة، كلها اشياء تساهم فى اثراء العالم وتنويعه . ان وجودها فى العالم يشبه احتواء العالم على سهول وبحار وانهار وغابات ووديان ، مما يجعل انعام اكثر جمالا واكثر ثراء . .

ثم يقول المؤلف : ان مركز الحركات القومية التى تشغل العالم الان قد انتقل من أوروبا الى اسيا وافريقيا . وبعد ان يذكر عددا من هذه الحركات يقول : ان اكثرها سطوعا وبزوغا كان ولا شك تحرر الامة العربية وتقديمها فى الطريق نحو هذه الحرية ( فقد حقق العرب استقلالهم فى ظل اكثر من ١٠ دول عربية مستقلة عدد سكانها اكثر من ٨٠ مليوناً ومساحتها اربعة ملايين ميل مربع ، تنبعث ثروات طبيعية هائلة ، وتضم مراكز الحضارة العربية التى وصل فيها العقل العربى الى اقصى درجات الاشعاع ، مثل القاهرة ودمشق وبغداد والمدن المقدسة فى شبه الجزيرة العربية . ثم يقول : انه لم يحدث فى تاريخ العرب ان كانت لديهم الفرص الهائلة ، سياسيا واقتصاديا ، التى تتوافر امامهم الان . . فرص ضخمة تزيدها ذكريات المجد ثراء » . .

وبعد سطور اخرى من التقريظ والاعجاب يضع  
أبا ايوان أول نصل حاد تحت هذا الحرير فيقول : ( . .  
ولكن القومية العربية ، رغم كل هذه النتائج الباهرة ،  
لا تواجه العالم بوجه سعيد بالنصر ، بل تواجهه بمرارة  
عنيفة )

هذه الفقرة العابرة ، تتفرع منها في أنحاء الكتاب  
خيوط كثيرة رقيقة ، تحاول ان تنسج لدى القارئ  
احساسا بأن العرب يجب ان يكونوا راضين قانعين  
سعداء بما حققوه ، وأنه ليس هناك ما يستحق مرارتهم  
ابدا . ويكمل هذا ان المؤلف لا يشير في كل الكتاب بكلمة  
واحدة الى الطريقة التي ولدت بها اسرائيل . ولا يشير  
بكلمة واحدة الى ان هناك شيئا اسمه مليون لاجيء ،  
فهو يعرف انه يخفي أسبابا قوية للمرارة

ونعود الى منطق أبا ايوان . . فنجد انه يقول ان هذه  
المرارة ترجع الى ثلاث حلقات من التوتر ، يسجلها بهذا  
الترتيب :

الأولى - توتر علاقات العرب ببعضهم البعض

الثانية - توتر علاقتهم بالغرب

الثالثة والاخيرة - توتر علاقتهم باسرائيل

وتفسير أبا ايوان لما يسميه توتر العلاقات بين العرب  
انفسهم يرجع في رأيه الى وجود تياران : تيار يحاول جذب  
البلاد العربية في اتجاه الوحدة والمركزية ، وتيار يحاول  
أن يدافع عن تنوع الاقطار العربية وتعددتها واختلاف  
ظروفها وضرورة تحقيق اللامركزية فيها . وصراع هذين  
التيارين في رأى أبا ايوان هو السبب الاكبر في كل توتر  
في العلاقات العربية ، وبالتالي في المنطقة بوجه عام . .



وفي صراحة كاملة ، وحماسة بالغة ، ينضم أبا اييان الى ( التيار الثانى ) الذى يعارض الاتجاه العربى الى مزيد من الوحدة ، ويشغل صفحات كثيرة من كتابه في سرد الشواهد السياسية والتاريخية والفكرية والاقتصادية التى تبرر وجهة نظره ..

وهذه عينة من هذه الادلة :

البلاد العربية ، تاريخيا ، تعودت ان تعيش دولا متفرقة . . وفي الفترات القصيرة التى اتحدت فيها ، كان توحيدها بالغزو العسكرى لا بالرضى والاختيار ..

طبيعة العرب هى ان يعيشوا منفصلين لا ان يعيشوا متحدين . وقد عاشوا منفصلين حتى في فترات استقلالهم . فليس صحيحا ان تفرق العرب وانفصالهم يرجعان الى تأمر الدول الاجنبية الكبرى او تدخلها ..

صحيح ان الثقافة العربية واحدة والتراث العربى واحد واللغة العربية واحدة . وصحيح ايضا ان التكوين النفسى والدوافع العاطفية للعرب واحدة . وصحيح ان هناك طريقة في التفكير والتكلام ، في الحزن والفرح ، في الحب والكراهية ، خاصة بالعرب وحدهم . ولكن هذا كله لا يؤدى حتما الى الوحدة السياسية . فدول امريكا اللاتينية مثلا بينها هذا التشابه دون ان تخطر الوحدة ببالها ، فلا تصمدقوا ان هذه العوامل المشتركة تؤدى حتما الى تدمير الحدود السياسية الحالية بين الدول العربية والى خلق دولة عربية واحدة ..

في صفحات كثيرة ، يدق أبا اييان بشدة على هذه الحجج . . يريد أن يحفر في الازهان فكرة واحدة : هى ان القومية العربية والتحرر العربى لا علاقة لهما بالدعوة

الى الوحدة . . ومن يقرأ الكتاب يجد ان ابا ايوان يحس احساسا قويا ان هناك شعورا عارما بحتمية هذه الوحدة . وهو يعرف ان هذا الشعور في حد ذاته خطوة هامة في طريق الوحدة . فهو يحاول ان يزعم هذه الحتمية . .

ومن الممكن طبعا تعقب كل هذه الحجج واحدة بعد الاخرى . ولكنه قد يكون من الاسهل هنا ان نريح السيد ابا ايوان . . ونقول له : ثم ماذا . . بعد هذه الحجج كلها ؟ . . لنفرض ان العرب لم يتحدوا حقا منذ الف سنة . هل تشك حقا في انهم ( يريدون ) اليوم ان يكونوا متحدين ؟ وانهم يرون مصلحتهم في هذا الاتحاد ؟ . .

ثم . . هل كان لليهود دولة واحدة منذ آلاف السنين بل . . هل عاشوا معا منذ آلاف انسين ؟ . . هل تشترك في عمليات احضار اليهود من كل انحاء الارض . . من اليمن الى روسيا الى امريكا الى المانيا . . ناس لم يلتقوا قط ، ولم تتصل الارض بينهم قط ، ولم يكونوا قومية واحدة قط . . . هل تقوم بهذا كله ، وتبرره ، ثم تريدنا ان نصدق ان العرب . . بكل هذه الظروف التي تجمع بينهم ، لا يصلحون لان يتحدوا ؟ !

ان هذا الشوب العلمى لا يخفى الدعوة السياسية السافرة . اسرائيل تريد ان تبقى الدول العربية ممزقة لان هذه هي مصلحتها الاساسية . .

وابا ايوان بعد كل هذا المجهود يحس انه ما زال يقف ضد التيار . . وان حججه واهة كسدود الطين التي يجرفها النهر ، فياجأ الى الدفاع قائلا : ان هناك نعمة شائعة الان في كل مكان من العالم تقول : يجب ان نتفاهم مع القومية العربية ! يجب ان نعترف بالقومية العربية ! واذا كان هذا معناه ان تبقى البلاد العربية

متمتعة بحق الانفصال فليس على هذا أى غبار ، اما اذا كان معنى هذا « الاعتراف بحق احدى الدول العربية فى ان تضم اليها الدول العربية الاخرى بوسائل مختلفة .. فهنا الخطأ والخطيئة » ..

وأبا ايوان يعرف طبعا ان مسألة « ضم » احدى الدول العربية بالقوة غير واردة . وهو يعرف جيدا ان مصر وسوريا مثلا حين اختارتا الوحدة ، كان اختيارهما حرا حرية كاملة . ولكنه هنا فى الواقع ، انما يحسب ان متقهقرا . انه يشعر انه خسر نصف المعركة ، اذ ان العالم قد اعترف فعلا بأن هناك شيئا اسمه القومية العربية . ولو ان ابا ايوان كتب كتابه هذا منذ عشر سنوات مثلا لقال انه لا يوجد شئ اسمه القومية العربية . ولكنه الان ، وقد اصبح عاجزا عن محو فكرة القومية العربية ، يحاول الا يخسر نصف المعركة الآخر .. يحاول ان يوقفها فى اذهان الناس عند هذا الحد .. يحاول ان يحول بينها وبين ان تتطور الى فكرة الوحدة

القومية العربية شئ .. وأى وحدة عربية شئ آخر ، هذه هى الفكرة التى يدور حولها بألف وسيلة ووسيلة ! وبعد ان يشن ابا ايوان حملة على عبد الناصر ، يقول : ان هناك فى العالم من ينتصرون لعبد الناصر فى خلافه مع بعض خصومه فى البلاد العربية بسبب ان خصومه رجعيون . ثم يستطرد قائلا : ان القوانين الدولية ومواثيق الامم المتحدة تحمى كل الحكومات ، سواء أكانت رجعية أم غير رجعية !

طبعا القوانين الدولية تحمى كل حكومة سواء أكانت رجعية أم غير رجعية ، ولكنه بقوله هذا انما يستند الى حجة واهية جديدة ..

الخلافا هنا أيضا يرجع الى ان ابا ايبان لا يريد ان يعترف بوحدة الامة العربية التي تؤمن بها نحن ، وایماننا بوحدة الامة العربية معناه اننى هنا فى القاهرة مثلا اشعر اننى انتمى الى نفس الشعب الذى يسكن فى اى قطر عربى . الاحساس الذى يربطنى بالمواطن الذى يسكن الخرطوم مثلا او بغداد او عمان ، لا يختلف عن الاحساس الذى يربطنى بالمواطن الذى يسكن طنطا او الاسكندرية . الحظ ينتظرنا واحد والمستقبل الذى نصنعه واحد . وبقاء الرجعية او الاستعمار فى قطر عربى معناه بالتالى ان الرجعية او الاستعمار ما زالا موجودين فى « الوطن » العربى وما زال يقاسى منهما « الشعب » العربى !

وانه لمن الغريب حقا ان يصدر هذا الكلام عن اسرائيل بالذات . اسرائيل التى لديها قانون يبيع لها ان تحاكم كل من اساء الى يهودى فى اى بقعة من العالم ! فاسرائيل تعلن انها وكيلة كل من يعتنق الديانة اليهودية سواء اكان انجليزيا ام امريكيا ام يابانيا !!

ويجب ان اذكر بهذه المناسبة ان ابا ايبان يبنى كتابه طبعا على اساس ان اليهودية قومية . وهو افتراض خاطيء تماما ، وافتراض رجعى الى اقصى الحدود . فما كان الدين ابدا قومية . فالاديان تتجه الى جميع القوميات . وكل قومية تشتمل على اكثر من دين . وافتراض اسرائيل ان اليهودية قومية معناه اعتراف منها بان مئات الالوف من العرب الذين يعيشون فى فلسطين لا يمكن ان يحملوا نفس قومية دولة اسرائيل ، لانهم مسلمون ومسيحيون . وهو بالتالى اعتراف بان الدولة التى يقيمونها تنطوى على تفرقة عنصرية صريحة وصارخة !

وان برنامجها بالتالى ينطوى ولا بد على واحد من اهرين  
اما طرد العرب من بلادهم مرة اخرى ، واما ابقاءهم على  
اساس وجود درجتين من المواطنين ..

الى هنا ينتهى كلام ابا ايبان عن اول اسباب التوتر  
فى رأيه ، وهو « التوتر داخل العلاقات العربية »



السبب الثانى من اسباب التوتر فى رأى ابا ايبان هو  
توتر العلاقات بين العرب وبين الدول الغربية ..

وهنا ايضا ، يريد ابا ايبان ان يقول شيئا هاما : يقول  
ان هناك فكرة بدأت تشيع فى دوائر الغرب تقول ان  
اسرائيل هى السبب الوحيد لسوء العلاقات بين العرب  
والدول الغربية .. وأن علاقات العرب بالدول الغربية  
يمكن ان تتحسن كثيرا .. لولا اسرائيل !

ويحاول ابا ايبان أن يعمل على اقويض هذه الفكرة  
بكل ما يملك من قوة . لانه لا يريد ابدا ان تفكر الدول  
الغربية لحظة واحدة فى ان تختار بين اسرائيل والامة  
العربية التى تزداد قوة وأهمية ! وهو من أجل هذا يدخل  
فى بحث تاريخى ليثبت ان علاقات العرب بالدول الغربية  
سيئة من الاصل ، وان اسرائيل ليست السبب فى هذا  
أبدا !

فهو يقول ان نظرة العرب الى الغرب مرت بثلاث  
مراحل : فى المرحلة الاولى كان العرب ينظرون الى أوروبا  
نظرة ازدراء واستهزاء ، وذلك ايام تفوق الحضارة  
العربية ، فى حين كانت أوروبا غارقة فى الظلام . ويقول  
ابا ايبان ان العرب معهم حق فى هذه النظرة .. وهو  
ينقل فقرة من كتاب « المسعودى » المؤرخ العربى القديم

يتوّل فيها عن الاوربيين ما معناه : « ان دمهم بارد ، اجسادهم ضخمة ، أجلاف ، عاداتهم خشنة ، فهمهم غبي ، والسنتهم ثقيلة ! » ، والمرحلة الثانية كانت بالعكس ، مرحلة خضوع العرب لاوروبا واعترافهم بسيطرتها وتفوقها خلال فترة انهيارهم . ثم المرحلة الثالثة التي نعيشها الان . . . ويقول عنها ابا اييان : ان العرب فيها لايشعرون نحوها بالخضوع . ولكن المشكلة ان البعض منهم يصر على أن النفوذ الاستعماري لم يندثر بعد . ان هؤلاء البعض من العرب لا يكتفون بأنهم حققوا المساواة مع الغرب ، بل يصممون على « تسوية الحساب » والانتقام من اخطاء الماضي . المهم في هذه النقطة هو ما ينطلق ابا اييان الى محاولة تأكيده حين يقول : ان الازمة بين العرب وبين اسرائيل ازمة سطحية عابرة بسيطة اذا قيست بالازمة الاصلية العميقة بين العرب والدول الغربية ، فلا تصدق ايتهها الدول الغربية ان اسرائيل هي سبب غضب العرب عليك . . . بدليل ان علاقات الدول الغربية سيئة مع عدد كبير من الدول الافريقية والاسيوية ، لاسباب لا علاقة لها باسرائيل !

ولا شك ان اسباب خلافاتنا مع الغرب كثيرة ، ولكن من الواضح طبعا ان اسرائيل سبب رئيسي . وهو بعد ان ادعى انه لم يعد هناك اي استعمار ، ذكر بنفسه اندونيسيا حيث كان الاستعمار ساعة صدور كتابه يحتل اجزاء من البلاد ، وذكر الجزائر حينما كان الاستعمار يذبح المواطنين العرب ويشردهم ويريد سلخ هذا القطر من الوجود العربي ( كأن ابا اييان أيضا لا يعترف بأن الجزائر عربية . فهو بذلك قد رد بنفسه على ادعائه ان الاستعمار قد انتهى ولم يبق منه الا حساب الماضي فحسب . ولكن كلامه عن الغرب والعرب يكشف

لنا جانباً رئيسياً في تكتيك إسرائيل السياسي ، وما تبذله من مجهود لاقتناع العرب بأن إسرائيل لا علاقة لها بمشاكل الغرب معنا !

بقى السبب الثالث للتوتر وهو : العلاقة بين القومية العربية وإسرائيل !

ومرة أخرى يحاول أبا إيبان أن ينفي ما يقال من أن إسرائيل هي سبب الماراة التي يحملها العرب نحو البلاد المستولة في نظر العرب عن وجود إسرائيل . وهو يقول أنه لا انتراض لديه على القومية العربية ما دامت لا تغير من الوضع القديم ، وهو تعدد الحكومات العربية وتذرعها « طبعاً » . . . وأن عيب القومية العربية الثاني في نظره « بعد عيب السعى إلى الوحدة » هو أنها لا تريد لغيرها ما تريده لنفسها . . فهي لا تريد للقومية الإسرائيلية ما تريده لنفسها !

وقد شرحت فيما سبق لماذا لا يوجد شيء اسمه قومية يهودية . .

وحتى إذا افترضنا جدلاً أن هذه القومية موجودة فإن الاعتراف الذي يريده أبا إيبان معناه أن أي قومية أخرى تستطيع أن تأتي من أي مكان في العالم ، ثم تذبح مئات الألوف من أبناء قوميتي ، وتطرد مليوناً منهم ، وتحتل أرضهم بالقوة . . لأنها تريد أن يكون لها قطعة أرض في هذا المكان بالذات !

أن أبا إيبان يختم كلامه بالحديث عن ميثاق الأمم المتحدة ، وكيف أن كل التصرفات يجب أن تكون بناء عليه ، وفي مقدمتها احترام الشعوب والحكومات المستقلة . .

ونحن نوافق طبعاً على احترام ميثاق الأمم المتحدة  
وضرورة السير على أحكامه . .

ولكن من أي تاريخ يبدأ هذا الاحترام ؟  
هل يبدأ من لحظة وضع هذا الميثاق ؟ . . . إذن فإن  
إيجاد إسرائيل في حد ذاته كان أكبر عدوان على ميثاق  
الأمم المتحدة إلى الآن . .  
أم إن أبا إيبان يريد أن يبدأ احترام ميثاق الأمم  
المتحدة من لحظة وجود إسرائيل ، أي من لحظة فوز  
المعتدى بنتيجة عدوانه ؟



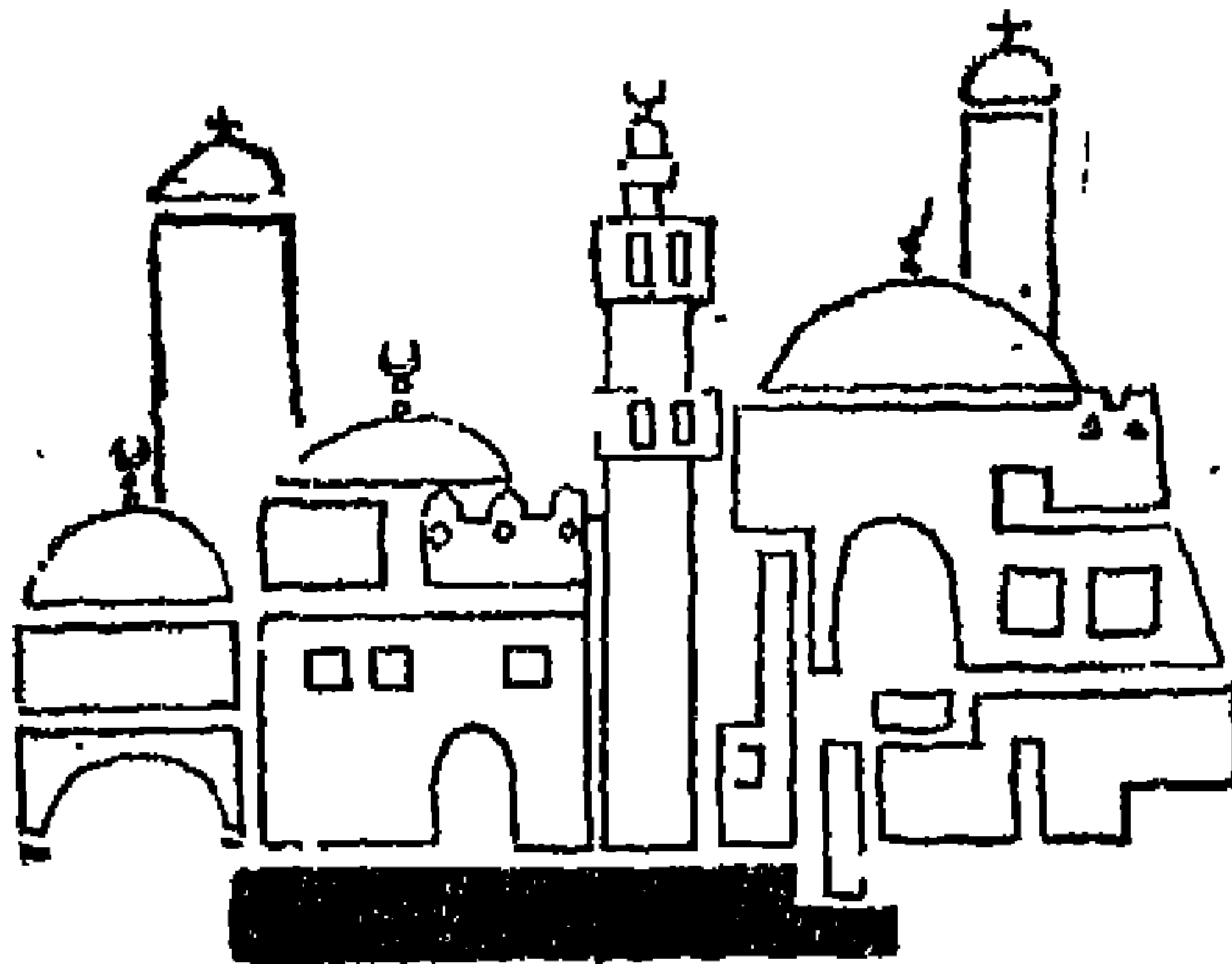
## أقدار متصادمة

لقد دح القرب أبواب هذا الشرح العربي مرتين  
يفصل بينهما أكثر من مائة وخمسين سنة :

المرّة الأولى : حين جاء نابليون على رأس الجيش  
الفرنسي ليحتل مصر ، وليغزو هذا الشرح كله !

والمرّة الثانية : حين جاءت إسرائيل منبثة  
من قلب أدويل ..

فماذا عن المستقبل ؟



عنوان هذا الفصل « اقدار متصادمة » المستعيره من كتاب بهذا العنوان للمؤلفين الصهيونيين جون ودافيسد كيشى . .

ويقصد المؤلفان بالأقدار المتصادمة ، اقدار العرب . . وأقدار اسرائيل : فكأن الامانى القومية العربية والامانى القومية الاسرائيلية قد بعثت فى وقت واحد تقريبا . . . لكى يقع بينهما هذا الصدام الذى ما زال قائما ، كل من الطرفين كامن متحفز للآخر على أحد جانبي الجبل . . . واذا كنت أريد من وراء هذا الكلام شيئا ، فهو : ان ينظر قومي الى المسألة بأعمق مما ينظرون ، وأن يستخلصوا من البحث نتائج العميقة بأشجع مما يفعلون الآن . .

واذا كان عجزنا ازاء اسرائيل فى الماضى سببه هو اننا كنا « متخلفين » فلا بأس من ان نعترف بهذه الحقيقة . لاننا بهذا الاعتراف وحده ، يمكن ان نصل حقا الى علاج صحيح . . .

انها اقدار متصادمة بالفعل . .

ونتيجة هذا الصدام ستؤثر فى حياتنا الى مدى اطول وعلى نحو اعرض وأعمق مما يتصور المتصورون . . . ولقد دق القدر ابواب هذا الشرق العربى مرتين اساسيتين يفصل بينهما اكثر من مائة وخمسين سنة :

المرّة الأولى ، حين جاء نابليون على رأس الجيش الفرنسي ليحتل مصر ، وليغزو هذا الشرق كله . . فكانت أول مرة منذ اجيال سحيقة من الظلام ، يكتشف فيها أهل هذا الشرق وجود الحضارة الغربية الحديثة الطاغية ، ويعرفون ان ظلام الامبراطورية العثمانية ليس كل شيء . .

والمرّة الثانية ، حين جاءت اسرائيل ، منبثقة ومندفعة من أوروبا نفسها ، على النحو الذي سوف نتأمله بعد قليل .

ونحن الان نضحك ونتعجب ، حين نقرأ في تاريخ « الجبرتي » وصفه لقاء المماليك والشعب لنابليون والجيش الفرنسي . نضحك حين نقرأ ان المماليك خرجوا بالجناد المطهمة والسيوف المذهبة ليقاتلوا مدفعية نابليون الثقيلة . وحين نقرأ ان الدراويش خرجوا بالرايات يرددون الاذكار ليقهر الله جند نابليون ، الزاحفين في مربعات من النار . وربما بغلبنا الاسى ونحن نقرأ الجبرتي وهو يصف الواقعة فيقول « فلما سقط عليهم القنبر ( أى القنابل ) وعابنوه ، ولم يكوئوا قد رأوه أو شاهدوه ، صاحوا : ياسلام ياسلام من هذه الآلام ، ياخفى الالطاف نجنا مما نخاف !! »

ما معنى هذا ؟ . . .

معناه ان دورة الحضارة التي مناتت في بلادنا قرونا طويلة ، بينما انطأقت تدور وتهدر في أوروبا ، كانت قد خلقت هذا الفارق السحيق المخيف

شعبنا لم تكن تنقصه البسالة ، فقد هرب المماليك بلدهم وحربهم وبقى الشعب يثور مرة بعد أخرى . انما كانت تنقصه الحضارة . الحضارة التي هي العلم ، والخبرة ، والثقافة ، والبارود ، وادراك روح العصر سياساته وافكاره وعناصر الصراع فيه . وليس ادل على

ذلك من ان نابليون ، مبعوث اوربا وممثلها القوى ، جاء بأول مطبعة وجاء بعلماء وخبراء يكتشفون بلادنا ، ويرسمون خرائطها ويدرسون مواردها ، ويستكشفون حتى آثارها وتاريخها . ذلك ان المجتمع انراكد المظلم المتخلف كان يعيش فوق هذا كله دون ان يعرفه او يهتم به . كان مجتمعا جف ماء الحياة فيه ، وماتت خلاياه ، وضمرت اطرافه ، وانطفأ سراج عقله . . وان ظل يتأوم ويقدم الضحايا سنة بعد اخرى . . دون ان يصل الى شيء . .

كانت الحملة الفرنسية هي التحدى الخطر والصدمة الكبرى . بعدها لم تعد الامبراطورية التركية ابدا كما كانت . ولم يعد الشرق العربى ابدا كما كان . بدأت الخلايا تتنبه ، والعقل يتحسس ، والقلب ينتفض . بدأت المقاومة هنا وهناك ، تضيء وتخبو ، تحبو وتتعثر ، ولكن فى الطريق الصاعد دائما ، حتى الفصل الاخر ، الفصل الطويل الذى بدأ بالحرب العالمية الاولى والثورة العربية وثورة ١٩١٩ ، وانتهى بالحرب العالمية الثانية . .



وقد بدا ، فى غمرة الآمال التى شماتت العالم كله بعد الحرب الثانية ، وفى موجة ثقة الشعب العربى بما حققه وتفائله بمستقبله ، ان نهاية هذه الحرب ستغسل معها آخر آثار الاستعمار فى الشرق العربى وسستزيل آخر العوائق التى تمنع العرب من الانطلاق . ولكن اوربا كانت تعد للعرب الصدمة الثانية الهائلة : صدمة اسرائيل ! صدمة طرد الشعب العربى طردا ، من جزء هام عزيز من بلاده ، واقامة دولة وشعب غريب دخيل مكانه . والاحتلال العسكرى اهانة . والاستعمار الاقتصادى اهانة . والتفرقة

العنصرية اهانة . ولكن لا أظن ان هناك اهانة تعادل طرد  
الشعب طردا من بلاده وتحويلها الى دولة اخرى  
ولكن ما هي اسرائيل ؟ . .

من الزاوية التي تحدثت عنها في هذا الكتاب ، يهمنى  
اسجل من ملامح اسرائيل ما يلي :

\* ان الصهيونية ، في اساسها ، حركة سياسية  
« دنيوية » وايست حركة دينية . هكذا كانت منذ اوجدها  
واسسها « هرتزل » الى ان توارثها « وايزمان » ثم  
« بن جوريون »

وقد سبق سرد الادلة على هذه الحقيقة .  
فالصهيونية ولدت كحركة سياسية للرد على اضطهاد  
اليهود في شرق اوربا . كانت الفكرة من البداية ان  
احسن حل لهذا الاضطهاد والاحتقار ان يتجمع اليهود -  
او بعضهم - في دولة وجنسية فيكسبون الاحترام  
والمساواة مع الآخرين . اما الدين فكان لابد ان يمتزج  
بالدعوة لسببين ، الاول : هو ان الاضطهاد المنصب عليهم  
كان له طابع ديني ، والثاني : هو ان الدين يصلح شعارا  
عاطفيا لاقتناع اليهود بتأييد الحركة الصهيونية السياسية .  
واما فكرة العودة الى فلسطين بالذات ، فقد اتخذت  
شعارا لاثارة الحماسة العاطفية والدينية . بدليل ان  
بعض القوائم بالحركة ناقشوا مرة فكرة اقامة دولتهم  
في تنجانيقا ، كمستعمرة بعيدة خالية

والدليل الاهم على ذلك هو انه حتى بعد ان اقيمت دولة  
اسرائيل فعلا ، لم يهرع اليهود اليها كما كان الناس يظنون  
انما ذهب اليها فقط الذين يعيشون في بلاد اضطهدوا فيها  
او في بلاد ذات مستوى منخفض من المعيشة . اما يهود  
غرب اوربا مثلا ويهود امريكا ، فلم يذهب منهم احد الي

ارض الميعاد رغم صيحات بن جوريون التي وصلت به -  
من شهور - الى حد اتهام كل يهودى يرفض الحياة في  
اسرائيل بأنه خارج على الديانة اليهودية . وهى التصريحات  
التي اثرت ضجة مازال الجميع يذكرونها . .

\* ان اسرائيل هى بنت اوربا ، وان كانت بنتها غير  
الشرعية . فاضطهاد اليهود في اوربا امر صحيح تاريخيا .  
وكونهم ذبحوا بالآلاف - وبمئات الآلاف - حقيقة واحدة .  
والذى ارتكب هذا الجرم هو حضارة اوربا . الامر الذى  
دفع مئات الآلاف منهم الى الفرار ، فى اعداد قليلة قبل  
النازية وفى اعداد كبيرة بعدها . ولكن هؤلاء المهاجرين كلهم  
أوريون بغير شك . ومن هنا تنشأ علاقتهم المعقدة بأوربا ،  
علاقة ابن السفاح بأبيه . ان الاب فى هذه الحالة يخجل  
من ابنه الذى انجبه سفاحا . انه لا يحب ان يراه الناس أو  
ينسبونه اليه . انه لا يستطيع ان يجعله يعيش معه فى  
بيته تحت سقف واحد ومع أولاده الشرعيين . ولكنه مع  
ذلك لا ينسى انه ابنه وانه ينتمى اليه ، فهو يحرص على  
مساعدته ، والاهتمام بأمره ، عن بعد !

أوربا خجلى من حضارتها التى اثمرت - فيما اثمرت  
من خير وشر - مذابح اليهود . ولكنها ليست مستعدة  
ان تجعلهم يعيشون تحت سقفها . والا لتدفق اليهود الى  
غرب اوربا ولم يبرحوها . فلا بأس بأن يذهبوا الى  
مكان آخر ، على ان تعولهم اوربا وترعاهم

والغريب ان الصهيونيين المتعصبين يساورهم نفس  
الشعور . فاذا كان كثير من اليهود يفضلون لو بقوا فى  
أوربا ، فلا شك ان فيهم الذين يؤمنون بأن اوربا يمكن  
ان تضطهدهم فى اى وقت وانهم لذلك يجب ان تكون  
لهم دولة مستقلة فى مكان ما . ولكن حتى هؤلاء لم يتحولوا

مثلا الى اقامة مجتمع معاد لاوروبا ناظم على اضطهادها له .  
انهم حريصون - بعد ان اقاموا دولتهم - على ان ينتموا  
لاوروبا ويظلوا جزءا لا صقيا بها . . ابن السفاح يبعد عن  
ابيه واخوته الذين لم يولدوا سفاحا ، ولكن يحاول ان  
يكون نفسه وينجح ، ثم يعود للانتساب لهم كما يعود  
الند للند . .

اسرائيل اذن تكونت بفعل الحركة الصهيونية لاقامة  
دولة يهودية من جهة ، وبفعل اوروبا من جهة اخرى .  
وهي تعيش بالدافعين معا . ولكن الخلاصة ان اسرائيل  
هي نطفة من اوروبا تنمو حيث تلامس جلدنا

وما هو وضع امريكا ، وهي صاحبة الدور الاول في  
اقامة دولة اسرائيل ؟ . .

دورها يمكن شرحه في كلمة واحدة : ان كل الاسباب  
التي تجعل امريكا مرتبطة بأوروبا ، تجعلها بالتالي مرتبطة  
باسرائيل !

وقد سمعت من يهودي غير صهيوني في امريكا منذ  
سنة ، ان من اسباب حماسة امريكا بعد الحرب لاقامة  
اسرائيل ، الا تتجه هجرة اليهود الهاربين من النازي . .  
الى امريكا نفسها !

اوروبا اذن . . او الغرب . . او الحضارة الغربية . .  
هي التي ارسلت اسرائيل في النصف الاول من القرن  
العشرين الى الوطن العربي ، كما ارسلت نابليون في النصف  
الاخير من القرن الثامن عشر . . لنفس الاهداف  
الاستعمارية مع الفوارق المعروفة طبعا في سائر الظروف

\*\*\*

فكيف لقيتنا بهذا الترحف الجديد ؟ . .

اننا الآن - لاننا قريبون من المأساة - لا نسترجع  
القصة الا بالحزن والاسى . ولكن الناس بعد مائة سنة  
لن يجدوا هذا الذى حدث اقل غرابة مما حدث حين التقى  
المماليك بالحملة الفرنسية منذ اكثر من مائة وخمسين  
سنة !! .

فالصدام الذى وقع على ارض فلسطين سنة ١٩٤٨ ،  
وما قبلها وما بعدها ، لم يقع بين كذا الف جندي عربى  
وبين كذا الف جندي اسرائيلى . كلا . انما كان الصدام  
بين : اوربا بقوتها الحضارية والمادية . . بسلاطتها  
السياسية وخبثها الدولى من جهة ، وبين العرب بنظمهم  
المفككة ، ونظمهم الاقطاعية ، وفقرهم المادى من جهة  
اخرى . .

كان المماليك فى اواخر القرن السابع عشر احسن من  
حكام العرب وملوكهم سنة ١٩٤٨ . فالمماليك على الاقل  
قاتلوا قبل ان يهربوا بحريمتهم ومجواهراتهم تاركين الشعب  
الذى سرقوه واجاعوه بمفرده . اما فى سنة ١٩٤٨ فقد  
كان بعض الساسة العرب يلتقون بجسولك ماير وموشى  
ديان فى السر لكى بخطط معهما المشاركة التمثيلية التى  
سيتموت فيها آلاف الجنود . وكان فاروق يتساجر  
فى الاسلحة . وكان نورى السعيد وعبد الله يامران  
الجيش العراقى بالأى يتحرك على الاطلاق . . الى آخر  
القصص التى اصبحت حقائق معروفة ذائعة !

فهننا ايضا وجد الشعب نفسه متروكا امام اداة  
ضخمة حديثة هائلة . . وكان الشعب ايضا لا تنقصه  
الشجاعة ولا البسالة . . ولكن تنقصه الاداة !

كانت الصهيونية - باختصار شديد - تمثل الغرب  
بكل قوته ، ومعرفته بأدوات العصر الحديث السياسية



والعلمية والحضارية . . بينما كان الشعب العربي مختنقا  
من الاستعمار الغربى ، ومن الاذئاب المحليين ، ومن مماليك  
القرن العشرين فى صور جديدة . .  
ثم ماذا ؟ . . .

الذين يحبون جمال عبد الناصر فى هذا العالم والذين  
يكرهونه على السواء ، لن يجدوا مفرا ، وهم يؤرخون  
ويحللون الصدام بين أقدار العرب واسرائيل ، من أن  
يقسموا قصة هذا الصدام قسمة حاسمة الى مرحلتين :  
قبل عبد الناصر ، وبعد عبد الناصر . .

لقد نبت من هذا كله جيل جديد كافح على مستويات  
مختلفة وبإمكانيات متباينة فى شتى الاقطار العربية من  
أجل نقلة جديدة فى حياة العرب ، جيل لا شك أن عبد  
الناصر هو أكبر رموزه ، وأكبر من وضع هذه الامال  
موضع التنفيذ

قبل عبد الناصر ، فى حدود الزاوية التى اعانجها فى هذا  
المقال ، ماذا كان هناك ؟ . . .

من ناحية الصهيونية ، نجد أنه من أهم الدراسات التى  
يجب أن نعرفها حقا تاريخ تلك الحركة وعملها الدائب فى  
قلب أوربا وأمريكا منذ ولدت . كيف كانت تستخدم  
الضغط والمساومة ، والرجاء والاملاء . كيف كانت تضع  
فى قلب الشرق الاقطاعى مزارع صهيونية تعاونية مؤسسة  
على أن تكون كل منها وحدة انتاجية واستهلاكية وعسكرية  
محاربة معا ، تكون نقطة للهجوم كما تكون قلعة تصمد  
للحصار فى نفس الوقت . وكيف كانت تؤسس نقابات  
عمالية قوية تمسك بأعصاب المرافق وتتغفل وتقيم  
الصلات فى شرايين الحركات العمالية العالمية من جهة

أخرى . . وكيف انها تدرك في خلال الحرب ان بريطانيا التي منحتها وعد بلفور لن تصبح القوة البازغة في نهاية الحرب ، فتنتقل - الصهيونية - نشاطها الى نيويورك ، ويكمن وازمان هناك ليمارس كل أنواع الضغط والاقناع والمساومة مع روزفلت ثم ترومان ، ليجد ترومان في نهاية الحرب في مركز من يصدر الاوامر الى آتلى في لندن .

وكيف انها حتى في هذا كله لم تففل عن أن روسيا هي القوة الاخرى البازغة ، فهي تحوم حولها ، وتقنعها بأن العرب هم برادع الانجليز وانهم غير موجودين كقوة فعالة، فتحقق ما لم يحققه أحد ، وهو اجتماع أصوات امريكا وروسيا على انشاء دولة اسرائيل . وكيف كانت الصهيونية تقيم مصانع السلاح والذخيرة في قلب فلسطين . . مصانع كاملة نقلتها سرا قبل المعركة التي كانت تعرف انها آتية . . الى اخره . . الى آخره . كانت « أوروبا تمارس كل خبرتها وقوتها وسلطانها ودهائها معا

وفي مقابل ذلك ، من ناحية العرب . . ماذا كان هناك ؟ يلخص الامر كله ان نقول ان كل الطبقات الحاكمة في البلاد العربية كانت لا تخرج عن دائرة بريطانيا ولا ترى سوى شمسها ، منذ أعاد الانجليز خديو مصر الى العرش بقوة السلاح بعد أن أخمدوا الثورة العراقية . . ومنذ لبس لورانس العقال في قيادة الثورة العراقية خلال الحرب العالمية الاولى . . منذ ذلك الوقت لم تر الفئات الحاكمة في كل البلاد العربية شيئا الا انجلترا . ولم تعترف بشيء الا بسلطة الانجليز وسطوتهم وقدرتهم . وهكذا فبالنسبة لفلسطين كان كل الجهد هو رجاء الانجليز ، ومفاوضتهم ، والفضب منهم يوما ، لمهادنتهم يوما آخر . . وانجلترا

وأوروبا كلها تبيعهم يوما بعد يوم .. وهم يقبلون منها  
هذه يوما بعد يوم ! ..



ولقد كانت الشعوب تقاوم هذا كله . وتحاول أن تتغلب  
على تخلفها الرهيب : تارة بانتفاضات شعبية بأسلة تسفح  
الدم ، وتارة بمحاولات فردية بأسلة لنشر نور الوعي أو  
لإقامة منشآت اقتصادية وإنتاجية وعلمية حديثة . ولكن  
هذا الانطلاق إلى العصر الحديث وإلى الحضارة لم يكن  
أبدا جهدا قوميا شاملا تشترك فيه الحكومة مع الشعب  
والمال مع العمل والعلماء مع البسطاء في حركة عضوية  
واحدة ...

.. الا حين بدأت المرحلة التي يرمز لها ويمثلها  
عبد الناصر

والاحداث القريبة معروفة ومذكورة يكفي هنا ذكر بعضها  
\* فصقة الاسلحة ، وتخطيم الاحلاف العسكرية ،  
وتمصير المؤسسات القومية والمالية والإنتاجية ، وتكتيل  
الرأى العام العربى الشعبى فى لحظات خارقة يضغط فيها  
الشعب العربى بأكمله على العدو ضغطة واحدة رغم أنف  
حكوماتها ، والانطلاق فى رحلة الحياذ الجسور حين كان  
طريقها ما يزال شائكاً وعراً مهلكاً .. كل هذا أدى إلى  
وضع جديد تماماً ، هو : ان قوتنا الذاتية  
وارادتنا الذاتية فى مقاومة إسرائيل لم تعد متوقفة على  
رغبة أوروبا أو الغرب كله ، أى على آباء إسرائيل الطبيعيين ،  
كما كان الحال من قبل

ويكفى للدلالة على عمق التحول ، اننا بعد أن كنا

معزولين تائهيـن ، وبعد أن كان ساستنا يذهبون الى الامم المتحدة مثلا أشبه بالقرويين الضائعين في مدينة صاخبة ، بينما الشرق والغرب معا يؤيدان اسرائيل . . أصبح الان نصف العالم - المعسكر الشرقى - يعادى اسرائيل ويساندنا تماما ، وأصبحت كتلة كبرى من دول آسيا وأفريقيا تدير ظهرها لاسرائيل ، بينما المعسكر الغربى نفسه يتردد طويلا قبل أن يجاهر بمساندتها على حسابنا كما كان يفعل من قبل . .

\*\*\*

ولم يتم هذا التحول بخطب منبرية في الامم المتحدة . او بمذكرات قانونية ترسل الى وزارات الخارجية في لندن او موسكو أو واشنطن . انما تم ببناء قوة ذاتية مرهوبة الجانب ، وبوجود من يدرك أدوات السياسة الدولية الحديثة ودقائقها ، وبخلق مفاهيم عربية جديدة وحمايتها وسحق أعدائها

ثم هناك رفع شعار الثورة الاجتماعية ، وهي في الواقع حجر الاساس لبناء أى مستقبل ناجح لنا في هذا الصدام الطويل . .

انها ثورة لتحقيق العدل من جهة ، وللحق بالعصر الحديث وامتلاك أدواته من جهة أخرى . .

والثورة الاجتماعية تبدو الان وكأنها محسور الجدل والصراع في العالم العربى . والهيكل الرجعية التى اندحرت واثبتت افلاسها امام اسرائيل سنة ١٩٤٨ وما بعدها تشن اليوم حملات ضاربة على الثورة الاجتماعية وحين تعجز هذه الهياكل الرجعية عن مهاجمة الثورة الاجتماعية مواجهة ، ومن الامام ، تعد الى محاولة ايها

الشعب العربى بان انجاز هذه الثورة الاجتماعية يبعدنا  
عن ساحة الصراع ضد اسرائيل ..

وهذا هو التضليل بعينه .. وهو أخطر تضليل يجب  
علينا أن نكشفه فى هذه الفترة ونفضحه بشجاعة ..

لقد قادتنا هذه الهياكل الرجعية مرة ضد اسرائيل ..  
ونحن نعرف ماذا كانت النتيجة ..

هذه الهياكل الرجعية التى هى رمز تخلفنا القديم ،  
تكتشف اليوم أن استمرار تخلفنا ضرورى لبقائها . ولكن  
استمرار تخلفنا ضرورى لبقاء اسرائيل أيضا ! « ان  
التخلف هو الشيء الوحيد الذى يضمن لاسرائيل أن تبقى  
فى أرضنا الى الابد »

وليس أمرا خاليا من الدلالة أن متوسط دخل اليهودى  
فى فلسطين قبل حرب فلسطين كان ١٤١ جنيها فى السنة  
بينما متوسط دخل العربى كان ٥٠ جنيها .. وان مجموع  
انتاج اليهود فى فلسطين - الاقلية - كان ٨١ مليونا  
بينما كان مجموع انتاج العرب - الاغلبية - فيها ٦٢ مليونا  
المعركة لا يحسمها كذا ألف جندى وكذا وكيت من  
السلاح . ان هذا هام وحيوى الى اقصى الحدود ، ولكن  
أى جيش لا يؤدى مهمته الا اذا كان مستندا الى مجتمع  
قوى متقدم سليم . قدرة أى جيش مرتبطة ارتباطا  
عضويا بقدرة المجتمع نفسه وفعاليته ..

الثورة الاجتماعية اذن .. والثورة الصناعية .. والثورة  
الثقافية واقامة مجتمع سليم عصرى متحضر ، هى المعركة  
الجديّة التى تحسم معركة هذه الاقدار المتصادمة فى مداها  
الطويل ..



## وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جسدة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص ٥ ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد - ص ٥ ب ٢١

Sr. Miguel Maccul Cury,  
R. 25 de Marco, 994,  
Caixa Postal 7406,  
Sao. Paulo, BRAZIL

البرازيل :

Mr. Ahmed Bin Mohamad Bin Samit  
Almaktab Attijari Assharat,  
P.O. Box 2205,  
SINGAPORE

سنگافورة :

ARABIC PUBLICATIONS  
DISTRIBUTION BUREAU  
7, Bishopsthorpe Road  
London S.E. 26  
ENGLAND

انجلترا :



## هذا الكتاب

منذ ما يقرب من نصف قرن ، وقضية اسرائيل ، والصهيونية ، هي القضية الاولى المؤثرة في حياة العرب . وقد صدرت كتب كثيرة عن اسرائيل وعدوانها . ولكن حتى الآن لم يكتب العرب كثيرا عن اسرائيل او الصهيونية بابعادها واعماقها الشاملة ..

ان التحدى الذى تفرضه علينا اسرائيل ليس تحديا عسكريا او سياسيا فقط ، ولكنه تحد « حضارى » باوسع معانيه .. فى السياسة والاقتصاد والفن والفلسفة والمبادئ الانسانية وفهم حركة التاريخ

وهذا الكتاب الصغير الحجم يفتح آفاقا شاسعة للبحث والتأمل فى هذه المجالات ..